الهولوكوست المحرم

المحرقة وفلسفة الإبادة عند اليهود

محمد نمر المدني



الهولوكوست المحرم

المحرقة وفلسفة الإبادة عند اليهود

الطبعة الأولى

1428هـ - 2007 م



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا
ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

بيروت - لبنان
ص.ب: 14/6364
خليوي: 833 814 3 961+
تلفاكس: 135 541 1 961+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com

الهولوكوست المحرم

المحرقة وفلسفة الإبادة عند اليهود

محمد نمر المدني



دولة
إسرائيل
يجب
أن تمحى
من الوجود

أحمدي نجاد

رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

النظرية الجديدة في فهم أساطير الإبادة

إن كافة الباحثين والمؤرخين الذين اشتغلوا بالتحقيق بأكذوبة المحرقة، ظلّت أبحاثهم تقتصر علىٰ جانب يتعلق بالأدلة الملموسة كالوثائق والشهادات والروايات ومخلفات الألمان النازيين من أفران وحمّامات وسيارات ومعدات ومواد وغيرها. ورغم تخصصهم في دراسة أبعاد وخصائص المحرقة فقد وقعوا جميعاً في مأزق التعتيم والحصار الصهيوني لقضية المحرقة. وظلّوا جميعاً كغيرهم من الغربيين ضحايا لتلك الأكذوبة. إذ لم يجرؤ أحد من كافة الباحثين الغربيين علىٰ البحث عن الأصول التوراتية للأكذوبة، لأنهم وقعوا في فخ الصهيونية وفي مشكلة عقيدة الإبادة وتقديسها، تلك التي ساقتها الصهيونية وفرضتها علىٰ عقول الأفراد في العالم كله، حين جعلت من الإبادة أيقونة مقدسة تفوق قداستها المسيحية ورموزها والإسلام ورسوله، وسمح بمساس كافة المقدسات الإسلامية والمسيحية، ولم يسمح بالبحث أو النظر في تقديس الأيقونة. كما واجتهدت الصهيونية بفرض تقديس كتابها التوراتي المزعوم عند المسيحيين الغربيين، ومن هنا يصعب علىٰ المسيحي المخدوع بقداسة التوراة أن يفنّد نصوصه وعقائده.

لكننا وبعد البحث المطوّل والذي استغرق عقداً من الزمن توصلنا إلىٰ نتائج مذهلة لم يتوصل إليها أحد من الباحثين الغربيين علىٰ الإطلاق. وهذه النتائج التي نعرضها لأول مرة في هذا البحث تكشف عن الجانب الخفي الذي تولدت منه أساطير الأكذوبة. وتؤكّد بالأدلة والبراهين القطعية والواضحة للعيان تلك الرابطة الخفيّة بين العقائد والطقوس اليهودية والنصوص التوراتية من جهة، وبين جوانب وأشكال أساطير الأكذوبة الصهيونية المتطرفة من جهة أخرىٰ. وانّ جميع الأطروحات الواردة في هذا

البحث تطلق لأول مرة علىٰ الصعيد العالمي، ومن هنا جاءت أهمية كتابنا وأهمية نشره بعدة لغات عالمية.

إن من صنع الأكذوبة وأنتجها وسوّقها واستفاد منها إنما هم جماعة من المتدينين المتطرفين اليهود، ويتوجب علينا أن نتصور الذهن والعقلية عند أولئك . فمن هذه الأوساط الذهنية المتطرفة تولّدت تلك الأكذوبة وكانت تحمل مناخاتهم العقلية والذهنية المتطرفة. وكانت أكذوبة مبنية علىٰ أسس وأساطير توراتية. وتماشياً مع مقولة كل بئر بما فيه ينضح، فان تلك الأوساط المتدينة المتطرفة لا يمكنها أن تنطق إلّا وفق منطلقات ذهنها وفكرها. ولا يمكنها أن تنتج إلّا أكاذيب خرافية تتماشىٰ مع عقيدتها. وبالبحث في أساطير الإبادة المزعومة تبين أن صورها تتصف بالخرافة والأسطورة وتفتقد لمعايير العقل الواعي وللبيّنة العلمية. وأن كافة صور وأشكال الإبادة المزعومة تماثل تماماً صور المحارق والمحافل الدينية والطقوس اليهودية، مما يدل علىٰ أنها أخرجت من تلك الطقوس ومن نصوص العهد القديم وأذيعت للعالم كله علىٰ أنها صور إبادة لليهود. كما ساهمت مدارس فلسفة غربية تلك التي قامت علىٰ أسس صهيونية، في تكوين الإطار العام لنظرية الإبادة اليهودية التي ترتبط كلياً بالعقيدة اليهودية الجديدة، فتكونت إيديولوجيتان صهيونيتان استطاعتا خداع العالم الغربي في مساندة قيام دولة الكيان.

وسنوضّح في هذا البحث كيف تستخدم الصهيونية سلاح الفلسفة وسلاح الأساطير كأداتين رئيستين في تنفيذ مشاريعها. وليس سلاح الأساطير أقلّ شأناً من السلاح العسكري الفتّاك، بل قد يكون أشدّ ضراوة من أقوىٰ الأسلحة،فالأساطير تدمر الإنسان في داخله وتبرر الأعمال العدائية الصهيونية.فقد ظلّت أساطير الإبادة حتىٰ يومنا هذا مبرراً عالمياً لقيام دولة إسرائيل واستمرارها. والأساطير الصهيونية الجديدة تقوم اليوم بتبرير العدائية الصهيونية والأمريكية في وقت واحد علىٰ الدول والشعوب الإسلامية، مما ينذر بمشروع صهيوني جديد لايقلّ خطراً عن المشروع القديم.

الفصل الأول

مكوّنات العقيدة الجديدة

تعريفات البحث

المحرقة اليهودية: هي بيت الرب الذي يعبده اليهود. وهي المعبد اليهودي وعندما يقوم اليهودي بحرق التقدمة فهو بذلك يؤدي طقس العبادة اليهودية. ويقدم الأضحية إلىٰ الرب، ويصعّدها إليه، وحرق التقدمة هو إفناؤها الكامل التام وتحليلها إلىٰ عناصرها، وهو بالمعنىٰ العقيدي اليهودي فصل روح الذبيحة عن جسدها وإهداء التقدمة للرب.

اسطورة المحرقة: هي اعتقاد ديني يهودي يقول بأن اليهود قدّموا لربهم أثمن ما عندهم كأضاحي، وهذه الأضاحي البشرية هي شعبه اليهودي، ليعيده الرب إلىٰ أرض فلسطين بعدما طرده منها في عصر موسىٰ.

مذبح المحرقة: وهو أحد أركان المعبد اليهودي وفيه تذبح الضحية وتقطّع وتجزأ إلىٰ عناصر عديدة وفق تعليمات نصوص التوراة المزورة، وفي هذا المذبح يتم جمع دم الأضحية والاحتفاظ ببعضه واستخدام بعضه.

عقيدة الإبادة: ظهرت عند اليهود عقيدة جديدة تعيد تحليل وفهم الديانة اليهودية وتعيد فلسفتها علىٰ أسس جديدة. وهذا ما أحدث تغييرات كبيرة في الشريعة اليهودية فباتت ديانة جديدة تجعل من الإبادة محور العقيدة كلها. ومن بين المفاهيم الجديدة التي طرحتها: اعتقاد اليهود بأن الرب قد مات بالإبادة.

عقيدة الهيكل: وترىٰ هـذه المفـاهيم الجديـدة لليهوديـة بـأن هيكـل الـرب هـو آوشفيتز، وأن الهيكل اليهودي قد دمّر للمرة الثالثة في محرقة آوشفيتز.

اليهودية الخفية: في نصوص توراتية كثيرة يأمر الرب شعبه اليهـودي بـأن يخفـي عن الشعوب الأخرىٰ عقائد وطقوس وشرائع يهودية. وبالتالي فان عقائد اليهود خفية وباطنية ويمنع اليهود من إظهارها إلىٰ الآخرين. وانّ كلّ ما يكتب عن أسرار ديـانتهم هي اكتشافات وتحليلات، وأحياناً بعض المبادئ التي يكشفها يهود تحولـوا إلىٰ الديانـة المسيحية. وإن اليهـود أنفـسهم يعترفـون بـسرّية عقائـدهم وطقوسـهم وممارسـاتهم، ويكشفون إلىٰ الملأ بعض عناصر الديانة اليهودية التي تتعلق بالفلـسفة والعموميـات. وقد وضع عدد منهم ما يسمىٰ بالبروتوكولات السرية لليهود، واعتمدوها سراً لكنها اكتشفت ونشرت في فرنسا وفضحت تطرف واضعيها.

شريعة المحرقـة: يعتقد اليهود بأن الرب قد أمر أنبيـاءهم ببنـاء المحـارق لتقدمـة الأضاحي له. والمحرقة هي المعبد اليهودي، والحرق يتم في هـذا المعبـد، والحـرق هـو العبادة وهو تقديم الأضحية للرب.

الفطير اليهودي: أمر الرب بصنع فطير وهو عجينة ممزوجة بالدم بـدل المـاء إذ لا يذكر الماء أبداً في صنعها. وبالطبع سيكون الدم بشرياً أو حيوانياً.

النار المقدسة : يقدس اليهود النار ويعتبرون أن الرب يحلّ أحياناً بالنار فيظهـر علىٰ هيئتها، وبهذا تصبح النار مقدسة يهودياً وتحمل صورة الرب واسمه فتصبح الرب الـذي يعبده اليهود ويطرحون فيه أضاحيهم. والنار حسب التوراة (**نار دائمة لا تنطفئ**)

قدس الأقداس اليهودي: هـو الطقـس العبـادي اليهـودي؛ أي إحـراق الأضـحية بالنار. ويعتقد اليهود بأن القربان الذي تم تقديمه للـرب هـو شـعبه اليهـودي الـذي أحرق في آوشفيتز.

رائحة سرور وتذكار لرب اليهود: هذا وصف توراتي للـروائح الناتجـة عـن أعـمال الشعوذة داخل معبد المحرقة، وتنتج الروائح من سـفك الـدم وسـفحه ولطمـه ومـن

تكسير العظام وتوزيعها بحسب طقوس مرعبة، وهي أيضاً روائح البخور المحروق وروائح حرق الأضاحي المنوعة وكافة مخلفاتها القذرة.

مذبح البخور: هو أحد أركان المعبد اليهودي ويتوجب أن تنطلق منه روائح تصفها نصوص التوراة بأنها رائحة سرور للرب، وهي روائح حرق لحوم الأضاحي (بشرية وحيوانية) وكافة مخلفاتها، وروائح سفك الدماء وتناولها. وروائح أنواع غريبة من البخور تحترق بالنار باستمرار وترافق كل الطقوس الخرافية.

الأضحية اليهودية: هي ذكر بكر من الإنسان والحيوان:

1- هي عجل يقدسه اليهود، ويختارونه وفق مواصفات تتعلق بالعمر والصحة واللون. وغالباً ما يكون ذكراً وبكراً.

2- والأضحية اليهودية هي أيضاً تقديم أنفسهم علىٰ مذبح الرب وحرق أجسادهم لتصبح رماداً. فتأكلها النار أي يأكلها الرب.

3- والأضحية أيضاً هي أن يقدم اليهود أبناءهم كأضاحي للرب فيذبحون ويحرقون ويتناولهم الرب.

4- والأضحية هي ماطلبه الرب من اليهود بأن يقتلوا ويسفكوا دم إنسان غير يهودي، ويتناولون دمه مع الفطير المقدس.

5- والأضحية المذكورة أيضاً في التوراة هي تقديم ذكور من الأغنام والماعز والطيور وغيرها،وذلك بذبحها وحرقها وفق طرق وطقوس عديدة مذكورة في نصوص العهد القديم.

الروح: هي الدم الذي يسكب علىٰ المذبح وعلىٰ أركان المعبد وعند بابه.والرب لا يتقبل التقدمة إلَّا بعد أن تفصل روحها عن جسدها أي بعدما يسفك دم الذبيحة ويرش ويوزع ويرشم به اليهود الحاضرون في المحرقة فيتقدسون به. ويأخذون من روح الأضحية ونفسها فيكسبونه لأرواحهم وأنفسهم ولأجسادهم وتكسب أجسادهم عمر الأضحية وخصائص حياتها.

يوم الميعاد اليهودي: هو نهاية تاريخ الآلام والتشرد اليهودي وتحقيق وعد الرب بإعادتهم إلىٰ أرض الميعاد. ويعتقدون بأن يوم الميعاد هو الإبادة والعودة إلىٰ فلسطين وأن الرب قد وعدهم في نصوص العهد القديم بتلك العودة، وعلىٰ هذا فان دولة إسرائيل وكل ما يرتبط بها يجري ربطه بالعقيدة وبمفهوم الرب ووعود الرب.

الأسطورة الصهيونية: تحتل الأسطورة حيّزاً كبيراً في الذهن الصهيوني، ولها أهمية كبيرة في العقيدة اليهودية، وإن كافة المزاعم الصهيونية تحمل سمة الأساطير، بل إنها مبنية عليها، والفكر الأسطوري بعيد عن العلمانية الحديثة. وتتعمد الصهيونية نشر الفكر الأسطوري الميثولوجي في أوساط اليهود والشعوب الأخرىٰ. وتقوم بتحقيق أغراضها بواسطتها. ففي الولايات المتحدة انتشرت الصهيونية المسيحية وأسطورة هارمجدون التي تنبئ بظهور المسيح قريباً يوم تنتصر إسرائيل علىٰ المسلمين معاذ الله. ومن الملاحظ أن الصهيونية تنشر أساطير تضليل الشعوب لتغطية وتبرير مشروع خبيث كبير تقوم فيه.

أسطورة المحرقة النازية: هي اعتقاد يهودي متطرف بأن اليهود قدموا كأضاحي بشرية للرب وتناولهم الرب بعدما أحرقوا وأصبحوا رماداً. وهي تسميم لعقائد وأذهان اليهود أنفسهم ولشعوب العالم كله.

إذاعة الأسطورة: إن إذاعة ونشر الأسطورة الخرافية يعني فرض عقيدة يهودية متطرفة يؤمن بها قسم من اليهود وليس كلهم. وهؤلاء المؤمنون بها هم يهود متطرفون، وإن إذاعة الأسطورة علىٰ أفراد شعوب العالم يعني الاستخفاف بعقولهم وبوعيهم وبحريتهم. وفي الوقت نفسه فهو استخفاف بعقول اليهود المعتدلين.

التهويد: هو فرض معتقدات دينية يهودية علىٰ أفراد شعوب العالم كله من غير اليهود. ومنذ عرفت اليهودية رافقها هذا النوع من التهويد، وتذكره نصوص التوراة المزورة مئات المرات.

ولم يعد سراً ولا خفياً علىٰ أحد أن عناصر عقيدية يهودية كثيرة غزت أفكار بعض

المسلمين والمسيحيين وغيرهم عبر العصور الطويلة، ومـن ذلـك عقيـدة تقـديس النـار وعقيدة الحلول وعادات وأفكار أخرىٰ نجدها عند بعـض المـذاهب الإسـلامية. ومـن المؤسف أن اليهود قد استطاعوا التأثير علىٰ الفكر الديني المسيحي في أوروبـا والغـرب، وظهرت فلسفة مسيحية جديدة قائمة علىٰ أسس أو مفـاهيم يهوديـة. لكـن وفي الوقـت نفسه فإن المسيحية العربية الأصيلة ظلت صامدة في وجـه تلـك الغـزوات الفكريـة ولم تتأثر علىٰ الإطلاق بتلك السموم اليهودية. ومن الثابـت أن اليهوديـة لا تمتلـك طريقـة التهويد الكامل للغير فهي (حسب عقيدتهم) ليست ديانة عامة لجميع البشر. وهـذا مـا يفسر قلة عدد اليهود علىٰ مرّ العصور. ورغم أن تلك العقيدة ثابتـة عنـد اليهـود فـإنهم وعملاً بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة قامت إسرائيل باستقبال مليـون ونـصف المليـون مـن مسيحيي الاتحاد السوفييتي السابق ووطّنوهم في إسرائيل وحاولوا تهويـدهم بالإرغـام ومازالوا يمارسون عليهم ضغوطاً كبيرة تهدف لتهويدهم، وما ذلك إلّا بغية زيادة عـدد مناصري الدولة اليهودية، مما يؤدي إلىٰ قلة نسبة العرب الفلسطينيين فيها.

ممارسة الإبادة:

ممارسة الإبادة حقيقة يقوم بها الصهاينة منذ قيام منظماتهم المتطرفـة، فهـم الـذين أباحوا إبادة الهنود الحمر في القارة الجديدة، ثم دعوا لإبـادة العـرق الألمـاني كلـه، بـل وقاموا بإبادة مئات الآلاف من الألمان النازيين أثناء الحرب وبعدها، وبعد قيام الكيان الـصهيوني لم تكـفّ الـصهيونية يومـاً عـن أعـمال الإبـادة المتواصـلة ضـد العـرب والفلسطينيين. ويخطئ مـن يـرىٰ في أعمالهـا نوعـاً مـن الحـرب أو المواجهـة. فـسجن عشرات الآلاف من الفلسطينيين عمل إبـادة ومـذابح قانـا وصـبرا وشـاتيلا وإلقـاء القنابل العنقودية وزرع الألغام ، وقتل الأسرىٰ المصريين في سيناء تلـك أعـمال إبـادة للجنس والعرق العربي والإسلامي، وتأتي هذه الأعمال من العقائد التوراتية اليهودية، إذ يتم الربط بين الإبادة وبين عقيدة القـرابين البـشرية التـي تقـدم لـرب اليهـود. كـما سنفصّل في هذا البحث.

الأكذوبة الفلسفية:

تماشت مع أعمال الحركة الصهيونية فلسفة يهودية قذرة إلىٰ أبعد الحدود. سنتعرف علىٰ أهم نقاطها ونكتشف بأنها لم تكن في الأصل فلسفة علىٰ الإطلاق، ولم يكن بمقدورها أن ترقىٰ لمكانة الفلسفة الإنسانية أو الدينية. بل كانت محاولات سريعة اقتضت الضرورة أن تصاغ كفلسفة لتخدم الأغراض الصهيونية والأعمال والمشاريع المتتالية، وسنكتشف بعد تفنيدها في هذا البحث بأنّ واضعيها وضعوا أهداف الصهيونية كمحور فكري وسياسي وصاغوا حوله فلسفة مزعومة تؤكد علىٰ أحقيته وتسعىٰ لخدمته.

أبعاد هذا البحث

إن الباحثين والمؤرخين الغربيين الذين اشتغلوا بالتحقيق في الأكذوبة التاريخية اقتصرت تحقيقاتهم علىٰ أمرين اثنين وهما:

1- الوثائق التاريخية من نصوص وتحقيقات وصور ومقالات وأقوال وشهود.

2- المخلفات الألمانية النازية من أفران وحفر وبرك ماء وحمّامات وعربات.

وبالوقت نفسه فإن الأكذوبة كما أذيعت وصدّرت علىٰ أنها حقيقة اعتمدت ظاهرياً علىٰ هذين العنصرين الكبيرين فقط. وأبقت الجانب الأساسي للأكذوبة ومنهلها الرئيس طيّ الحفظ والكتمان اليهودي. وقد توجس الباحثون والنقاد أبعاداً سياسية وعنصرية للأكذوبة، لكننا هنا وبفضل الله الملهم نكشف عن المصدر الديني اليهودي لتلك الأكذوبة ونبين بأنه أهم عنصر فيها، وبهذا الكشف الكبير نعرّي الأكذوبة ونحطمها ونقضي نهائياً علىٰ كافة أركانها.

إنّ الأكذوبة في حقيقتها كانت تحمل في كل فصولها وخفاياها معان دينية كبيرة، فلم يجرؤ ناشروها ومذيعوها علىٰ إذاعة تلك المعاني، أي إن الصهيونية المتطرفة التي

ابتدعت الأكذوبة جاءت بدلائل وإثباتات تنحصر في هذين الأمرين، وبـذلك كانـت تضلل العقل الإنساني والعالمي. ولم تجرؤ علىٰ ذكر أهم مصدر للأكذوبة وهـو بـالطبع نصوص ومفاهيم وعنصرية العقيدة اليهودية، الأمر الذي كان سيفشلها علىٰ الفـور. لأن الخدعة كانت تكمن في تلك المعاني التوراتية بالدرجة الأولىٰ.

وبعد أن سلّم الغرب بأسطورة الإبادة وبعد أن قبضت الصهيونية ثمن تلك الأساطير، ظهرت تحليلات وفلسفات يهودية جديدة، وقدمت نظريات دينية وعقائد يهودية جديدة تتسم بالإلحادية الشديدة وبتقديس الإبادة ومعسكر الإبادة واليهود الذين تزعم أنهم أبيدوا، وبالوقت نفسه ترسم مستقبلاً للصهيونية واليهودية معتمدة في كل فلسفتها علىٰ حدث الإبادة الخيالي.

وإن الباحثين الغربيين الذين تخصصوا في انتقاد أساطير المحرقة لم يكتشفوا تلك الخفايا الدينية اليهودية ولم يكتشفوا تلك الصور الدينية الموجودة في نصوص العهد القديم ليقارنوها مع مثيلاتها في الأكذوبة، والحقيقة أن جميع الباحثين الذين تخصصوا في تعرية الأكذوبة وقعوا في مطبّات البحث التي صاغتها الصهيونية لهم. أي أنهم كانوا ضحايا حقيقيين للأكذوبة نفسها وللعواقب الناتجة عنها. فمن جهتهم هم مسيحيون غربيون يؤمنون بقداسة النص التوراتي اليهودي، وذلك الإيمان هو من نتاج الأكذوبة الصهيونية نفسها ومن ضمن المشروع الصهيوني التضليلي الذي يستهدف المسيحية. ولعلّ إيمانهم بقداسة تلك النصوص منعهم من مجرد التفكير في علاقتها بالأكذوبة وبالمشروع الصهيوني المضلل. والحقيقة أننا نحن العرب وبفضل كوننا في الخط الأول من المواجهة والصراع مع إسرائيل، نعتبر في هذه العقود الزمنية الأقدر والأجرأ علىٰ دراسة وكشف الخفايا والأساطير الصهيونية بحرية مطلقة،

ويعتبر هذا البحث الأول من نوعه في العالم كله إذ يكشف عن الرابطة المتينة بين النص التوراتي والعقيدي ونصوص الفلسفة اليهودية الجديدة من جهة، وبين نصوص وفصول أكذوبة الإبادة من جهة أخرىٰ.

ويعتبر هذا البحث تعريفاً جديداً للصهيونية العالمية ويجيب علىٰ كافة التساؤلات التي تطرح في كل مناطق العالم والتي تحاول فهم وتفسير الصهيونية وأعمالها وممارسات إسرائيل وغاياتها.بل ويعطي تصوراً لمستقبل الصهيونية العالمي، ومستقبل دولة الكيان.ومن خلال هذا البحث يمكن فهم كافة الأعمال والممارسات الصهيونية وتحليلها.بل وحلّ كافة الألغاز الصهيونية التي تواجهنا كلّ يوم.

وان مجموع الأطروحات الجديدة والاكتشافات المبهرة الواردة في هذا البحث تعتبر نظرية جديدة في تحليل أكذوبة الإبادة.وهي تطرح لأول مرة في العالم كله. ولذلك حرصنا علىٰ نشرها بعدة لغات عالمية.

نشكر الله العظيم الذي هدانا إلىٰ كشف هذه الحقائق التاريخية المهمّة، ولتكن بياناً للناس ودحضاً قاطعاً لمزاعم الصهيونية المتطرفة.

مفاتيح هذا البحث

إن ظهور وإذاعة أسطورة إبادة اليهود في أفران حرق وفي غرف غاز خانقة، له خلفية عقيدية عند اليهود المعاصرين.ويرتبط أيضاً بعدد من العقائد اليهودية التي تعتبر لبّ العقيدة اليهودية وطقوسها، وهذه العقائد هي مفاتيح هذا البحث التي من خلالها نكتشف سر العقيدة الذي كان وراء إذاعة أساطير المحرقة.

1- **النار المقدسة:** إذ يعتقدون بحلول الرب في النار

2- **العجل المقدس:** بدأت ظاهرة تأليه العجل عند اليهود منذ استعاروا من فرعون عجلاً ذهبياً ليحتفلوا به، وتطورت تلك الظاهرة في أذهانهم حتىٰ أصبحت تأليهاً للعجل وتقديساً وثنياً.

3- **القرابين البشرية:** يعتقد اليهود بأنهم قدّموا قرابين بشرية، ومنحوها للرب كقرابين وعطاءات وتقدمات، و ما هي إلّا أجساد اليهود الذين أبيدوا في المحرقة

4- **اليهودية الباطنية**: الباطنية مبدأ يهودي قديم استطاع اليهود توزيعه علىٰ الشعوب الأخرىٰ وعنه كانت الباطنية الإسلامية.

5- **يوم الميعاد اليهودي**: هو الحدث الرهيب الذي يبشر بيوم الميعاد اليهودي والذي كانوا ينتظرونه طوال قرون، وهو حدث الإبادة

6- **العقيدة اليهودية الجديدة**: ونقصد بها العقيدة اليهودية التي تكونت عناصرها الجديدة كلياً بعد إذاعة أسطورة الإبادة، وهذه أخطر نتائج الأكذوبة.

حرب الأساطير

إنه من ضمن ترسانة الأسلحة التي تستخدمها الصهيونية في أعمالها العدائية سلاح الأساطير الذي توليه أهمية كبيرة.فالصهيونية تجنّد كافة أتباعها وتستخدم كلّ طاقاتهم، وفي وقت تنفيذ المشروع أو التحضير له تعمل كافة القوىٰ الصهيونية لخدمة المشروع.فالمفكّر والفيلسوف والمخرج والفنان وغيرهم كلهم يبدعون مشاريع ومناهج مرافقة للمشروع الصهيوني وتصبح أحد أسلحته الحربية.ففي مشروع إقامة دولة إسرائيل تم تكوين فكر وفلسفة وأكذوبة وأساطير مرافقة وكل هذه كانت أسلحة تمّ تسخيرها لإنجاح المشروع الكبير. وفي السنوات الأخيرة. وفي الأحداث التي نشهدها من غزو للعراق وأفغانستان، والتهديد بغزو سورية وإيران، في هذه الأحداث تقوم الصهيونية بإيجاد مبرر أسطوري وتنشره في أذهان شعوب العالم كله. وليست هذه الأساطير الجديدة سوىٰ سلاح فتّاك ومرافق لأسلحة إسرائيل والولايات المتحدة التي تدمر مدنية العراق وحضارته وعلمانيته وتعيده إلىٰ عصر الأسطورة، وقد غزت الأسطورة عقول العرب لأنها كانت تستهدفهم أيضاً. وما الاقتتالات الطائفية في العراق إلّا بعض نتائج الفكر الأسطوري الصهيوني، وسنوضّح ذلك في هذا البحث.

النار المقدسة عند اليهود

النار هي المحرقة التي يزعم الصهاينة بأنها الماكينة النازية التي استخدمت في إبادة اليهود، والنار هي ماكينة المحرقة المقدسة في المعبد اليهودي.والنار أيضاً هي واحدة من الصور التي يتمثّل بها الرب حسب النصوص والعقيدة اليهودية. والنار نفسها مقدسة عند اليهود أنفسهم، وبواسطتها يؤدون طقوس العبادة الخاصة بهم، ويحرقون الأضاحي وغالباً ما تكون أضاحيهم عجولاً.وهذه النار هي موقد حطب يشتعل باستمرار في المعبد اليهودي ولا ينطفئ. فصورة النار المقدسة يراها كل يهودي باستمرار في المعبد، أي أنها لا تغادر ذاكرته طوال حياته.

وقد بدأت عقيدة النار المقدسة عند اليهود منذ عصر النبي موسىٰ عليه السلام.

وتقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَـٰنٗا مُّبِينٗا﴾[النساء4/ 153].

فعندما دعىٰ موسىٰ قومه لعبادة الله، تحدّوه وقالوا له أرنا الله جهرة، فأنزل الله عليهم صاعقة قتلتهم، والصاعقة هي نار قاتلة، وهذه أول صورة نار ترتبط بالعقيدة اليهودية، وفي هذه الحادثة كان يتوجب عليهم أن يؤمنوا برسالة موسىٰ عليه السلام التوحيدية. لكنهم أعرضوا عن رسالته السماوية وعبدوا العجل الذي تمثّلت عبادته بحرقه في النار. وكان هذا الحدث أول إظهار لصورة النار، وقد طوّر اليهود تلك الصورة وجعلوها هي المبتغىٰ والهدف وجعلوها أيضاً موضوع العقيدة اليهودية، ومنها نشأت عقيدة المحرقة وعقيدة تقديم الأضاحي البشرية وتقديم الأضاحي الحيوانية فكان تأليه العجل وتقديسه.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة2/ 102]

وفي هذه الآية إيضاح قرآني بأن اليهود اتبعوا عقائد شيطانية، وكان منها عقيدة تأليه العجل وعقيدة تقديس النار وعقيدة قتل أولادهم حين تقديمهم كقرابين بشرية.

ففي تفسير الجلالين ورد شرح للآية الكريمة: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء4/ 153].

فيقول في تفسيرها: (تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة وطاعة) (38) ومهما يكن رأي المفسرين فان ما جاء في تفسير الجلالين كان يعبّر عن ظاهرة حقيقية ومعروفة عند اليهود وهي تقديم قرابين بشرية، فكان بعضهم يحرق نفسه ليكون قرباناً آدمياً. وآخرون يقدّمون أولادهم كقرابين في المحرقة اليهودية. وتتحدث نصوص العهد القديم عن النار مرات كثيرة، وفي النص التالي وصف لنار أتت من عند الرب فأحرقت المحرقة والشحم.

«24 وخرجت نار من عند الرب وأحرقت علىٰ المذبح المحرقة والشحم. فرأىٰ جميع الشعب وهتفوا وسقطوا علىٰ وجوههم...» سفر اللاويين.

وتظهر أهمية ما يقوله النص في أن الرب نفسه هو الذي أرسل النار هذه المرة ليقوم بنفسه بحرق الذبيحة التقدمة والشحم التقدمة. لقد خرج اليهود عن عقيدة التوحيد التي جاء بها موسىٰ وتأثروا بعقائد شيطانية وأخرىٰ وثنية ، وعلىٰ هذا استمرّت عقيدة تقديس النار عندهم وبقيت في نصوص العهد القديم التي يؤمن بها اليهود المعاصرون. والنص التوراتي التالي يصف إشعال النار في الأضحية كما يعتبر أن المحرقة هي للرب ولسروره، ويعتبرها وقوداً للرب.

«18 وتوقد كل الكبش علىٰ المذبح. هو محرقة للرب. رائحته سرور. وقود هو للرب»

وفي هذا النص التوراتي إيضاح لصورة نار يطلقها الرب حسب العقيدة

اليهودية. وهي تظهر مدىٰ تماديهم في تقديس النار وإعطائها أهمية ربانية ودينية وعقيدية. وبالطبع فإننا نراها صورة خرافية كتلك التي يطلقها العقل اليهودي في أفلام الخيال السينمائي والمغامرة المثيرة.

«... 4 هكذا أراني السيد الرب وإذا السيد الرب قد دعا للمحاكمة بالنار. فأكلت الغمر العظيم وأكلت الحقل . 5 فقلت أيها السيد الرب كفّ . كيف يقوم يعقوب فإنه صغير . 6 فندم الرب علىٰ هذا . فهو أيضاً لا يكون قال السيد الرب...»

عن سفر عاموس، الإصحاح السابع. وفي النص التالي تعطي العبارة التوراتية للرب صفة الكائن الناري

«... 14 أنت يا رب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً..»

عن سفر العدد، الإصحاح الرابع عشر. واليهودية حلولية تعتقد بأن الرب يحل في الأشياء فهي ترىٰ بأن الرب يحل في النار ويظهر فيها وأنه يحل في السحاب كما تبين الآية السابقة، وأنه يحل بالشعب اليهودي نفسه. فتصبح كافة هذه الأشياء مقدسة وتحمل قداسة إلهية كاملة كما يحملها الرب نفسه لأنه هو يكمن فيها. وعن حلوله في النار يرىٰ بعض المفسرين الصهاينة أنه تشرذم وتبعثر إلىٰ ذرات متناثرة هي شرارات نار مبعثرة ومتفرقة. ويبحث ذلك الصهيوني عن طريقة لإعادة جمع شرارات الرب وتوحيدها ليعود الرب إلىٰ شعبه ككائن موجود. وفي نار محرقة الإبادة تمثّل الرب في المحارق والأفران واتحد مع شعبه اليهودي واتحدت قداسة الرب وقداسة الشعب فكانت محرقة مقدسة.

العجل المقدس عند اليهود

يقدّس اليهود العجل ويقدّمونه في مذابحهم ومحارقهم كتقدمة لربهم.وان طقوس ذبح العجل وسفك وسفح دمه ورشه علىٰ أركان المذبح وعلىٰ اليهود

ليتقدسوا بالدم. ومن ثـم تقطيـع لحمـه وأجزائـه وفـصلها إلىٰ أنـواع، وفـرز الـشحم والأكاريع والجوف والجلد والكبد وغيرها، ومن ثم حرق هذه التقدمـة وتحويلهـا إلىٰ رماد. والاعتقاد بأنهم في حرقها يقدمونها (كوجبة لربهم) ليأكلها.

هذه العقيدة وهذا الطقس الديني اليهودي وهـذه التقدمـة، كلهـا تمثّـل صـورة حرق قربان مقدس كتقدمة لرب اليهود، وهي الصورة نفسها التي أذاعها اليهود عـن تقدمة قرابين بشرية يهودية أبادها الألمان النازيون .

ويصف القرآن الكريم عقيدة تأليه العجل عند اليهود في آيات عديدة:

يقول الله سـبحانه وتعـالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[الأعراف 7/ 148]

وتتحدث الآية القرآنية الكريمة التالية عن ابتعاد اليهود عن شريعة التوحيد التي جاء بها موسىٰ (عليه السلام) وعن تأليههم للعجل:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة2/ 92].

وفي سورة الأنعام وفي سياق الحديث عن اليهود يذكر القرآن الكريم بأنـه حـرّم علىٰ المسلمين أكل لحم الذبيحة التي سفح دمها علىٰ المذبح اليهودي ويصف ذلك بأنـه فسق وأن سفح أضحية علىٰ مذبح يهودي يعني بأنها تقدمة رجس وفسق:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[الأنعام6/ 145].

وفي سورة الأنعام وصف لتلك التقدمات اليهودية التي يعتقد اليهود بـأنهم مـن خلالها يمنحون ربهم وجبة ليأكلها فيخصّصونها له.

يقول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا

كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[الأنعام6/ 136].

وفي الآية القرآنية الكريمة التالية أعظم وصف لحالة تأليه العجل عند اليهود، فهنا وصف لصورة ذلك الاعتقاد الذي شربوه أو تشربوه كما يتشرّبون الأطعمة والأغذية، حتىٰ أصبحت عقيدة العجل كامنة وراسخة في قلوبهم وأجسادهم، ومعه رسخ الكفر في عقيدتهم. وبذلك ابتعدوا عن عقيدة إبراهيم وموسىٰ التوحيدية.

يقول الله سبحانه: ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة2/ 93].

وإن نصوص العهد القديم تتحدث مئات المرات عن هذا العجل وعن طرق ذبحه وحرقه وتقديمه،

القرابين البشرية

يتحدث القرآن الكريم مرات عديدة عن وجود عادة قتل النفس وقتل الأولاد وتقديمهم قرابين بشرية للرب.

ويقول الله سبحانه وتعالىٰ في وصف اليهود المشركين: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾[الأنعام 6/ 137]

صدق الله العظيم.

ومن المؤكد أيضاً بأن اليهود طوّروا تلك الطقوس وأوّلوا بعض نصوص العهد القديم وصاروا يقدّمون أضاحي بشرية من غير اليهود. وفيها يتم نحر إنسان غير يهودي وأخذ دمه ومزج الفطير بدمه وتناول قطع من الفطير في الاحتفالات الدينية اليهودية.

ويعتمد اليهود علىٰ عدد من نصوص العهد القديم التي يبررون بواسطتها تلك الأفعال. وهذا واحد منها:

«.. 9 ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلهم والرب

معنا لاتخافوهم» عن سفر عدد الإصحاح الرابع عشر.

وهذا النص يقول صراحة بأن أفراد الشعوب الأخرىٰ هم خبز لليهود. وهذا الخبز هو الفطير المقدس المصنوع من عجينة دقيق ممزوجة بدم بشري. وإن عبارة قد زال عنهم ظلهم تعني عند اليهود أن قدسية الله زالت عنهم. وأن يهود العالم كله وبسبب قلتهم يخفون سر الأضحية البشرية وسر سفك الدم البشري. لكن مئات القصص والأحداث في مناطق عديدة من العالم أكدت تلك الحقائق. كما وكشفها عدد كبير من اليهود الذين تحولوا إلىٰ الديانة المسيحية (40).

«... 24 هوذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد . لاينام حتىٰ يأكل فريسته ويشرب دم قتلىٰ..» عن سفر عدد الإصحاح الثالث والعشرون.

وهنا تصريح واضح بقوة عن حقيقتين اثنتين:

- تصريح لليهود بأكل لحم الآخرين.

- تصريح لليهود بشرب دم الآخرين.

«.. 5 ما أحسن حيامك يا يعقوب.. 8 له مثل سرعة الريم . يأكل أمماً مضايقية ويقضم عظامهم ..» عن سفر عدد الإصحاح الرابع والعشرون.

وإن كافة القصص الجنائية التي قتل فيها اليهود مسيحيين وحصلوا علىٰ دمائهم كانت قصص قتل أطفال صغار فحسب. ويأتي هذا من اعتقاد اليهود بأن الرب قد أمرهم بقتل الأبكار من غير اليهود. وهذا مثبت في كثير من نصوص العهد القديم.

«.. 12 فإني أجتاز أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. أنا الرب... 29 فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كلّ بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس علىٰ كرسيه إلىٰ بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة...43 هذه الليلة هي للرب تحفظ من جميع بني إسرائيل في أجيالهم.. 1 وكلم الرب موسىٰ قائلاً 2 قدّس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم. إنه لي.. 12 إنك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم

التي تكون لك . الذكور للرب. 13 ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وان لم تفده تكسر عنقه، وكل بكر إنسان من أولادك تفديه.. 15 وكان لما تقسّىٰ فرعون عن إطلاقنا أنّ الرب قتل كل بكر في أرض مصر من بكر الناس إلىٰ بكر البهائم. لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم وأفدي كل بكر من أولادي..» عن سفر الخروج الإصحاحان الثاني عشر والثالث عشر.

ومن الملاحظات الواضحة في النص السابق:

خلط بين الإنسان والحيوان وعدم تمييز الإنسان عن البهائم ووضعهم في مقام واحد.

وهنا جرىٰ الخلط بينهم في مجال الأبكار وهذا رمز يهودي من واضعي النص للخلط فيما بين الأضاحي فتكون أضحية البهيمة كأضحية البشر. وإن تخلف واضعي هذا النص ومنظري العقيدة اليهودية جعلهم يخلطون بين الحيوان والإنسان. وعند اليهودية بشكل عام يجري هذا الخلط اعتماداً علىٰ أساسين وهما: العقيدة، ومبدأ الروح والحياة.

1 - **مبدأ العقيدة اليهودية:** يميز اليهود أنفسهم عن الشعوب الأخرىٰ وذلك لأنهم يحملون العقيدة اليهودية، والآخرون لم يختارهم الرب ليكونوا يهوداً لأنهم بهائم وحيوانات.

2 - **مبدأ الروح والحياة:** ويعتمدون في الحكم علىٰ الكائنات من ناحية الروح والحياة والموت فمن هذه الناحية يكون الإنسان مشابهاً للحيوان، لكن بالتمعن في عظمة الإنسان في كل صفاته نميزه نحن المتحضرون عن الحيوان بل ونكتشف ونحن واثقون بأن الحيوان هو ذاك الذي لا يدرك عظمة الإنسان.

- وفي النص السابق تصريح واضح بأن الرب اختار أن يضرب كل الأبكار من الإنسان والحيوان من غير اليهود.وهذا يحمل تحريضاً لليهود علىٰ ضرب الأبكار من الإنسان والحيوان من غير اليهود.
- تحدث النص في عبارة واحدة عن البكر اليهودي وبكر الحمار، وأوجد لهما صيغة الفدية، فأمر بإفداء بكر الحمار أو بكسر رقبته، وبإفداء البكر اليهودي من الذكور

دون أن تكسر رقبته. وهذا تلميح للعقيدة اليهودية التـي يقومـون فيهـا بتقـديم أبنائهم كأضاحي. ولمّا أمر بإفداء البكر اليهودي فماذا كان حكمه علىٰ بكـر غـير اليهودي؟ هنا يظهر اللغز المختفي بين السطور. والذي يفهمه اليهود بأنـه يبـيح لهم قتل الأبكار من غير اليهود.

«...6 **ويرش الكاهن الدم علىٰ مذبح الرب لـدىٰ بـاب خيمـة الاجتماع ويوقـد الشحم لرائحة سرور للرب..**» عن سفر اللاويين، الإصحاح السابع عشر.

وفي النص السابق يتضح لنا هذه المعاني:

هنا يرش الدم رشاً أي ذرات ونقاط وليس سفحاً كـما جـاء في نـصوص تـصف مناسبات دينية يهودية أخرىٰ، وهنا يكون الرش علىٰ مذبح الرب،

أي لأجل الرب نفسه ويتم رشّ الدم إرضاءً له، وهذا النص يحمل في طياته لغزاً يعني بأن الرب يسعد ويرضىٰ عنـدما يـرش دم الذبيحـة الأضـحية. وأنّ اليهـود إنـما يبتغون رضا الرب بجرائمهم وقتلهم للآخرين.

وفي هذا الاعتقاد نقطة ضعف كبيرة، فيتوجـب عـلىٰ اليهـودي أن يـسأل نفـسه ويقول: لماذا خلق الرب هؤلاء الآخرين وهو يريد التشفي منهم ؟

القربان المحروق

استناداً إلىٰ حدث الإبادة المزعوم، قام الصهاينة بتشبيه الشعب اليهـودي بالقربـان المحروق أو المشوي ويقول المفهوم اليهودي بأن اليهود أحرقـوا لأنهـم أكثـر الـشعوب قداسة. ربما وقع الاختيار علىٰ هذا المصطلح ليعني أن يهود غرب أوربا أُحرقوا كقربـان الهولوكوست في عملية الإبادة النازيـة ولم يبـق مـنهم شيء، فهـي إبـادة كاملـة بـالمعنىٰ الحرفي. ويرتبط هذا المفهوم بالمعنىٰ الديني اليهودي المسحوب عن التوراة. وهنا نلاحظ نجاح الصهيونية المتطرفة بتصدير المعنىٰ والمغزىٰ الـديني. وجعلـه مفهومـاً ومـصطلحاً عالمياً لا يقتصر علىٰ اليهود وحدهم بل جرىٰ التأكيد علىٰ عولمة المصطلح والمعنـىٰ الـذي

يحمله. وإن اعتبار اليهود قرباناً تم تقديمه علىٰ محرقة الرب وفرض هذا التحليل التوراتي لحادثة مزعومة يدل علىٰ الأصل التوراتي للحادثة نفسها. إذ كـان اليهـود بحاجـة ماسـة لقيام حدث ربّاني مقدس ينتشلهم من أيادي الأوروبيين الـذين ظلـوا يتقـاذفونهم مـن منطقة إلىٰ أخرىٰ ويعدّون مشاريع عديـدة لـنقلهم وتـوطينهم. وفي الوقـت نفـسه كـان اليهود يشعرون بالمذلة داخل المجتمعات الأوروبية، ويحملـون عقـدة الخطـأ والـشعور بالذنب. ويحملون قلق الخوف مـن المـسيحي الغـربي الـذي لم يـأمن لمعـاشرتهم طـوال عشرات القرون. ومن تلك الأجواء ابتدع الصهاينة أسـطورة المحرقـة. ليـصبحوا مـن خلالها قرباناً مقدّساً وليكون هذا القربان شاهداً دينياً للمـصالحة مـع المـسيحية المؤمنـة بكافة مستوياتها. وكانت النتيجة كـما تمنـىٰ الـصهاينة بالفعـل، فقـد اعتـبرتهم الكنيـسة (الغربية) شـهداء الـرب وأضـحية وقربانـاً، ولكـن حيـنما تـستخدم بعـض الجماعـات المسيحية الأصولية في الولايات المتحدة كلمة «هولوكوست» فهـي تركـز عـلىٰ جريمـة الكبرياء، إذ ترىٰ أن الإبادة عقاب عادل حاق باليهود. وتلك الجماعات ترسخ حـدوث الإبادة كما نلاحظ وتخالف الصهيونية في تحليل معناها. وينظر إلىٰ هذا القربـان البـشري أيضاً علىٰ أنه المسيح المصلوب. ومن هنـا تعطـىٰ قداسـة لليهـود باعتبـارهم كالمـسيح ، وقداسة للإبادة باعتبارها كحادثة الصلب المسيحي.

اليهودية الباطنية

إنّ كافة أنواع المفاهيم الباطنية التي يعتقد بها قلّة مـن المـسلمين إنـما كانـت ذات مصدر يهودي وتوراتي مزيف.

ومن الخطأ الشائع عند المسلمين المعاصرين اعتبار كافـة اليهـود أصـحاب ديـن سماوي، واعتبارهم يعبدون ربنا الواحد الله سبحانه. وبناء علىٰ هذا الاعتقـاد الخـاطئ يقول أهل الشام فيما بينهم أثناء المزاح: (اليهود أولاد عمّنا) كما ويعتقد بعض المسلمين بأن اليهود يتطهرون من النجاسة ويذبحون علىٰ الطريقة الإسلامية وأنـه مـن الممكـن تناول أطعمتهم، ويقول العوام في بلاد الشام: (كل عند اليهودي ولا تنم عنده) لكـن

ذبائحهم أهلّت لغير الله ولذلك يحرم تناول أطعمتهم تحريماً قطعياً اعتماداً علىٰ الآية الكريمة التالية:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[الأنعام6/ 145]

وإنّ اليهود في الحقيقة وحسب نصوص العهد القديم الذي يقدسونه ، تمادوا في الكفر والابتعاد عن مبادئ الديانة السماوية الموحّدة لله عزّ وجلّ وأصبحت اليهودية التي في النصوص تختلف كثيراً عن اليهودية التي وصفها القرآن الكريم. فاليهود استمروا في تعديل وتبديل عقيدتهم علىٰ مدىٰ العصور. وبعد تاريخ الإبادة طرأ تعديل كامل وكبير علىٰ العقيدة اليهودية فأصبحت الديانة الأشد إلحادية ووثنية في العالم كله.

واليهودية باطنية خفية، ونجد في العهد القديم نصوصاً كثيرة تحظر علىٰ اليهودي كشف أسرار اليهودية للغير. وتضع عقوبة إخراجه من الجماعة اليهودية إذا ما باح بأسرار العقيدة. وثمّة نصوص أخرىٰ تأمر اليهودي بأن لا يطلع ابنه علىٰ بعض الأسرار إلّا بعدما يصبح راشداً. وعند إطلاعه عليها يبلغه بضرورة كتم أسرار اليهودية. فمن أين جاءت الباطنية اليهودية؟

- كانت الباطنية اليهودية نتيجة حتمية لمبادئهم العنصرية الكثيرة، مثل: كرههم للآخر وحقدهم الأبدي عليه واعتقادهم بضرورة وواجب القضاء علىٰ كل من ليس بيهودي.
- والسبب الثاني في سيطرة الباطنية علىٰ عقيدتهم هو أنهم قلة وحاقدون ومجرمون، وإذا ما انكشفت أسرار جرائمهم بوضوح وجلاء للآخر فسوف يقضىٰ عليهم وينتهي العرق اليهودي.
- وإن طقوس ممارسة العقيدة والعبادة عندهم، تلك الطقوس الغريبة والمفزعة والتي لا مثيل لها في الديانات الأخرىٰ تعتبر سبباً آخر لجعل عقائدهم وممارساتهم باطنية.

والحقيقة هي أن أفضل حلّ لمشكلة أن يكون المرء يهودياً هو أن يختار ديانة وقومية أخرىٰ ويتبرأ من اليهودية كلها. وهذا ما يحدث عادة في المجتمعات الغربية إذ يتحول اليهود إلىٰ المسيحية، ورداً علىٰ تلك التحولات قامت إسرائيل باستقطاب مليون ونصف مسيحي من الاتحاد السوفييتي السابق وتقوم بمحاولة تهويدهم بصعوبة كبيرة كما تقول التقارير، وتمارس عليهم ضغوطاً كبيرة ليتهودوا وليزداد عدد مواطنيها اليهود.

وعندما نقرأ آية أو نصاً توراتياً يظهر لنا معنىٰ واضح له، ونكتشف بأن اليهود يلوون عنق الكلمات لتعطي معان مختلفة وتفسيراً باطنياً لا نتوقعه. فالآية التوراتية القائلة: « **أنا الرب إلهكم** » يصبح تفسيرها باطنياً كالتالي: أنا بالمفرد وأنتم بالجمع أي قدسية اليهود تعادل قدسية الرب، « **وأنتم** » تعني أيضاً أن اليهود وحدهم من بين كل البشر هم الذين اختارهم الرب ومنحهم القدسية. « **أنا .. وأنتم** » تدل علىٰ العلاقة الخاصة بين اليهود والرب وهي علاقة لها معان كثيرة ومن ضمنها الاشتراك بالتقديس وحلول الرب في الشعب اليهودي الذي يتمثل بكلمة أنتم.

يوم الميعاد اليهودي

كانت الحرب العالمية شديدة الهول، جثث وموت وركام ودمار وأسلحة فتاكة وجيوش، وكان من الطبيعي أن يقول كثير ممن شهدوا تلك الأهوال والخرائب بأن تلك الأيام كانت نهاية العالم وأنها تقرّب يوم القيامة الذي تنبئ به الأديان السماوية. وكان يهود أوروبا يشهدون الأحداث كغيرهم، وحسب عقيدتهم فإن ذلك كان يوم الميعاد نفسه، فهم يعتقدون بأن اليهود سيقدمون أضاحي بشرية من صفوفهم في ذلك اليوم، وبأن الرب سيكافئهم علىٰ أضاحيهم بأن يعيدهم إلىٰ أرض الميعاد ويسكن معهم في جبل صهيون. وأن شعوب العالم كله ستضعف ويفنىٰ الكثير منها، ويصبح الآخرون أذلّة وخدماً وعبيداً في أيدي اليهود، ومن هذه الأجواء العقيدية الخرافية انطلقت أساطير الإبادة لتسرّع يوم الميعاد وتؤكدّ حدوثه، ولتكون مبرراً لليهود أنفسهم ولرب اليهود بالدرجة الأولىٰ ولتكون مبرراً إضافياً لشعوب العالم كله بالدرجة الثانية.

ويوضح النص التالي صفات يوم الميعاد اليهـودي: «.. 9 **قدسـوا حربـاً أنهـضوا الأبطال ليتقدم ويصعد كل رجال الحـرب. 10 اطبعـوا سـكاتكم سـيوفاً ومنـاجلكم رماحاً. ليقل الضعيف بطل أنا... 14 جماهير جماهير في وادي القضاء. لأن يـوم الـرب قريب في وادي القضاء. 15 الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها. 16 والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته فترجف السماء والأرض، ولكـن الـرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل. 17 فتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكنا في صـهيون جبل قدسي وتكون أورشليم مقدّسة ولا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعد. 18 ويكـون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً والتلال تفيض لبناً وجميع ينـابيع يهـوذا تفـيض مـاء ومن بيت الرب يخرج ينبوع ويسقي وادي السنط. 19 مصر تصير خراباً وأدوم تـصير قفراً خرباً من أجل ظلمهم لبني يهوذا الذين سفكوا دماً بريئـاً في أرضـهم. 20 ولكـن يهوذا تسكن إلىٰ الأبد وأورشليم إلىٰ دور فدور. 21 وأبريء دمهم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون**» عن سفر يوئيل، الإصحاح الثالث.

وتاريخياً كان مخطط الهجرة إلىٰ فلسطين قائماً في الذهن الصهيوني منذ نهاية القـرن الثامن عشر وكان العمل والتحضير جارياً باسـتمرار لتحقيـق ذلـك الغـزو، وكانـت الهجرة اليهودية قد بدأت بالفعل قبل إذاعة الأكذوبة. ولم يبـق للـصهيونية إلَّا أن تجـد المبرر الديني المقدس الذي يدق ناقوس الخطر. فجاءت أكذوبة الإبـادة مخططـة بدقـة ومصاغة أعظم صياغة لتكون المبرر الديني اليهودي وتحقق هذه المتطلبات:

- كانت الأكذوبة تعني حلول يوم الميعاد اليهودي، وهو يوم مقـدس عنـد اليهـود إضافة لأنه يوجب عليهم التقيد به والقيام بغزو فلـسطين، وهـذا يكـون مـبرراً للصهيونية بأن تقنع اليهود بالهجرة،والهجرة نفسها مخطـط غـربي يعنـي تخلـص الغرب من اليهود ومشاكلهم، وإزاحتهم نهائياً عن أوروبا. وهو ما يبرر تحـالف الغرب مع الصهيونية في إذاعة الأكذوبة.
- كانت الأكذوبة وربطها بيوم الميعاد اليهودي وسيلة اسـتطاعت الـصهيونية مـن

خلالها إعطاء بعد ديني مسيحي للمسيحيين أنفسهم، الأمر الذي ربط أعمال اليهود الإجرامية والتسلطية برابط ديني مقدس، الأمر الذي منع الغرب المسيحي من التجرؤ على انتقاد أعمال الصهيونية كلها، وكان أهمها آنذاك: إذاعة أكذوبة تضليلية واحتلال بلد عربي له سيادة.

وعلى هذا تم تأطير الأكذوبة والإبادة وجعلها من المقدسات اليهودية، ولأنه لا يمكن مناقشة أمور المقدسات فقد أصبح الغرب يخشى الخوض في مناقشة مقدسات لاهوتية يعتبرها عميقة وتحمل أسراراً ربانية.

وتتحدث أساطير هير مجدون الشهيرة عن يوم ميعاد جديد لليهود، وقد انتشرت هذه الأسطورة في السنوات الأخيرة ورافقت الأحداث السياسية والحربية الأخيرة، بما فيها غزو العراق وأفغانستان وتهديد الدول الإسلامية الأخرى. ويتّبع اليهود الصهاينة باستمرار طريقة الحرب الأسطورية الميثولوجية المرافقة للأعمال العسكرية العدائية. وتنتشر في الغرب اليوم عشرات الكتب التي تتحدث عن أسطورة هير مجدون وهي تنبئ بحرب نووية جديدة تنتصر فيها إسرائيل المقدسة وتقضي على المسلمين وتنقذ العالم من أخطارهم. ويؤمن بهذه الأساطير الصهيونية أكثر من خمسين مليوناً من أتباع فكرها.

عناصر للبحث

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة2/ 88]

بهذه الآية الكريمة يصف الله سبحانه وتعالى اليهود الذين تمادوا في الكفر وفي الإعراض عن ديانة التوحيد التي دعى إليها إبراهيم عليه السلام وموسى وأنبياء اليهود العديدين، إن من يدرس نصوص العهد القديم يدرك على الفور زورها وكفرها، وبمعرفة عقيدة اليهود المعاصرين ندرك بأننا لا نتعامل مع أصحاب ديانة سماوية، بل مع كفار لعنهم الله بكفرهم، وإن القليل منهم من يؤمن بديانة التوحيد.

يقـــــول الله ســـــبحانه: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة2/ 102].

أي يا لسوء العقيدة التي اشتروا أنفسهم بها واعتقدوا بهـا وفـضّلوها عـلىٰ ديانـة التوحيد السماوية. وتركّز نصوص العهد القديم علىٰ المحرقة، وهي هيكل ومحفل يبنيه اليهود في أماكن العبادة. وثمّة أنواع من المحارق ستتعرف عليها وعـلىٰ دورهـا في أداء طقوس العبادة اليهودية. وستتعرف بداية علىٰ هـذا الـنص الـذي اخترنـاه مـن العهـد القديم. وهو يوضّح طقوس المحرقة اليهودية التي هي طقوس عبـادة، ونتعـرف فيـه علىٰ أهمية عناصر تلك الطقوس ، والتي نعتبرها المفاتيح الرئيسة في إعداد هذا البحث، وهي بالوقت نفسه العناصر التي ارتكزت عليها أكذوبة الإبادة. ولنحـدد مـن الـنص هذه العناصر التي تفيدنا في فهم البحث كله:

- هذه شريعة المحرقة - يرفع الرماد

- خارج المحلّة

- ويوقد عليها الشحم - نار دائمة

- كلّ اللبان - رائحة سرور

تذكار للرب

- قدس أقداس - فريضة دهرية

- تحرق بكمالها

- يدخل من دمها

- فطيراً يؤكل

« .... 8 وكلّم الرب موسىٰ قائلاً 9 أوص هارون وبنيه قائلاً هذه شريعة المحرقـة. هي المحرقة تكون علىٰ الموقدة فوق المذبح كل الليل حتـىٰ الـصباح ونـار المـذبح تتقـد عليه... 10 ثم يلبس الكاهن ثوبه من كتان ويلـبس سراويـل مـن كتّـان عـلىٰ جـسده ويرفع الرماد الذي صيّرت النار المحرقة إياه علىٰ المذبح ويضعه بجانب المذبح. 11 ثم

يخلع ثيابه ويلبس ثياباً أخرىٰ ويخرج الرماد إلىٰ خارج المحلة إلىٰ مكان طاهر. 12 والنار علىٰ المذبح تتقد عليه. لا تطفأ ويشعل عليها الكاهن حطباً كلّ صباح ويرتب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة. 13 نار دائمة تتقد علىٰ المذبح. لا تطفأ. 14 وهذه شريعة التقدمة. يقدمها بنو هارون أمام الرب إلىٰ قدام المذبح 15 ويأخذ منها بعض دقيق التقدمة وزيتها وكل اللبان الذي علىٰ التقدمة ويوقد علىٰ المذبح رائحة سرور تذكار للرب ..16 فطيراً يؤكل في مكان مقدس.... 17 إنها قدس أقداس كذبيحة الخطية وذبيحة الأثم. 18 كل ذكر من بني هارون يأكل منها، فريضة دهرية في أجيالكم من وفائد الرب. كل من مسّها يتقدس...23 وكل تقدمة كاهن تحرق بكمالها، لا تؤكل.... 30 وكل ذبيحة خطيّة يدخل من دمها إلىٰ خيمة الاجتماع للتكفير في القدس لا تؤكل، تحرق بنار» عن سفر اللاويين، الإصحاح السادس، صفحة 164

العقل المتطرف لا ينتج إلا تطرفاً

لقد قامت دولة كيان صهيوني علىٰ أسس دينية يهودية، وان كافة الأشخاص الذين عملوا علىٰ كافة الأصعدة، (من تجميع اليهود وتهجيرهم وابتداع أكذوبة المحرقة إلىٰ إقامة دولة الكيان الصهيوني) كانوا متطرفين يهود بحسب تسميتنا لهم، ومتدينين يهود بحسب التسمية الصهيونية لهم، وبالتالي فهم لا ينطقون إلّا بمنطق ديني يهودي ولا يتصرفون إلّا وفق المنطلق نفسه. ولمّا قام هؤلاء المتطرفون اليهود بتصدير حكاية عن إبادة اليهود وتصدير تفاصيل قصصها، فمن البديهي ومن المؤكد أيضاً أن يكونوا قد اعتمدوا (في ابتداعها وتصورها) علىٰ منطلقات وأسس توراتية وعقائد طقسية يهودية. ولفهم منطقهم ومصطلحاتهم لابد من الرجوع إلىٰ عقيدتهم واكتشاف أسرارهم. وهذا ما فعلناه في بحثنا هذا. إن نصوص العهد القديم وهي كتب مقدسة عند اليهود وتعتمد عليها الديانة اليهودية، تشرح لنا ما يحمله الذهن اليهودي في كافة مجالاته الفكرية، وعلىٰ كافة الأصعدة، كما وتجيبنا علىٰ كل التساؤلات

التي نطرحها حول تصرفات وأعمال اليهـود في كافـة الميـادين. وفـيما يخـص المحرقـة النازية التي أعدمت اليهود كما تدّعي الأسطورة، فإن نصوص التوراة تكشف لنـا، أن المحرقة كحقيقة دينية قائمة، بشكلها الطقسي الديني اليهـودي، هـي صـورة ومـشهد وحقيقة قائمة في ذهن كـلّ يهـودي طـوال الأربعـة والعـشرين سـاعة التـي يعيـشها. والمحرقة كفرن حرق للذبائح والأضاحي هي موجودة في كل كنيس يهـودي وربـما في الكثير من بيوت اليهود.والمحرقة الثانية عند اليهود هي المحرقة الكبـيرة أو الـشواة أو ما يسمىٰ بالهولوكوست وهي موجودة أيضاً في مكان مفتـوح خـارج مبنـىٰ الكنـيس اليهودي كأن نقول في فنائه وحديقته، وفيها تحرق جثث الـذبائح الـضخمة كالعجـل والخروف والتيس. فالمحرقة موجودة عند اليهود كمكان حقيقـي لحـرق الأضـاحي، وهي موجودة في الذهن اليهودي وفي الذاكرة اليهودية كـنص مقـدس مـن نـصوص العهد القديم الذي يقرأه كل يهودي ويؤمن به تقريباً.وبعد دراستي الـسريعة للكتـاب المقدس أخمّن بأن كلمة محرقة ومشتقاتها والأمور المتعلقة بها ووصفها والحـديث عنهـا قد مرّ في الكتاب المقدس مئات المرات. كان من الممكن أن تنتقل أسطورة توراتية مـن بين سطور العهد القديم إلىٰ أذهان الشعوب وتـصبح فـيلماً سـينمائياً مـسلياً نـراه مـرة واحدة ثم ننساه، أو لتصبح قصة خرافية نسمع بها فنسلو ونلهو ونسخر منها، أو مقالاً صحفياً يمّر عليه القرّاء مرة واحدة وينسونه بعد ذلك، لكن أن تصبح قـضية سياسـية عالمية فيقال بأن اليهود أحرقوا في الأفـران ، ويحـصل اليهـود عـلىٰ كيـان اسـمه دولـة إسرائيل مقابل أكذوبة تم اشتقاقها من الأسطورة التوراتية . وأن يبتـزّ الـصهاينة مـن دولة ألمانيا ثم سويسرا مبالغ كبيرة كتعويضات مالية. وتصبح المحرقة اليهودية قـضية عالمية يخشىٰ قادة حكومات العالم أنفسهم التشكيك بها، بل وتصبح هذه القـضية هـي وحدها التي يمنع علىٰ كافة مواطني العالم التشكيك بها. وأن يسجن عشرات الباحثين والمؤرخين لأنهم شكّكوا بها. فتلك هي العقدة السحرية التي لا يمكن تصورها.

الفصل الثاني

أساطير الإبادة

أساطير الإبادة المنتشرة

تشمل أسطورة الإبادة الجماعية لليهود في عهد هتلر عدداً كبيراً من الأكاذيب سنتعرف عليها وندرس كافة النواحي المتعلقة بها ونرد علىٰ كل واحدة منها:

1- الإعدام بالديزيل

2- أفران الحرق

3- الإعدام بغاز الزيكلون، ب ، أو السيانيد

4- الهولوكوست أو المحرقة الكبيرة.

5- التصفية الصناعية، أو ما سمي بصناعة صابون الدهن البشري.

6- مبنىٰ لإعدام ألف يهودي يومياً بالرصاص.

7- مخابر تسميم دم اليهود في بولونيا.

8- بحيرة لإعدام اليهود بالصعقة الكهربائية.

9- غرف إعدام اليهود بالأبخرة الكيميائية المحرقة.

10- عربات لإعدام اليهود بالكلس الحي المسفوح.

وإن ظهور عشرات الأكاذيب وشيوعها واعتماد بعض منها لإدانة الألمان أي غضّ النظر عن الباقي، فهذه قضية تستحق الوقوف عندها وطرح التساؤلات حول صحة كل تلك الأكاذيب. هذه القضية تدعونا للاستنتاج بأن الجماعات اليهودية

المتطرفة انشغلت آنذاك بالبحث وابتداع أكاذيب تـتهم النازيـة وتـدعو للعطـف علىٰ اليهود، واستطاعوا أن ينشروا عدداً كبيراً ومتنوعاً مـن الأكاذيـب. فوجـد اللاعبـون ومن بينهم قادة الدول المنتـصرة في الحـرب، وجـدوا أنفـسهم آنـذاك أمـام خرافـات وأكاذيب عديدة ، فقاموا بانتقاء ما هو قابل للإقناع وما هو أقل خرافة أو ما هـو أكثـر فظاعة واعتمدوا عليها كوثائق إدانة. كما أن اليهود أنفسهم انتقوا تلك الأكاذيب التـي تعتمد علىٰ قدسية توراتية لتكون مبرراً دينياً يهودياً يتوافق مع شريعة المحرقة، ويكـون مقبولاً ومبرراً لدىٰ الشعب اليهودي. ولتكون بالوقت نفسه مـبرراً تـضحوياً ليـشفق ويعطف ربهم عليهم ويعيدهم إلىٰ أرض فلسطين. فتم اعـتماد خمـسة اتهامـات رئيـسة تحمل طابعاً قدسياً عند اليهود ، وسنكتشف ذلك عند عرضنا لنصوص التوراة:

فالحرق مقدس كأضحية يهودية تتحوّل إلىٰ رماد.

والدهن مقدس في التوراة ويعتبر للرب وحده.

والغازات والروائح مقدسة في التوراة وتعتبر روائح سعادة للرب.

وإن الأساطير الخمسة التـي تـم اعتمادهـا كاتهامـات دامغـة. تتفـق في صـورها التضحوية مع نصوص ومفاهيم العهد القديم، وقـد تـم جمعهـا خـلال بـضعة أشـهر وشكّلت أكذوبة واحدة وهي أسطورة إبادة اليهود. والأهم مـن ذلـك هـو أن صـور ومشاهد الإبادة والاضطهاد هذه تم أخذها من كتب العهد القـديم ونقلهـا إلىٰ العـالم المعاصر وبالوقت نفسه تم تحويلها إلىٰ صور مشخصة حديثاً ظلّ اليهود طوال أكثر من نصف قرن يطالبون العالم كله بأن يعتقد بأنها حقيقية.

وهنا سنحتاج إلىٰ براهين وأدلة وتحقيقات عديدة سنفصّلها في كتابنا:

1. أدلة علىٰ أن الصور والمشاهد التوراتية هي نفسها التي تحولت إلىٰ صور سياسية
2. أدلة علىٰ أن اليهود هم أنفسهم الذين نقلوا تلك الصور من كتب العهد القديم إلىٰ الواقع السياسي الدولي المعاصر.
3. معرفة مصلحة اليهود بأن يشيعوا صوراً توراتية في أذهان غير اليهود؟

4. هل خدع اليهود ربهم حين ادّعوا بأنهم أحرقوا وأبيدوا ودفعوا ضريبة العطف عليهم وإعادتهم إلىٰ أرض فلسطين؟ ثم هل يعتقدون بأن ربهم يمكن خداعه؟
5. معرفة سبب سكوت قادة وحكام الغرب وسياسييه عن تلك الأكاذيب.
6. إثباتات بأن الدولة الصهيونية قامت علىٰ أساس الأكذوبة وأن فضح الأكذوبة نفسها يفلس الصهيونية عالمياً ويقضي علىٰ دولة إسرائيل.

خصائص صور الإبادة

إن كافة صور الإبادة التي اتهم النازيون بارتكابها تحمل صفات غريبة ومذهلة ويمكن تلخيصها بهذه النقاط:

كافة صور الإبادة المزعومة نجد صوراً مطابقة لها كل التطابق في نصوص العهد القديم.

إنها صور ملحمية وأسطورية وتحمل طابع الخرافة وتحمل الشكل السينمائي الذي يبهر المتفرج.

اعتمدت الصهيونية اليهودية بعد إذاعة الأساطير اعتماداً كلياً في كافة سياساتها ومسيرتها وفكرها وعقيدتها علىٰ الإبادة كنقطة انطلاق جديدة.

نجد في التاريخ اليوناني صوراً كثيرة مشابهة لهذه، فقد كان اليونان يقدّمون أضاحي بشرية تقدمة للآلهة الغاضبة عليهم. وكانوا أيضاً يحرقون جثث موتاهم في محارق هائلة أحياناً، ويقدّمون في تلك المحارق أثمن ما يمتلكون من نبيذ ومحاصيل وممتلكات وفتيات جميلات لإرضاء آلهتهم. وفي القرآن الكريم يصف الله سبحانه اليهود بأنهم يقتلون أولادهم ويقدمونهم كأضاحي بشرية:

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ ﴾ [الأنعام 6/ 137].

لقد حملت أسطورة الإبادة تلك الصور لتحقيق أهداف صهيونية عديدة. وكانت تسعىٰ من ورائها إلىٰ استدرار الشفقة والعطاء.

إن كافة أعمال الماكينة العسكرية الألمانية من هجومات واحتلال وقصف وتدمير كلها كانت تتصف بسمات الحرب الحديثة، وكلها لم تكن تحمل صوراً ملحمية وأسطورية وخرافية وسينمائية كصور الإبادة التي ابتدعتها الصهيونية. فعندما دخل النازيون مدناً سوفيتيية، أبادوا خلال أيام مئات الآلاف من الروس، وبطريقة عسكرية عادية،فلم يستخدموا الأفران هناك ولا غرف الغاز وبالوقت نفسه لم يتهمهم أحد بفعل ذلك. فلماذا لم يتمكنوا من إبادة اليهود غير المسلّحين والموجودين في أراضيهم طوال سنوات الحرب كلها بالطرق العسكرية والحربية العادية ؟ ثم لماذا لجأ الألمان إلىٰ طرق إبادة أسطورية حين أبادوا اليهود فقط ؟ هنا يتشكل في أذهاننا دليل قوي علىٰ أن صور الإبادة الخرافية لم تكن من صنع الماكينة العسكرية الألمانية ولا إدارة الرايخ بل هي من صنع عقل متطرف منشغل بالأساطير وهو العقل اليهودي نفسه. وهذه الأسئلة التي نطرحها علىٰ المخدوعين بأسطورة الإبادة.

وهنا نكتشف دليلاً جديداً علىٰ أن أساطير الإبادة لم تكن إلّا صوراً توراتية وخرافية ومزاعم صهيونية فاشلة.

ولعلّ من أهم صور الإبادة تلك التي يصدّرها اليهود والتي تحمل تفسيراً دينياً إذ يقال بأن حدث الإبادة هو حدث مقدس يماثل حادثة صلب المسيح وأن الشعب اليهودي الذي أبيد إنما هو يمثّل المسيح الذي صلب، وكما أن المسيح قام بعد صلبه فإن الشعب اليهودي قام وأنشأ دولة مقدسة هي إسرائيل. كما ويعتبر يهود آخرون أن الإبادة هي هدم الهيكل اليهودي للمرة الثالثة، وأن أشويتز هي الهيكل اليهودي المقدس.

الأسطورة الأولى

غرف الغاز

تقول الأكذوبة التاريخية التي تدعمها إسرائيل والصهيونية العالمية: إنّ غرف الغاز السامّ موجودة في مدينة آوشفيتز وستروتهوف وماوتهازين وماجدانيك وبيلزيك وسوبيبور و ترويبلينكا ورافينسبروك ودورا وأوريانينبورغ، وبعد الحرب أصبحت تلك متاحف يزورها السياح والطلاب وأنها تحوي تجهيزات خاصة وأنابيب ومضخات وخزانات كبيرة، وهذه الغرف هي عبارة عن صالات واسعة تحوي رشاشات عديدة موصولة بأنابيب.

وتقول الأكذوبة: إن غاز السيانيد كان يضخ في تلك الأنابيب بعد إدخال اليهود إلىٰ الصالات بحجة الاستحمام. فيقتل اليهود علىٰ الفور ويقوم العمال بسحب الجثث وإدخال دفعات أخرىٰ من اليهود مرات متتالية.

وإن تلك الحمّامات الألمانية، وهي حمّامات جماعية موجودة في معسكرات الاعتقال، وماتزال قائمة حتىٰ يومنا هذا، وقد التقيت بكثير من العرب الذين زاروها ووصفوها بدقة، ومن وصف الباحثين لها ومن خلال الصور نتأكد بأنها لم تكن محصّنة ضد التسرب الغازي ولم تكن مجهّزة إلّا لأجل النظافة والاستحمام.

ويلخص الباحث الفرنسي البروفيسسور روبير فوريسسون رأيه حول غرف الغاز المزعومة فيقول: «استخدم الغاز HGN في زمن الحرب الألمانية لتطهير الثياب، إن هذه الغرف كانت موجودة لدواعي صحية خالصة. وان ما يراه زوار المتاحف ليس سوىٰ غرف حمّام، غرف باردة».

وان مئات الباحثين والمؤرخين الأوروبيين يؤكدون اليوم رأي فوريسسون، لكنهم يمنعون علىٰ الدوام من التصريح بآرائهم ومن نشر أبحاثهم.

غاز للتعقيم

تتم صناعة غاز Ziglon – B من أساس حامض السيانيد، وصيدلانياً يستخدم زيكلون ب لتطهير الثياب والأدوات من الأوبئة القاتلة لاسيما حمىٰ التيفوس وكانت طريقة التطهير هذه معروفة قبل الحرب العالمية الثانية ومما لشك فيه أن ألمانيا النازية استخدمت هذا الغاز للتعقيم من الأوبئة حفاظاً علىٰ الصحة العامة. سيما وأن الأوبئة والأمراض المعدية قد انتشرت في زمن الحرب الطويل.

وفي هذا الصدد يقول روبير فوريسسون « **لم يعرّض لهذا الغاز سوى القمل وحده..**».

وقد استخدم حامض السيانيد للإعدام للمرة الأولىٰ في ولاية آريزونا الأمريكية عام 1920 حيث سلّط علىٰ شخص محكوم عليه بالإعدام. وبعد ذلك استخدمت الطريقة ولايات أمريكية عديدة : كاليفورنيا و كولورادو وماريلاند وميسيسيبي وميسوري ونيفادا ونيومكسيكو وكارولاينا الشمالية، واليوم تخلّت عدة ولايات عن استخدام ذلك الغاز في الإعدام بسبب التكاليف الباهظة للغاز نفسه، وأيضاً لتكاليف مواد التصنيع والصيانة وتدابير الأمن التي يقتضيها استعماله. تلك المتطلبات التي تجعل منها أعلىٰ أنواع الإعدام كلفة.

كما تحتاج قاعة الفرن لتكاليف عالية جداً، وذلك بفضل ضرورة التهوية بعد التبخير بالغاز زيكلون ب كحد أدنىٰ قدره عشر ساعات، ويزيد ذلك عند زيادة مساحة المبنىٰ (الفرن) كما ويحتاج البناء إلىٰ عوازل محكمة، إذ يجب تلبيسه من الداخل بمادة الايبوري أو الفولاذ السميك غير القابل للأكسدة كما ويجب أن تكون الأبواب مزودة بمفاصل من الأميانت أو المطاط الصناعي، ولا يمكن دخول غرف الغاز هذه قبل عشر ساعات من التهوية النظامية.

وبمقارنة هذه الشروط اللازمة لغرف الغاز مع الحمامات الألمانية نكتشف أن الأخيرة لا تحتوي أياً من شروط السلامة والاستخدام لو أنها كانت غرف غاز للإعدام، ومن ذلك تظهر بجلاء الأكذوبة المزعومة.

شهادات قليلة

إن الأسطورة أكبر من حقيقتها، فقد اعتمدت الإدانة وتصديق الأكذوبة واعتمادها علىٰ شهادات قليلة جداً وفاقدة للثقة وغير مقنعة، وبالمقابل فان الإدانة نتج عنها تسليط اليد الصهيونية الضاربة والتغاضي عن جرائم قتل كثير قامت بها، وأحقيّة إقامة دولة إسرائيل وإلزام الألمان بدفع تعويضات كبيرة لإسرائيل.

ولنستعرض هنا كافة الشهادات المثبتة:

1. شهادة جورج ويلرز

كان جورج ويلرز مؤرخاً متخصصاً بالحقبة النازية ومدير معهد التاريخ المعاصر في ميونخ، وقد كتب عن غرف الغاز يثبت وجودها بثلاث نقاط وهي:

- الوثائق الألمانية
- شهادات واعترافات أعضاء قدامىٰ من فرقة الصاعقة الألمانية
- شهادات المعتقلين في زمن الحرب.

ولم يتطرق في إثباتاته أبداً إلىٰ غرف الغاز التي مازالت موجودة، والتي يزعم مناصرو حدوث الإبادة بأنها كانت غرف الإعدام ويقول في بحثه بأن الألمان كانوا قد دمروا كافة المباني التي استخدموها للإبادة الجماعية - عدا غرفة ماغدانيك - قبل أن تضع الحرب أوزارها.

وهذه الشهادة تتناقض مع المقولة التي تزعم بأن غرف الغاز مازالت موجودة. وهنا يفيدنا جورج ويلرز عندما يخالف بعض النقاط في أكاذيب الإبادة المزعومة. والتناقضات في الروايات العديدة والكثيرة تدل علىٰ وجود أكاذيب وأساطير وهمية.

ولنتفحص الشهود الذين اعتمدهم جورج ويلرز بموضوع حمّامات الغاز.

الوثائق الألمانية

يستشهد جورج ويلرز بمراسلتين ليستا ذات أهمية إن من حيث المعلومات أو من حيث المكانة التي كانتا تشغلانها ولاحتىٰ من حيث الروايتين اللتين قدمتاهما. فيعتمد ويلرز علىٰ أهمية العبارة التي وردت في الوثائق النازية وهي Vergsumg Keller وترجم معناها إلىٰ عبارة غرفة الغاز ، بينما يرىٰ الباحثون الآخرون وأهمهم روبير فوريسسون بأن تلك العبارة تعني الغرفة التي كان يجري فيها تركيب الغاز المشغّل للأفران الحارقة الصناعية.

اعترافات الألمان النازيين

يعتمد ويلرز علىٰ اعترافات وشهادات كل من: رودولف هيسس وكان أحد قائدي معسكر آوشفيتز، بيري برود وكان مسؤولاً في الشرطة الألمانية. يوهان بول كريمر وكان طبيباً أمضىٰ حوالي مئة يوم في معسكر آوشفيتز في العام 1942.

وفي شهادة رودولف هيس Rodolf hess . وردت هذه العبارات في اعترافاته التي انتزعت منه أثناء التحقيقات التي تلت الحرب: «**بعد نصف ساعة من ضخ غاز السيانيد كانوا يفتحون الباب ويشغّلون جهاز التهوية ويباشرون فوراً في إجلاء الجثث، وكانوا يسحبونها وهم يأكلون ويدخنون**».

حقق روبير فوريسسون بطريقة علمية منهجية في هذا النص فقد ذهب إلىٰ الولايات المتحدة وتفحص هناك غرف الغاز القاتلة التي تستعمل للإعدام باستخدام غاز السيانيد، كما ودرس خصائص حامض السيانيد ومحاذير استخدامه وقدراته السريعة علىٰ التسميم والإبادة، ودوّن هذه النتائج: «كتب هيس في شهادته أنه بعد نصف ساعة من إلقاء الغاز كانوا يفتحون الباب للتهوية وكانوا يشغّلون جهاز التهوية، ويباشرون فوراً بإخلاء الجثث، وأن العمال كانوا يسحبون الجثث وهم يأكلون ويدخّنون، بينما الغرفة مازالت مليئة بالغاز أليس كذلك؟ وهذا يعني أنهم لم يكونوا يضعون قناعاً واقياً من الغاز ، وهذا مستحيل لأنهم كانوا سيموتون. »

تحقيق لروجيه غارودي

وكتب روجيه غارودي حول شهادة هيس معتمداً علىٰ تقرير لوشتر عن نسبة السيانيد التي اكتشفت بالتحليل بعد أخذها من الأفران المحتملة:

«قدّم المحامي كريستي الوثيقة رقم PS 1553 من نورنبيرغ مع عدة فواتير لاحقة. وقد سلّم السيد هيلبيرغ بأن كمية غاز زيكلون ب المرسلة إلىٰ أورانينبورغ كانت الكمية نفسها المرسلة إلىٰ آشوفيتز في اليوم نفسه . إلّا أن هيلبيرغ يشير إلىٰ أن أورانينبورغ كان معسكر اعتقال ومركزاً إدارياً لم يعرّض أحد فيه للغاز السام. ومع ذلك فإن العيّنات المأخوذة وخبرة لوشتر تبين أن آثار حمض السيانيد في زيكلون ب كانت أكبر بكثير في القاعات التي كان من المؤكد أنها كانت مخصصة للتطهير، منها في القاعات المخصصة حسب الادعاء للتسمم بالغاز. كان من المفترض أن يكون معدل السيانيد في غرف غاز الإعدام أعلىٰ بكثير حسب المنطق العلمي وهذا يدل علىٰ أنه لم تكن تلك غرف غاز للإعدام» ويبحث غارودي في إثباتات أخرىٰ فيقول:

«... إن الفيلم الذي عرض في نورنبيرغ خلال المحاكمات كإثبات قوي أظهر غرفة غاز واحدة هي غرفة غاز داشو، بينما الغرفة نفسها الموجودة حالياً كمتحف وإثبات، عليها لافتة يقرأها كل سائح وتقول:

(هذه غرفة غاز لم تنجز قط ولم تعمل ولم يعرّض فيها أحد للغاز)

ويعترف بلاغ لمارتين بروسنزايت (1) بأنه لم يعرّض أحد للغاز السام لافي داشو ولافي بيرغين بيلسين ولا في بوشينفايلد ....»

ويذكر أن غرفة غاز داشو كانت الوحيدة التي عرضت صورتها علىٰ المتهمين بوصفها أحد مواضع الإبادة الجماعية وأن اثنان من المتهمين لم يصدّقا ولم يؤيدا تلك المزاعم وهما غورينغ و سترايشر. لكن رغم ذلك وعلىٰ أساس هذا الفيلم وهذا الزعم الذي يخالف المنطق تم الحكم علىٰ المتهمين جميعاً وتم التسليم بالأكذوبة لتنطلق إلىٰ العالم كله علىٰ أنها حقيقة.

ميشيل بوار يتراجع

يعترف ميشيل بوار بأنه كان أحد المخدوعين بأكذوبة أفران الغاز وبأنه كتب عنها مؤكداً حقيقة وجودها . لكنه في العام 1986 يكتشف الحقيقة ويصبح أحد أهم المعادين للأكذوبة ويصرح قائلاً: **«في الدراسة التي قدمتها من قبل حول ماوتهاوزين عام 1954 تحدثت مرتين عن غرفة الغاز ، واليوم جاء زمن التفكير السليم وقلت في نفسي: تراني من أين اكتسبت تلك القناعة بوجود غرفة غاز في ماوتهاوزين ؟؟ لم يحدث شيئاً من ذلك أثناء إقامتي في المعسكر ولم أكن لا أنا ولا أي شخص لنتوقع وجودها وعملها في تلك الأيام. إن تلك الفكرة لم تكن سوى متاع تلقيته بعد الحرب عندما شاعت الأكذوبة في العالم كله، وبالعودة إلى نصي السابق فلن نجد فيه أي إسناد على وجود غرف الغاز في حين أنني اليوم أمتلك أسانيد وتأكيدات على عدم وجودها.....(2)**

غابرييل كونت يتحدى

يقول الباحث الفرنسي غابرييل كونت بنديت:

«... فلنقاتل من أجل هدم غرف الغاز المزعومة .. تلك التي تعرض علىٰ السياح في المعسكرات السابقة، والتي نعلم الآن بأنه لم يكن يوجد فيها أية غرفة للإعدام. » (3)

تناقضات كثيرة

في كتابه المسمىٰ (هكذا كان) كتب فرناند كرونيية يقول:

«... إلى جانب الأفران الأربعة المعدة لحرق الجثث والتي لم تكن تنطفئ أبداً. كانت توجد غرفة فيها رشاشات للاستحمام، وفي أعلى سقفها أقماع للمرشات. وفي العام الماضي 1944 كان مئة وعشرون طفلاً تتراوح أعمارهم بين ثماني سنوات وأربع عشرة سنة، قد أعطوا مناشف للاستحمام. وكانوا قد دخلوا فرحين مفعمين بالسعادة.

فأغلقت عليهم الأبواب وتسربت من الرشاشات غـازات خانقـة بعـد عـشر دقـائق ، وكان الموت قد أخذ الأبرياء الذين نقلوا إلى الأفران الحارقة التي حـوّلتهم بعـد سـاعة إلى رماد..»(4)

وبالتمعن في النص السابق تتضح لنا تناقضات عديـدة ، وإن بنيـة الـنص نفـسه تدل علىٰ أنه زعم ونفاق وأنه مـصنوع لخدمـة الـصهيونية ولمـن يمثلهـا.والـنص أدبي وروائي أكثر من كونه تأريخاً للحدث. وتتضح صـيغة الروائيـة فيـه مـن ذكـر الأولاد بهدف استمالة المشاعر الرقيقة تجاههم، وإن ذكر علامات الفرح والسعادة العارمة التي يتحلّون بها أثناء دخولهم الحمام تلـك أيـضاً صـيغة مـشهد روائـي يهـدف إلىٰ اسـتمالة العواطف البشرية تجاههم وإلىٰ وصفهم بـالبراءة والجماليـة الطفوليـة. وتلـك صـورة السعادة كلها لم تكن لتحـدث في معـسكر اعتقـال نـازي يـسود فيـه الجـوع والمـرض والموت. ولنطّلع علىٰ رأي روبير فوريسسون بذلك النص فهو يقول:

«... إن شهادة فرنارد كرونبية تحتوي على أثني عشر تناقضاً، وهي:

1 من غير الممكن وجود أفران تعمل ليل نهار بدون توقف

2 الحمامات الكاذبة التي يتحدث عنها ليست موجودة .

3 إنه لا يحدد التاريخ والشهر والساعة.

4 ذكر الأولاد

5 ذكر عدد الأولاد

6 ذكر أعمار الأولاد

7 ذكر عدد المناشف 120

8 تصوير سعادة الأولاد وفرحهم التام عند دخولهم الحمامات.

9 يتحدث عن إقفال الأبواب بالجمع أي عن وجود أبواب عديدة لغرفة غاز واحدة

10 الغازات الخانقة

11 يحدد مدة عشر دقائق حتىٰ يموتوا

12 حرق الجثث في الأفران، يقول أنه خلال ساعة واحدة فقط تم حرق مائة وعشرين جثة في أربعة أفران. وهذا غير ممكن أبداً ففي هذه الأيام وفي الأفران الحديثة المتطورة عن صناعات العام 1944 وفي فرن مقبرة الأب لاشيز في باريس، يستغرق حرق 120 جثة في أربعة أفران مدة 225 ساعة أي حوالي تسعة أيام بمعدل 45 دقيقة لكل جثة لم يصلها مضاد للجراثيم أو ستين دقيقة للجثة العادية..»

ومن كل ما تقدم نصل إلىٰ النتائج التالية:

- لقد تم الضغط علىٰ الشهود وانتزاع الأقوال منهم بالقوة، وسنفصّل ذلك في هذا البحث.

- إن أقوال الشهود التي انتزعت منهم الاعترافات ليست جميعها متقاربة وهم لا يقولون الشيء نفسه ولا يذكرون الروايات نفسها، وهذا ما يحمل أي باحث علىٰ التشكيك بشهاداتهم.

- إن قواعد استخدام غاز السيانيد شديدة التحذير والدقة، وتحتاج إلىٰ غرف معزولة بدقة كبيرة كي لا يتسرب السيانيد منها فيؤدي إلىٰ موت من هم في المباني المجاورة وإن طرق العزل المطلوبة ليست موجودة علىٰ الإطلاق في الحمامات النازية.

- لو أن غاز السيانيد قد استخدم في تلك الحمامات الألمانية لكان سيتسرب من أنابيب المجاري الواسعة وسيصل إلىٰ الخارج وإلىٰ المباني المجاورة وأهمها مبنىٰ مستشفىٰ الصاعقة الملاصق للحمّامات والمشترك معها بأنابيب المجاري الأرضية الواسعة. ونظرياً كان سيقتل نزلاء المستشفىٰ المجاور.

- إن التعريضات للغازات القاتلة في تلك الحمّامات تسيء إلىٰ قواعد الفيزياء والكيمياء.

- يقول الصهيوني ف د روبينشتاين: «**لو ظهر أن الهولوكوست ليست سوىٰ عملية تضليل لاختفىٰ السلاح رقم 1 في ترسانة إسرائيل**»(5) وهذا يدلنا علىٰ تركيز

إسرائيل علىٰ ضرورة استمرار الأكذوبة التاريخية

وبتاريخ 16 / 12 / 2006 أعلن الحاخام اليهودي داود صلاح عن عدم قناعته بوجود غرف الغاز المزعومة وأكّد بأن الصهيونية العالمية ودولة إسرائيل تستفيدان من تلك الأكذوبة لتستبدّان بالشعب الفلسطيني ولتحصل إسرائيل علىٰ تعويضات مالية من الدول الغنية.والحاخام اليهودي داود صلاح هو من حركة ناتولي كارتا اليهودية والمعادية للصهيونية ولسياسة دولة إسرائيل، (50)

غرف الغاز التوراتية

يعتقد اليهود - كما بيّنا - بالحلول الإلهي في السحاب، والسحاب هو مجموع ذرات منتشرة يشبهها اليهود بالغازات المنتشرة وهذه الغازات تمثل الحلول الإلهي وأحد صوره. ولذلك فإنها مقدسة بقداسة الرب نفسه لأنها تمثله ولأنها هي هو حسب التفسير الفلسفي اليهودي. وفي الوقت نفسه فإن الرب يحل في شعبه اليهودي. ويتمثل فيه وإن صورة الإبادة بالغاز تعني اتحاد عناصر متناثرة ومتفرقة ومترشذمة تمثل الرب أي إعادة وحدة الرب وإعادته إلىٰ اتحاده.ويأتي حرق الجثث اليهودية بعد إعدامها بالغاز ليؤكد علىٰ اتحادها مرة أخرىٰ مع الرب الذي يتمثل في ذرات وشهب نار المحرقة. وهنا يتحد الرب بالشعب اليهودي تماماً ولا يبقىٰ إلّا الرماد.وهذه هي التفسيرات اليهودية التي صدرت بعد إذاعة أساطير الإبادة. ومنها نكتشف جانب المنشأ أي منشأ الأساطير نفسها والتي هي أطروحات عقيدية كاذبة تعتمد علىٰ العقيدة والنص التوراتي.

وكان لابد لليهود من تلك الادعاءات لأنها الخطوة الرئيسة في المشروع اليهودي الكبير وهو مشروع سياسي وديني في وقت واحد.

تصف التوراة بإسهاب كبير مذبح البخور، فتتحدث عن بنائه وعن أبعاده وعن المواد التي يصنع منها وتصف كيفية تحضير البخور وتقديمها للرب. ومذبح البخور

هو محرقة أخرىٰ تقام في المعابد اليهودية، وهذه المحارق تصدر روائح كريهة ومنفّرة ورغم ذلك فإن نصوص العهد القديم تصفها بأنها رائحة سرور للرب. ومما لاشك فيه بأن اليهود المتطرفين قد نسخوا صورة عن مذبح البخور هذا وأذاعوها علىٰ أنها غرف الغاز النازية. ولنحقق في هذا النص اليهودي:

« 15 ويأخذ منها بقبضته بعض دقيق التقدمة وزيتها وكل اللبان الذي علىٰ التقدمة ويوقد علىٰ المذبح رائحة سرور تذكارها للرب .... 17 إنها قدس أقداس كذبيحة الخطية وذبيحة الإثم. 18 كل ذكر من بني هارون يأكل منها ، فريضة دهرية في أجيالكم من وفائد الرب . كل من مسّها يتقدس.....» اللاويين ، الإصحاح السادس.

ويعتقد اليهود بأن ذرات هذه السحب الدخانية مقدسة وأن الرب قد حلّ فيها، فهم يرون أن الرب يحل في كلّ المقدسات، وأنه ليس سوىٰ هذا الحلول. ولعلّ هذه الذرات الدخانية المقدسة هي نفسها التي وجدت في أفران الغاز وحمامات الغاز وغازات الديزيل الخانقة وهي حسب اليهودية الأداء الرباني العقابي لليهود وبالوقت نفسه اتحاد الرب بشعبه اليهودي في يوم عظيم ومرتقب وهو يوم الميعاد اليهودي، الذي يعلن لهم عن نهاية التاريخ اليهودي، والبدء بعهد يهودي جديد وهو عهد التوطين في صهيون.

لم تخرج صورة الإبادة بالغاز إلّا من تلك الصور التوراتية الخفية. وبهذه الأسطورة الرهيبة استطاعت الصهيونية أن تلبي أيضاً كل الشروط المناسبة للمخطط الصهيوني الكبير:

- أسطورة الإبادة بالغاز ظلت ضمن إطار التصور العقيدي اليهودي وضمن إطار المقدسات وجعل الإبادة مقدسة في أذهان اليهود والمسيحيين
- وهي صورة إبادة رهيبة تخالف الإنسانية والعقائد والشرائع وبواسطة ذلك يصبح اليهود ضحية أعمال إبادة رهيبة ومرعبة فيستدرّون الشفقة وبالتالي المكاسب الكبيرة، ويصبحون الأضحية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية كلها.

- تحمل هذه الصورة شكلاً حديثاً للإبادة فهنا تستخدم غازات كيميائية سامة وأجهزة تحضير وضخ واستخدام، وهذا يعطي جانباً علمياً للإبادة يتوافق مع عقلية القرن العشرين وتطوره الصناعي والعلمي، الأمر الذي يكون أكثر إقناعاً للذهن البشري المتلقي والمستهدف.

الرب يطلب الغازات

وفي النص التالي يطلب الرب ويأمر بتحضير روائح عديدة ناتجة عن الحرق والروائح والبخور واللبان ودخان كل تلك الأجواء الطقسية التي يمكننا تخيلها بعد حرق ثور أو تيس أو كبش أو ضحية بشرية.

إن تلك الغازات التي نتجت عنها أسطورة الإعدام بالغاز تتحدث عنها التوراة في مواقع عديدة وتصفها بأنها رائحة سرور للرب.

«.. 5 ويوقدها بنو هارون علىٰ المذبح علىٰ المحرقة التي فوق الحطب الذي علىٰ النار وقود رائحة سرور للرب. » من سفر اللاويين الإصحاح الثالث صفحة 159

البخور العطر

يصف العهد القديم مذبح البخور، وهو يختلف عن المحرقة ومذبح المحرقة. ومذبح البخور هو تقدمة من اليهود لرب اليهود الذي أمرهم بصنعه له، ويقيم اليهود طقساً دينياً حول هذا المذبح لسعادة ومجد رب اليهود. وتصف نصوص العهد القديم مذبح البخور بهذه الأوصاف:

«... 25 وصنع مذبح البخور من خشب السنط طوله ذراع وعرضه ذراع مربعاً وارتفاعه ذراعان . منه كانت قرونه. 26 وغشاه بذهب نقي سطحه وحيطانه حواليه وقرونه. وصنع له إكليلاً من ذهب حواليه. 27 وصنع له حلقتين من ذهب تحت إكليله علىٰ جانبيه علىٰ الجانبين بيتين لعصوين لحمله بهما. 28 وصنع العصوين من خشب

السنط وغشاهما بذهب. 29 وصنع دهن المسحة مقدساً . والبخور العطر نقياً صنعة العطار...» عن سفر الخروج، الإصحاح السابع والثلاثون صفحة 151 من العهد القديم. ونلاحظ وجه الشبه بين الشكل العام لهذا المذبح والشكل العام لفرن الحرق الألماني فنكتشف أحد أركان الأكذوبة اليهودية.

إن صورة مذبح البخور الموجودة في الذاكرة اليهودية وفي العقل اليهودي باستمرار وهي الصورة نفسها المرئية، أي التي يراها اليهودي كلما دخل الكنيس ،هي الصورة التي قام اليهود بتجسيدها وإظهارها لشعوب العالم فقد بحثوا في المخلفات الألمانية عن صورة مشابهة للصورة (التوراتية) فعثروا علىٰ صورتين مشابهتين لها وهما صورة متخيلة لسيارة الديزيل الخانقة بواسطة الغاز وصورة متخيلة أخرىٰ وجدوها في حمامات الغاز الخانقة. وقد تمّ إسقاط الصور التوراتية علىٰ مجسمات مشابهة لها بالشكل، وهذا الإسقاط هو في حقيقته عمل تشخيصي وسينمائي أكثر من كونه بحث وتحقيق تاريخي. ورغم أن هذا الإسقاط بين ماكينتي إبادة يعتبر فاشلاً فقد نجح اليهود بتصديره إلىٰ العقول وإذاعته حتىٰ بدا للبعض كأنه حقيقة.

«...6 ويرش الكاهن الدم علىٰ مذبح الرب لدىٰ باب خيمة الاجتماع ويوقد الشحم لرائحة سرور للرب..»

عن سفر اللاويين، الإصحاح السابع عشر.

وفي النص السابق يتضح لنا معنيين اثنين:

1 - هنا يرش الدم رشاً؛ أي ذرات ونقاط وليس سفحاً كما جاء في نصوص تصف مناسبات أخرىٰ، ويكون الرش علىٰ مذبح الرب، أي لأجل الرب نفسه وإرضاءً له، يتم رش الدم، يوقد الشحم لأجل الرب ولرائحة سرور الرب، أي أن الرب يسرّ ويسعد عندما تصدر روائح الشحوم المحروقة من معابد اليهود. وروائح سفح الدم البشري والحيواني وإن الرب يريد ويطلب من يهوده هذه الروائح الكريهة.

2 - ولمّا كانت روائح الشحوم تسرّ وتسعد الرب فقد جاءت روائح حـرق اليهـود في ألمانيا لتسعد وتسر رب اليهود أيضاً. ولعلّ هـذا هـو أحـد التـأويلات اليهوديـة لأكذوبة المحرقة النازية.

بخور الأظافر البشرية أيضاً

«... 24 وقال الرب لموسىٰ خذ لك أعطـاراً . ميعـة وأظفـاراً وقنّـة عطـرة ولبانـاً نقياً.تكون أجزاء متساوية. 25 فتصنعها بخوراً عطراً صنعة العطار مملحاً نقياً مقدساً. 26 وتسحق منه ناعماً وتجعل منه قدّام الشهادة في خيمة الاجتماع حيث أجتمع بـك. قدس أقداس يكون عنـدكم. 27 والبخـور الـذي تـصنعه عـلىٰ مقـاديره لا تـصنعوه لأنفسكم . يكون عندك مقدسـاً للـرب. 28 كـل مـن صـنع مثلـه ليشمّه يقطـع مـن شعبه...» عن سفر الخروج الإصحاح الثلاثون ص 138 .

ومن النص السابق نستنتج هذه النقاط:

- استهانة اليهود بمكانة الرب ووصفه كالبشر، في قول النص **حيث أجتمع بك**
- تقدمة البخور واجب يهودي أمر به الرب.
- يقدم البخور للرب وحده فحسب
- هذا البخور مقدس للرب، بل إن الرب يريده وهو يطلبه من اليهود.

إن كلمة (أظفاراً) هي جمع ظفر وهو بلا شك ظفر حيـواني ويعـرف البيولوجيـون بأن حرق الظفر الحيواني يعطي رائحة تـسمىٰ (كيتينيـة) وهـي شـبيهة بعـض الـشيء برائحة حرق الشعر. وفي حرق الظفر البـشري يـتم حـرق منـتج بـشري، وهـو ظفـر الإنسان، إذ لا يمكن الحصول بسهولة علىٰ ظفر حيوان، ثـم إن الـنص لا يحـدد ظفـر حيوان بعينه وهذا يعني أنه ظفر إنسان. وبحرق هذا الخليط الذي يحوي منـتج بـشري تكون التقدمة مقدسة كما يقول النص السابق.ويكون قدس الأقداس اليهودي ويكون الأداء كله لراحة الرب وسروره. أي أن رائحة حـرق شيء مـن الجـسم البـشري هـي

قدس الأقداس. وبالمقارنة مع موضوع أفران الحرق ففيها تم حرق أجساد بشرية وخرجت روائح ناتجة عن الحرق البشري. وبالمقارنة مع صورة الغازات القاتلة، فتلك طقوس روائح وغازات قتلت اليهود وقدمتهم أضاحي وقرابين. ونتجت عنها روائح ترضي رب اليهود وتسرّه،

الأسطورة الثانية

الإعدام بالديزيل

تقول الأكذوبة أن الألمان النازيين كانوا قد استخدموا طريقة إبادة جماعية لليهود بواسطة دخان مازوت السيارات، وقيل أن الألمان استخدموا لذلك آلاف السيارات المجهّزة خصيصاً للإعدام بالديزيل وأنها كانت متوزعة في كافة مناطق النفوذ الألماني. وأن استخدام هذه الطريقة كان مجدياً أكثر من أفران الغاز الثابتة إذ لا يحتاج الأمر إلىٰ نقل آلاف اليهود إلىٰ مناطق الأفران الكبيرة. فيجري إعدامهم في أماكن تجمعهم وأماكن القبض عليهم، وتقول الأسطورة التي تستدر الشفقة: إن تلك السيارات كانت مجهزة فنّياً لهذا الغرض، وأنها تحوي صناديق محكمة الإغلاق كي لا يتسرب الدخان السام إلىٰ الخارج. وقد أجريت لها تمديدات خاصة بحيث يؤخذ الدخان من عوادم السيارات نفسها، ويتم إدخاله من جديد إلىٰ داخل الحجرة المقفلة التي تحوي نظرياً عشرات اليهود ، وأنهم سيموتون نظرياً خلال عشر دقائق.

وتضيف أسطورة الديزيل تفاصيل عن التخلص من تلك الجثث الكثيرة التي تسمم فتقول:

«...بعد إعدام اليهود بالديزيل كانت تلقىٰ جثثهم في حفر كبيرة وتطمر بالتراب...»

وقد ذكرت هذه الأسطورة لأول مرة في العام 1943 عندما نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً يحوي هذه المزاعم، وذلك في العدد المؤرخ في 16 تموز 1943 ومن هذا المقال انتقلت الأسطورة إلىٰ الأوساط الشعبية وإلىٰ العالم كله.

وفي نهاية شهر نيسان 1982 أقيم في ساحة تروكاديرو في باريس معرض (صور

وثائقية لإثبات الإبادة بالغاز التي ارتكبها النازيون) وكانت بين تلك الصور واحدة لسيارة فولكس فاكن وتقول العبارة المعلّقة علىٰ الصورة: (شاحنة تستخدم للإبادة بالديزيل)

تحقيق حول الإعدام بالديزيل

بعد هزيمة الألمان النازيين تمت معاقبة ألمانيا وتقسيمها وقد سيطرت علىٰ الحكومة الشرقية سياسة الاتحاد السوفييتي الحاقد علىٰ النازية، وسيطر علىٰ الحكومة الغربية الحلفاء الحاقدون علىٰ النازية، ورغم ذلك لم يعثر في كافة الأراضي الألماني وفي كافة الدول التي احتلتها علىٰ مقابر جماعية. وهذا يعني عدم وجود تلك المقابر وبالتالي دحض أكذوبة الإبادة بالديزيل كلها.

وبالنسبة لمعرض الصور في باريس. فقد حضره روبير فوريسسون وعلّق علىٰ كافة الصور وأبان الجانب التلفيقوي في المزاعم الإعلامية، كما وعلّق علىٰ صورة عربة (فولكس فاكن) وقال:

«لا نرىٰ في كل الصورة إلّا قسماً صغيراً من عربة فولكس فاكن عليها لوحة رقمية POL.28545 وقسماً صغيراً من القساطل، وفي الواقع إن الأمر يتعلق هنا أيضاً بنوع صغير من الإخراج الفوتوغرافي للصورة، ونجد الصورة المخرجة كاملة في كتاب عن الرايخ الثالث، صدر بعد الحرب مباشرة، وفي الصورة الأصلية نجد أن سيارة الفولكس فاكن معلقة بشاحنة والكل في غرفة غاز آوشفيتز المزعومة وليس في بيلزيك كما يدّعون في هذا التعليق. وفي الإخراج الفوتوغرافي الأصلي يمكن أن نرىٰ في الجهة اليسرىٰ حيث الظل مسلّط بقوة رجل من الجيستابو يرتدي معطفاً وقبعة.» (9)

ونستنتج من خبرة فوريسسون وتحقيقه أن إخراج الصورة قد حدث مرتين ليثبت للمشاهد صحة الأسطورة،

ويمكننا دحض تلك الأكذوبة بسهولة في هذه النقاط :

1 - في زمن الحرب لم يكن من المنطقي أن ينشغل الألمان بصناعة عربات خاصة لإعدام اليهود بالديزيل، وتلك العربات تحتاج إلىٰ أعمال فنية وتكاليف في الصناعة ووصل الأنابيب وعزل صندوق دخان الديزيل.

2 - كان من الممكن بسهولة التفكير في إعدام اليهود بالرصاص دون الحاجة إلىٰ كل تلك السيارات الخانقة والمكلفة.

3 - لم يعثر علىٰ أية عربة مصممة للإعدام بالديزيل في كافة مناطق النفوذ الألماني، ولّما زعمت الأسطورة بأن عددها كان كبيراً فكان من الممكن العثور علىٰ واحدة فقط من عشرات أو مئات العربات لتكون دليلاً حقيقياً. وان الصورة الوحيدة التي عرضت كدليل كانت مزورة مرتين، وفي المرتين لم تكن واضحة ولاكافية ولاتعتبر دليلاً دامغاً علىٰ حقيقة.

4 - لم يعثر علىٰ أي نازي كان يقود أو يشغل واحدة من تلك العربات، ومن المفترض أن يشغل كل عربة عدة جنود وبالتالي فسنعثر علىٰ آلاف الشهود. كما لم يعثر علىٰ أي شاهد أكّد بأنه رأىٰ تلك العربات تبيد اليهود.

5 - ومن الملاحظ أن أكذوبة تصفية اليهود حملت عدة أشكال من التصفية، وكلها صور بشعة ولا إنسانية علىٰ الإطلاق، وبالوقت نفسه فكلها صور ملحمية. وإن تعدد صور أشكال التصفية والإبادة لهو خير دليل علىٰ عدم صحتها.

6 - وعن أساطير الإبادة يمكن طرح هذا السؤال : لماذا جاءت كافة صور الإبادة المزعزمة متطابقة مع صور الأضاحي والمذابح والمحارق التوراتية ؟ وسيكون الجواب دامغاً ومؤكداً بأن أساطير الإبادة أخذت مباشرة عن أساطير الطقوس اليهودية

رائحة سرور للرب

سوف ندرك من النصوص والصور التوراتية التالية أن رائحة القتل والإبادة والسفك ورائحة سفح الدم وروائح حرق الأحياء وروائح تقطيع الأجساد هي روائح سعادة وسرور لرب اليهود حسب عقيدتهم. وتلك الروائح هي نفسها روائح إبادة اليهود التي تم تخيلها. وبناء علىٰ تلك المعتقدات والطقوس الغريبة، ابتدع بعض اليهود روائح في مخيلاتهم وهي روائح الديزيل والغاز القاتل، وكان الحدث كمن يصنع رسوماً متحركة ثم يقوم بتشغيلها.

وإن هذه الصورة التي تتمثل أمامنا عند تخيل مشاهد الإعدام بالديزيل نجدها في نصوص العهد القديم المقدسة عند اليهود ،

تلك صور الأدخنة الناتجة عن الحرق والروائح والبخور واللبان والأظافر البشرية والعظام والشحوم . ودخان كل تلك الأجواء الطقسية التي يمكننا تخيلها بعد حرق ثور أو تيس أو كبش، تلك الغازات التي يجد اليهودي نفسه محاطاً بها كلما دخل الكنيس اليهودي، وربما يجدها في بيته وبيوت اليهود التي يدخلها. تلك الأدخنة التي تحمل الطقوس العبادية المقدسة عند اليهودي والتي تعتبر تقدمة لرب اليهود ، تتحدث عنها التوراة في مواقع عديدة وتصفها بأنها رائحة سرور للرب كما تقول (النصوص التوراتية)

«... 5 ويوقدها بنو هارون علىٰ المذبح علىٰ المحرقة التي فوق الحطب الذي علىٰ النار وقود رائحة سرور للرب. »

من سفر اللاويين الإصحاح الثالث صفحة 159 العهد القديم.

« 17 وتقطع الكبش إلىٰ قطعه. وتغسل جوفه وأكارعه .... 18 وتوقد كل الكبش علىٰ المذبح. هو محرقة للرب. رائحته سرور. وقود هو للرب.»

من الإصحاح التاسع عشر، سفر الخروج:

العبارة الأخيرة تعتبر الأضحية التي تحرق وقوداً للرب، أي أن فعل الحرق هو جعل الحيوان وقوداً للرب. وبالمقارنة فتعتبر الأكذوبة أن يهوداً أحرقوا في الأفران وقدّموا وقوداً وأضاحي للرب، فرائحة حرقهم وسموم الغازات القاتلة كانت رائحة سرور للرب،

إن صورة الأدخنة والأبخرة في نصوص العهد القديم هذه هي نفسها التي تحولت إلىٰ صورة أراد اليهود إشاعتها في العالم كله وفي أذهان الشعوب الحديثة المتطورة والتي لا يؤمن أغلب أفرادها بالخرافات، هذه الصورة الخرافية طوّرها اليهود إلىٰ صورة تستخدم تقنية حديثة وهي صورة الإعدام بالديزيل والإعدام بالغاز.

مذبح البخور

في نصوص العهد القديم وصف مفصّل لمذبح البخور، وهو يختلف عن المحرقة ومذبح المحرقة. ومذبح البخور هو تقدمة من اليهود لرب اليهود،وهو طقس عبادي يهودي يقيمونه لسعادة ومجد رب اليهود.

«... 25 وصنع مذبح البخور من خشب السنط طوله ذراع وعرضه ذراع مربعاً وارتفاعه ذراعان . منه كانت قرونه.26 وغشاه بذهب نقي سطحه وحيطانه حواليه وقرونه. وصنع له إكليلاً من ذهب حواليه.27 وصنع له حلقتين من ذهب تحت إكليله علىٰ جانبيه علىٰ الجانبين بيتين لعصوين لحمله بهما. 28 وصنع العصوين من خشب السنط وغشاهما بذهب. 29 وصنع دهن المسحة مقدساً . والبخور العطر نقياً صنعه العطار...»

عن سفر الخروج، الإصحاح السابع والثلاثون صفحة 151 من العهد القديم.

إن صورة مذبح البخور الموجودة في الذاكرة اليهودية وفي العقل اليهودي باستمرار هي نفسها التي قام اليهود بتجسيدها وإظهارها لشعوب العالم وقد بحثوا عن صورة مشابهة لها في المخلفات الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية فعثروا علىٰ صورتين مشابهتين بعض الشيء لها وهما صورة متخيلة لسيارة الديزيل الخانقة بواسطة الغاز وصورة

متخيلة أخرىٰ وجدوها في حمامات الغاز الخانقة. ولمّا كانت روائح مذبح البخور ترضي الرب وتعتبر رائحة سرور للرب وتذكاراً للرب وتقديساً له، فقد جاءت روائح غازات الإبادة لترضي رب اليهود أيضاً ولتحقق سروره. ولأنها فريضة دهرية في أجيال اليهود فقد تم تمثيلها أو رسمها لتتحرك سينمائياً في أسطورة غازات الإبادة.

«16.ويوقد علىٰ المذبح رائحة سرور تذكارها للرب .... 17 إنها قدس أقداس . 18 فريضة دهرية في أجيالكم من وفائد الرب »

عن سفر اللاويين ، الإصحاح السادس، صفحة 164 من العهد القديم

وجبات للرب

« 15 ويأخذ منها بقبضته بعض دقيق التقدمة وزيتها وكل اللبان الذي علىٰ التقدمة ويوقد علىٰ المذبح رائحة سرور تذكارها للرب .... 17 إنها قدس أقداس كذبيحة الخطية وذبيحة الأثم. 18 كل ذكر من بني هارون يأكل منها ، فريضة دهرية في أجيالكم من وفائد الرب . كل من مسّها يتقدس.....»

عن سفر اللاويين ، الإصحاح السادس، صفحة 164 من العهد القديم

في النص السابق يصف حرق الأضحية وحرق الزيوت واللبان ويعطي ذلك الطقس اليهودي هذه الصفات:

1 - هو قدس أقداس اليهودي.

2 - هو تقدمة لرب اليهود.

3 - هو رائحة سرور لرب اليهود.

4 - هو تذكار لرب اليهود

5 - هو فريضة دهرية علىٰ اليهود.

6 - هو من وفائد الرب.

إنّ وصف هذه التقدمة المحرقة واعتبارها من وفائد الرب أي من وجباته التي يتناولها، واعتبارها أيضاً قدس أقداس اليهودي، ذلك يدل علىٰ اعتبار اليهود الذين أحرقوا (حسب الأسطورة) وجبات من وفائد الرب، قدمت له في طقس عظيم يرضاه وهو قدس الأقداس اليهودي. وبذلك تحققت رغبته في اعتبار هذا القدس فريضة دهرية في أجيال اليهود. فوجبات الوقود التي قدمت للرب كانت من جيل يهود القرن العشرين.

وقود الشحم المقدس

وفي النصوص التالية يحرق الشحم الحيواني بعد فصله عن الأضحية ويقدم كتقدمة دينية لرب اليهود، وتكون روائح الحرق **رائحة سرور للرب** كما تقول النصوص: «..6 **ويرش الكاهن الدم علىٰ مذبح الرب لدىٰ باب خيمة الاجتماع ويوقد الشحم لرائحة سرور للرب**..» سفر اللاويين، الإصحاح السابع عشر.

ومن الإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج اخترنا هذا النص الذي يوضّح تقديس الشحم وتقديمه لرب اليهود بحرقه في المحرقة:

«... 13 **وتأخذ كل الشحم الذي يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما. وتوقدها علىٰ المذبح.** » وقد رأينا في نصوص أخرىٰ أن الحديث عن الدم والشحم والأضحية يعني عند اليهود حديثاً عن أضحية بشرية وحيوانية. ومن النص السابق نستنتج بأن اعتقاد اليهود بأن الرب يطلب منهم تقديم وقود، وأن الوقود يسعده ويسرّه، واعتقادهم بأنه يتوجب عليهم تقديم الوقود للرب كي يرضىٰ عنهم ويصفح عن أخطائهم وعن كفرهم، تلك الاعتقادات الغريبة هي التي جعلتهم يبتدعون أسطورة تجعل اليهود وقوداً يريده الرب ويقبله من شعبه اليهودي. وتلك العقائد كانت وراء ابتداع صورة الشحم اليهودي كلها، وتركيب صور متسلسلة عن استخراجها وتصنيعها ثم صنع ألواح الصابون منها.بل وتصوّر الآخرين يستخدمون ألواح صابون الشحم اليهودي فرحين ومبتهلين بنشوة النصر.

نار الرب تحرق الشحم

« 24 وخرجت نار من عند الرب وأحرقت علىٰ المذبح المحرقة والشحم . فرأىٰ جميع الشعب وهتفوا وسقطوا علىٰ وجوههم...» سفر اللاويين، الإصحاح التاسع صفحة 170 من العهد القديم.

وعندما يقوم الرب نفسه بحرق الشحم الحيواني فهذا يعني بأنه يعطي أهمية كبيرة لعملية الحرق وأهمية للمحرقة وللتقديم بالحرق، ولكل تلك الطقوس. وهذا دليل علىٰ أهمية طقوس المحرقة وطقوس حرق الشحم نفسه عند اليهود.

ولّما تدخل الرب نفسه وأحرق الشحم ففي الأكذوبة قدّم له الشحم اليهودي.

وإنّ عقيدة الشحم التي ارتبطت باليهودية لم تغز عقولهم إلّا لأنها كانت في العصور القديمة صوراً شيطانية مبهرة. فالشحم هو الدهن وهو الزيت الذي بفضله يضيء السراج، ونور السراج مبهر عندما يحترق الشحم، والاحتراق هو المحرقة نفسها،وهذا هو الربط بين الشحم والمحرقة، والدم هو السفك والقتل والموت والإبادة، ومنه صنعت أسطورة الإبادة.

المحرقة أو المعبد اليهودي

ليس في نصوص العهد القديم الموجودة اليوم؛ أي وصف لطقوس عبادة يؤديها اليهودي لربه غير تلك المحرقة والتقدمة والأضحية، وفيها يتم تقديم المحرقة ليأكلها الرب. أي تقديم وفائد للرب فهم يعتقدون بأن تحول الجسم الحي رماداً يدل علىٰ انتهاء الجسد وبالتالي يدل علىٰ أن الرب قد أكل الجسد كله؛ أي تناول المحرقة والتهمها. ولا يترك منها إلّا الرماد.

فطقوس الحرق هي طقوس عبادة يهودية، والمحارق هي مذابح وهي أماكن عبادة. وتتمة الخرافة اليهودية تكون بأن اليهود قدموا لراحة الرب أجساد يهود تم

إفناؤهم في محارق وتحوّلوا إلىٰ رماد وقبلهم الرب كأضاحي بشرية من شعبه المختار وبذلك يغفر لشعبه كل كفره وإلحاده وأخطائه ويمنحه أرض فلسطين.

وإن البناء أو المحفل اليهودي المخصص للعبادة هو نفسه المحرقة، وتصف نصوص العهد القديم طريقة إقامة المحرقة بالتفصيل وطرق تزيينها بأثمن الأشياء. وتصف النصوص كافة الاحتفالات والمناسبات الدينية وكافة الطقوس فلا نجد فيها إلَّا طقوس حرق ودم وتقطيع.

«.. 4 هذه مواسم الرب المحافل المقدسة .. 8 سبعة أيام تقربون وقوداً للرب ..» عن سفر اللاويين . الإصحاح الثالث والعشرون.

الأسطورة الثالثة

أفران الحرق

ومن بين الأكاذيب الخمسة التي أشاعتها اليهودية عن الإبادة كانت أكذوبة أفران الحرق، وأفران الحرق الألمانية هي عبارة عن صناديق ذات أبواب معدنية وطول حجرتها الداخلية حوالي المترين وهي مجهزة صناعياً لحرق الجثث البشرية.وثمة أفران في بوشينفالد وأخرىٰ في معسكر ترزين في تشيكوسلوفاكيا السابقة وهذه مبنية من الخارج من حجر الآجر. ولها أبواب صغيرة ومحارق داخلية صغيرة.

ماذا قالت الأكذوبة؟

إن موسوعة الحرب الأخيرة وهي أهم وأكبر موسوعة عالمية تتحدث بالتفصيل وبالصور عن أحداث ونتائج الحرب، وعدد أجزائها 13 مجلداً ضخماً، تتحدث عن أفران معسكر تريزين في تشيكوسلوفاكيا السابقة وتصفها بأنها كانت مخصصة لحرق اليهود بالجملة وبسرعة كبيرة وتدّعي بأنه كان يجري إحراق 160 جثة يهودي في الدفعة الواحدة.ولكنها لا تحدد الوقت الكافي لإتمام الحرق. وقد أدرجنا في هذا البحث صورة عن تلك الأفران، والصورة تتحدث بوضوح وتعطينا مقاييس هذه الأفران:

1. نقدّر مقاييس المبنىٰ من الخارج بطول 5.3 م وعرض 5.3 م.وارتفاع أعظمي 3م.
2. نقدر مقاييس حجرة الفرن الداخلية بطول 5.2م وعرض 5.2 م وارتفاع 1 متر .

وإن حجم هذه الأفران يدل علىٰ عدم قدرتها علىٰ استيعاب الرقم الخرافي (وهو 160 جثة) الذي ذكر في تلك الموسوعة. ومن هنا تتضح الأكذوبة.

يقول راوول هيلبيرغ :

« .... كان هناك 46 فرناً ضخماً في محارق بيركناو الأربعة. وإن المردود اليومي النظري لأفران بيركناو كان يزيد عن 4400 جثة. » (10)

لكنّ لاغاسييه الذي يردّ عليه يسخر من هذا الرقم المبالغ فيه كثيراً ويقول :

« .. كان يمكن إحراق 184 جثة فقط يومياً في تلك الأفران كلها» (11)

وفي كتابه المسمىٰ (هكذا كان) كتب فرناند كرونييه يقول:

«... إلىٰ جانب الأفران الأربعة المعدة لحرق الجثث والتي لم تكن تنطفئ أبداً. كانت توجد غرفة فيها رشاشات للاستحمام ، وفي أعلىٰ سقفها أقماع للمرشات. وفي العام الماضي 1944 كان مئة وعشرون طفلاً تتراوح أعمارهم بين ثماني سنوات وأربعة عشر سنة، قد أعطوا مناشف للاستحمام. وكانوا قد دخلوا فرحين مفعمين بالسعادة. فأغلقت عليهم الأبواب وتسربت من الرشاشات غازات خانقة بعد عشر دقائق ، وكان الموت قد أخذ الأبرياء الذين نقلوا إلىٰ الأفران الحارقة التي حوّلتهم بعد ساعة إلىٰ رماد..» (12)

وبالتمعن في النص السابق تتضح لنا تناقضات عديدة ، وإن بنية النص نفسه تدل علىٰ أنه زعم ونفاق ومراءاة للصهيونية ولمن يمثلها.والنص أدبي وروائي أكثر من كونه تأريخياً للحدث. وتتضّح صيغة الروائية فيه من ذكر الأولاد بهدف استمالة المشاعر الرقيقة تجاههم، وإن ذكر علامات الفرح والسعادة العارمة التي يتحلون بها أثناء دخولهم الحمام تلك أيضاً صيغة مشهد روائي يهدف إلىٰ استمالة العواطف البشرية تجاههم وإلىٰ وصفهم بالبراءة والجمالية الطفولية. وصورة السعادة تلك لم تكن لتحدث في معسكر اعتقال نازي يسود فيه الجوع والمرض والموت.

ولنطّلع علىٰ رأي روبير فوريسسون بذلك النص فهو يقول:

«... إن شهادة فرنارد كرونييه تحتوي علىٰ أثني عشر تناقضاً ومنها :

1. من غير الممكن وجود أفران تعمل ليل نهار بدون توقف

2. إنه لا يحدد التاريخ والشهر والساعة.

3. حرق الجثث في الأفران، يقول أنه خلال ساعة واحدة فقط تم حرق مائة وعشرين جثة في أربعة أفران. وهذا غير ممكن أبداً ففي هذه الأيام وفي الأفران الحديثة المتطورة عن صناعات العام 1944 وفي فرن مقبرة الأب لاشيز في باريس، يستغرق حرق 120 جثة في أربعة أفران مدة 225 ساعة أي حوالي تسعة أيام بمعدل 45 دقيقة لكل جثة لم يصلها مضاد للجراثيم أو ستين دقيقة للجثة العادية.."

انتزاع الاعتراف من رودولف هيس

في محكمة نورينبيرغ جرىٰ الضغط علىٰ المتهمين وانتزعت اعترافاتهم بالقوة وبالضغط، وجرىٰ إعطاؤهم جرعات من المخدرات كانت تزاد مع كل وجبة، هذا إضافة إلىٰ تكثيف كؤوس الكحول التي كانت تقدم لهم. وهذا نص اعتراف رودولف هيس الذي لقنّ له وفرض عليه بلا شك. يتحدث النص عن إعدام اليهود بطرق عديدة ومنها الإعدام في الأفران فيقول:

« ... كنت قائد معتقل أشويتز حتىٰ أول كانون الأول 1943 وأقدّر أن ما لا يقل عن مليونين ونصف المليون من الضحايا قد أعدموا فيه وأبيدوا بالغاز أو الحرق .. وقد تلقيت الأمر بالإعداد للإبادة منذ حزيران 1941 وفي تلك الفترة كان هناك من قبل ثلاثة معسكرات إبادة أخرىٰ في الحكومة العامة : بيلزيك و تروبيلينكا و فولزيك..»

وبناء علىٰ هذه الاعترافات الكاذبة تم تسجيل الاتهام وتنفيذ حكم الإعدام بالمتهم.

ويذكر أن مثل هذه الأفران كانت موجودة في زمن الحرب في مشافي باريس ولندن

وكانت تستخدم لحرق الجثث الموبوءة، والجثث التي يعتقد بأنها تحمل أمراضاً معدية. وهذه الطريقة مازالت متبّعة حتىٰ يومنا هذا إذ يجري حرق الجثث حرقاً كاملاً للتخلص من الوباء خشية انتقاله إلىٰ الأصحاء. ومن المؤكد تاريخياً بأن الأمراض السارية تفشت في المعسكرات والمعتقلات في مناطق النفوذ الألماني في زمن الحرب، وخاصة مرض التيفوس. وقد ساعد في انتشار تلك الأوبئة ظروف الحرب المستمرة وانتشار الجوع والفقر والهزال وكثرة عدد القتلىٰ المترامين في كل مكان. وتدل كافة صور المعتقلين في ألمانيا علىٰ الجوع والمرض والهزال، وأخيراً فكان من المؤكد أن ألمانيا النازية قد استخدمت تلك الأفران لحرق الجثث الموبوءة. لا لحرق اليهود كما تزعم الأكذوبة .وللتأكيد علىٰ ذلك يمكننا التمعن بهذه التساؤلات:

1. كان من الممكن التخلص من اليهود برميهم بالرصاص وتلك أقل تكلفة وعملاً من حرقهم في الأفران الأمر الذي يتطلب تكلفة مادية وفنية ويد عاملة ، وكل ذلك كان الألمان بحاجة له في زمن الحرب.
2. الأفران التي مازالت موجودة حتىٰ يومنا هذا في متاحف ألمانيا وبولونيا صغيرة الحجم ويتسع الواحد منها لجثة واحدة. ولو أنها صنعت خصيصاً لإبادة اليهود كما تقول الأكذوبة لكان الصنّاع سيجعلون حجمها أكبر وسعتها أكثر. لاسيما وأن الأكذوبة تتحدث عن مشروع عام كان يحمل اسم تصفية اليهود كما تدعي الأكذوبة. وإذاً لو كان عند الألمان مشروع عام لتصفية اليهود لكانوا سيصنعون أفراناً كبيرة الحجم وتتسع لأعداد كبيرة من الجثث، ولكان بإمكانهم أيضاً أن يبيدوا يهود تلك الدول التي احتلوها وحكموها طوال أربع سنوات. لكن الأفران الكبيرة لم تقام وإبادة اليهود لم تحصل.
3. إنه ثمة تشابه كبير بين حجم وشكل وعمل كل من – المحرقة اليهودية المقدسة – والفرن الذي زعم اليهود بأنه استخدم للإبادة. وهناك دليل أكثر أهمية وهو أن اليهود يستخدمون المحرقة لتقديم أضحية لرب اليهود ، وأنهم في أكذوبة الأفران

يتحدثون عن تقديم أضاحي بشرية للرب، وهي أجساد (يهودية ومظلومة) وقـد قدّمت كأضاحي مقدسة لرب اليهود.فما سرّ كلّ هذه التشابهات ؟ ليس في الأمـر لغز ولم يعد يخفىٰ علىٰ أحد، فهذا ليس تشابها فحسب بل هو وضوح ودلالة.

المحرقة التوراتية

تصف نصوص العهد القديم بدقة كبيرة طريقة بناء المحرقة وتعطي أبعادها ومكـان إقامتها والمواد التي تصنع منها وطرق تزيينها وتفصيلات عن كيفيـة تقـديم الأضـاحي وحرقها. ويعتقد اليهود بأن الرب هو الذي أمرهم بإقامتها وهو الذي أعطىٰ كـل تلـك المواصفات لموسىٰ ثم لأنبياء اليهود العديدين من بعده. ولاشك في أن اليهود يـصنعون المحرقة اليوم بالمواصفات نفسها التي أمرهم بها ربهم كما يقول النص التالي:

«... 1 وصنع مذبح المحرقة من خشب السنط. طوله خمس أذرع وعرضه خمس أذرع . مربعاً وارتفاعه ثلث أذرع. 2 وصنع قرونه علىٰ زواياه الأربع. منه كانت قرونه. وغـشاه بنحاس. 3 وصنع جميع آنية المذبح والقدور والرفوش والمراكن والمناشل والمجـامير جميـع آنيته صنعها من نحاس. 4 وصنع للمذبح شباكة صنعة الشبكة من نحاس تحـت حاجبـه من أسفل إلىٰ نصفه. 5 وسكب أربع حلقات في الأربعة الأطراف لشباكة النحـاس بيوتـاً للعصوين. 6 وصنع العصوين من خشب السنط وغشاهما بنحاس. 7 وأدخل العـصوين في الحلقات علىٰ جـانبي المـذبح لحملـه بهـما، مجوفـاً صـنعه مـن ألـواح الـصدرة. ... 14 والحجارة كانت علىٰ أسماء بني إسرائيل اثني عشر علىٰ أسمائهم كنقش الخاتم.كل واحـد علىٰ اسمه للاثني عشر سبطاً.....29. والمنطقة من بوص مبروم واسما نجـوني وأرجـوان وقرمز صنعة الطراز كما أمر الرب موسىٰ.... 30 وصنعوا صفيحة الإكليل المقـدس مـن ذهب نقي. وكتبوا عليها كتابة نقـش الخـاتم . قـدس للـرب. 31 وجعلـوا عليهـا خـيط اسمانجوني لتجعل علىٰ العمامة من فوق. كما أمر الـرب موسـىٰ...» عـن سـفر الخـروج ، الإصحاح الثامن والثلاثون صفحة 151 من العهد القديم.

بداية لابدّ من الإشارة إلىٰ أن النص السابق يتصف بالخرافة ولا يمكن اعتباره نصاً دينياً مقدساً. ورغم ذلك فإن اليهود المعاصرين يبحثون عن آثار تلك المحارق والهياكل التي توصف هنا، والتي صنعها موسىٰ وأنبياء اليهود من بعده، ويقومون بأعمال تنقيب أثري لا حدّ لها.

ومن خلال وصف النص للمحرقة نلاحظ وجود شبه بين مذبح المحرقة التوراتية وأفران الحرق المزعومة ، ويظهر الشبه في الحجم والشكل والأداء. وهذا الشبه يعني أن صورة مذبح المحرقة التي هي قائمة في الذهن اليهودي، كصورة توراتية وكمحرقة حقيقية يراها في الكنيس كلما دخله. تلك الصورة قام اليهودي بتجسيدها فقام بالبحث عن مخلفات ومنشآت تناسب هذا التجسيد فعثر علىٰ أفران حرق الجثث الموبوءة فجسدها بذلك الفرن نفسه. ومن هنا جاء ادعاء اليهود بأن تلك الأفران كانت لحرق اليهود وإبادتهم.

وفي كلتا الحالتين (المحرقة والفرن) يتحول الجسم المحروق إلىٰ رماد، وتتحدث نصوص العهد القديم عن الرماد كما سيمرّ معنا في هذا البحث.

ولّما كان الحرق يرضي رب اليهود حسبما تفيد النصوص التوراتية فإن حرق اليهود في محرقة تشبه المحرقة المقدسة عندهم. هذا الحرق وهذا الظلم وهذا الاضطهاد سيجعل رب اليهود يعطف عليهم ، وسيعتبرهم قدّموا أضاحي بشرية هي من شعبه المختار وسيكافئهم علىٰ ذلك بأن يعوّضهم كل ماخسرونه وبأن يعيدهم إلىٰ أرض الميعاد ، وهي أرض فلسطين. وكل ذلك يدل علىٰ أن اليهود كانوا يخدعون ربهم أيضاً عندما ابتدعوا تلك الأكذوبة. ومن الجدير بالذكر أنّ اليهود لا يصفون الله بالصفات العظيمة التي يستحقها، بل إن صورة الله عندهم تماثل في كثير من صفاتها صورة بني البشر.

وقد تطورت صورة المحرقة في العقيدة اليهودية فرأىٰ بعضهم بأنّ المحرقة النازية هي الهيكل المقدس، أي هيكل الرب. وأن الحدث الإبادي هو تدمير لهيكل الرب. ورأىٰ آخرون بأن آوشفيتز هي الرب نفسه. وأن الإبادة هي نهاية التاريخ اليهودي وبداية التاريخ اليهودي الجديد.

نار الرب تحرق

«.... 23 ودخل موسىٰ وهرون إلىٰ خيمة الاجتماع ثم خرجا وباركا الشعب . فتراءىٰ مجد الرب لكل الشعب . 24 وخرجت نار من عند الرب وأحرقت علىٰ المذبح المحرقة والشحم . فرأىٰ جميع الشعب وهتفوا وسقطوا علىٰ وجوههم...»

عن سفر اللاويين الإصحاح التاسع صفحة 170 من العهد القديم.

حسب النص السابق فقد قام رب اليهود بأداء فريضة يهودية مقدسة وهي الحرق، فأحرقت ناره المحرقة، أي أن الأداء العبادي والطقسي مقدس لم يأمر به اليهود فحسب بل قام الرب أيضاً بتأديته علىٰ مرأىٰ من اليهود. وهذا يدلّ علىٰ أهمية المحرقة في العقيدة اليهودية. وهنا يشارك الرب في طقوس الحرق، وفي آوشفيتز وبالطريقة نفسها شارك الرب في طقوس حرق اليهود وإبادتهم، لأنهم شعب مقدس فلابد أن يشارك الرب في حدث مقدس

«... 1 وأخذ ابنا هارون ناداب وأبيهو كلّ منهما مجمرته وجعلا فيهما ناراً ووضعا عليها بخوراً وقرّبا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها. 2 فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب...»

عن سفر اللاويين الإصحاح العاشر صفحة 171 من العهد القديم.

وفي هذا النص توضيح بأن نار الرب تأكل الجسم المحروق. فالأضحية اليهودية هي تقدمة محروقة وبالحرق يأكلها الرب أي يفنيها وتصبح رماداً.

واليهود الذين أبيدوا حسب الأكذوبة كانوا أضاحي يهودية تناولها الرب .

وإن ظاهرة عبادة النار وتقديسها قد عرفت قبل وجود اليهود بآلاف السنين. ولعلّ أول ما أبهر الإنسان فعبده كان النار والشمس التي هي نور ونار. وقد تطورت هذه الظاهرة عند اليهود فأصبحت النار مقدسة بقداسة الرب نفسه.

مكان المحرقة يختاره الرب للتقرب منه

« ... 5 بل المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه سكناه تطلبون وإلىٰ هناك تأتون 6 وتقدمون إلىٰ هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم..» عن سفر التثنية الإصحاح الثاني عشر. ولمّا اختار رب اليهود مكان المحرقة ، فهي عظيمة الشأن عنده.

«.. 22 فقال الرب لموسىٰ.. 23 لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا آلهة ذهب. 24 مذبحاً من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك وبقرك. في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي آتي إليك وأباركك. 25 ولا تصعد بدرج إلىٰ مذبحي كيلا تنكشف عورتك عليه..» عن سفر الخروج الإصحاح العشرون.

وحسب النص السابق يكون المذبح والمحرقة هو مكان العبادة الذي اختاره الرب ليهوده، وتكون العبادة هي بتقديم الذبائح والمحارق له، وبهذا الشكل يصف اليهود ربهم بأنه يريد منهم وجبات فحسب.

ومن هذه العقيدة كانت وجبات اليهود الذين أحرقوا في الأفران وقدّموا للرب.

إن صور المحارق التوراتية وقدسيتها، وبالوقت نفسه علمنا بأن الذين أذاعوا صور محارق الإبادة كانوا صهاينة متطرفين يعتمدون في كل أنشطتهم وأقوالهم علىٰ النص التوراتي، ولا ينطقون إلّا بمقتضاه، وأيضاً التشابه الكبير بين هذه الصور وصور المحارق النازية المزعومة :

كل ذلك يكشف لنا ولكل مراقب ومدقق بأن محارق الإبادة النازية لم تكن سوىٰ صور توراتية خرافية أعاد اليهود إظهارها من جديد وخدعوا أذهان البشر بها.

نار تتّقد لا تنطفئ

وفي النص (التوراتي) التالي نجد معلومات عن المحرقة اليهودية:

«.... 8 وكلّم الرب موسىٰ قائلاً 9 أوص هارون وبنيه قائلاً هذه شريعة المحرقة. هي المحرقة تكون علىٰ الموقدة فوق المذبح كل الليل حتىٰ الصباح ونار المذبح تتقد عليه... 10 ثم يلبس الكاهن ثوبه من كتان ويلبس سراويل من كتّان علىٰ جسده ويرفع الرماد الذي صيّرت النار المحرقة إياه علىٰ المذبح ويضعه بجانب المذبح. 11 ثم يخلع ثيابه ويلبس ثياباً أخرىٰ ويخرج الرماد إلىٰ خارج المحلة إلىٰ مكان طاهر. 12 والنار علىٰ المذبح تتقد عليه. لا تطفأ ويشعل عليها الكاهن حطباً كلّ صباح ويرنب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة. 13 نار دائمة تتقد علىٰ المذبح . لا تطفأ»

عن سفر اللاويين ، الإصحاح السادس، صفحة 164 من العهد القديم

من النص التوراتي السابق تتضح معلومات مهمة عن المحرقة نشرحها حسب العقيدة اليهودية:

1. في (الآية) **« 8 وكلّم الرب موسىٰ قائلاً 9 أوص هارون وبنيه قائلاً هذه شريعة المحرقة.»** دلالة علىٰ أن شريعة المحرقة هي شريعة يهودية أوصىٰ بها الرب حين خاطب موسىٰ، وجعلها للشعب اليهودي وشريعة المحرقة هي طريقة الحرق والتقديم لرب اليهود ولون ثياب من يشتغل علىٰ المحرقة ونوع قماشه. ونظافة يديه، وطريقة نقل الرماد إلىٰ الخارج، بعدما أكلت النار الأضحية وتقبلها الرب من اليهودي الذي صنعها، وهذا يعني أن للنار نفسها قدسية دينية عند اليهود.وأن أداء النار في حرق الجسم هو أداء مقدس يرضي الرب، ودليل آخر علىٰ ذلك هو أن الرب نفسه قام حسب النص الأسبق بإرسال نار أحرقت الأضحية علىٰ المذبح ، وأحرقت من يخالفه حسب النص الثاني.
2. الآية التالية **« ويرفع الرماد الذي صيّرت النار المحرقة إياه علىٰ المذبح ويضعه بجانب المذبح. 11 ثم يخلع ثيابه ويلبس ثياباً أخرىٰ ويخرج الرماد إلىٰ خارج المحلة إلىٰ مكان طاهر...»** تتحدث عن أهمية الرماد المقدس عند اليهود، بعدما تحولت الأضحية إلىٰ رماد يحمل الكاهن الرماد ويخرجه إلىٰ مكان طاهر

وخارجي.فهو إذاً رماد مقدس وهو تقدمة لرب اليهود. ونذكر أن أسطورة إبادة اليهود في الأفران كانت تحوّل اليهود إلىٰ رماد، أي أنها كانت تقدمة لرب اليهود من أجساد شعبه المقدس حسب المفهوم اليهودي المتطرف.

3. الآيات التوراتية التالية «.. 12 **والنار علىٰ المذبح تتقد عليه. لا تطفأ**»

« 13 **نار دائمة تتقد علىٰ المذبح . لا تطفأ**» هذه الآية تدل علىٰ إبقاء نار المحرقة مشتعلة باستمرار دون أن تنطفئ، هكذا تكون النار متّقدة في المحرقة اليهودية أي في معابدهم، أي أنهم يرونها باستمرار. وتنطبع في أذهانهم صورة مقدسة للنار. تلك الصورة تخيلوها في أكذوبة إبادة اليهود. واستطاعوا نشرها في أذهان شعوب العالم المخدوعة.

الرماد البشري

«... 24 وقال الرب لموسىٰ خذ لك أعطاراً . ميعة وأظفاراً وقنّة عطرة ولباناً نقياً.تكون أجزاء متساوية. 25 فتصنعها بخوراً عطراً صنعة العطار مملحاً نقياً مقدساً 26 وتسحق منه ناعماً وتجعل منه قدّام الشهادة في خيمة الاجتماع حيث أجتمع بك. قدس أقداس يكون عندكم. 27 والبخور الذي تصنعه علىٰ مقاديره لا تصنعوه لأنفسكم . يكون عندك مقدساً للرب.28 كل من صنع مثله ليشمه يقطع من شعبه...» عن سفر الخروج، الإصحاح الثلاثون ص 138 . وأن كلمة (أظفاراً) هي جمع ظفر وهو بلا شك ظفر بشري،فلو كان ظفر حيوان لاختلف اسمه وجاء تحديد لنوع الحيوان، إذ لا يمكن الحصول بسهولة علىٰ ظفر حيوان. والنص نفسه يحذّر علىٰ اليهود صناعة مثل هذا العطر واستخدامه لأنفسهم. ويهدد بأن من مثله ليشمه يطرد من الجماعة اليهودية . وهذا دليل قوي علىٰ أن الظفر بشري. وعلىٰ أن تقديم ما هو بشري يكون لرب اليهود وحده لا لأي يهودي. وبالنتيجة المؤكدة فهو ظفر بشري. ويعرف البيولوجيون بأن حرق الظفر البشري يعطي رائحة تسمىٰ (كيتينية) . وهي شبيهة بروائح أقسىٰ أنواع البخور وألعنها. وفي هذه الحال يتم حرق منتج بشري،

وهو ظفر الإنسان. وبحرق هذا الخليط الذي يحوي منتجاً بشرياً تكون التقدمة مقدسة كما يقول النص السابق، وقدس الأقداس اليهودي. ويكون الأداء كله لراحة الرب وسروره. أي أن رائحة حرق شيء من الجسم البشري هي قدس الأقداس. وبالمقارنة مع موضوع أفران الحرق ففيها تم حرق أجساد بشرية وخرجت منها روائح ناتجة عن الحرق البشري.

الأسطورة الرابعة

الهولوكوست

محرقة دائمة في أجيالكم

تقول الأكذوبة الصهيونية أن الألمان النازيين قد أبادوا اليهود في محرقتين هما أفران الحرق الصغيرة وحفر الحرق الكبيرة والمسماة هولوكوست. وفي نصوص العهد القديم ، وهو الكتاب المقدس عند اليهود المعاصرين، نجد نوعين من المحرقة وهما المحرقة الداخلية التي داخل المعبد والمحرقة الخارجية الكبيرة التي تكون في الخارج ، في الفناء الملحق بالمعبد اليهودي وهذه تسمىٰ هولوكوست أيضاً ويقوم اليهودي بحرق الأضحية فيها لتصبح رماداً وتقدمة لرب اليهود.

يعرّف قاموس لاروس أونيفيرسيل Larrouss Universelle المحرقة فيقول: **«المحرقة أو الهولوكوست Holocauste له طابع قدسي تضحوي عند اليهود ، ويندمج بالمشروع الإلهي مشابهاً لصورة صلب المسيح عند المسيحية، وهذا المفهوم موجود في التوراة ، وقد جاء اليهود اليوم يطبّقون هذا المصطلح علىٰ ما أسموه بالإبادة الجماعية لليهود»**

ونلاحظ أن في هذا التعريف اللغوي إدانة صريحة لليهود فيما يخص مزاعم الهولوكوست. فهنا استخدموا التسمية التوراتية نفسها للدلالة علىٰ مزاعم الإبادة الجماعية لليهود.فعندما ابتدعوا أكذوبة الإعدام بالغاز استمدّوا صورة الغازات الناتجة عن الحرق والبخور والعطور المرافقة لذلك الطقس الديني اليهودي، وأخذوا الآية التوراتية القائلة **«رائحة سرور للرب»** واعتمدوا أيضاً علىٰ الوصف (التوراتي) لمذبح البخور، ولم يستخدموا آنذاك مصطلحاً توراتياً للدلالة علىٰ غرف الغاز والإعدام بالديزيل، لكنهم هنا استخدموا المصطلح التوراتي نفسه Holocauste **هولوكوست**،

فتأكد للباحث بأنهم نقلوا الصور والمفاهيم التوراتية نفسها إلىٰ أذهان الشعوب المعاصرة.

ولأن استطاعوا أن يزيفوا بعض التاريخ لبضع سنوات، فلن يستطيعوا تزييف اللغة. كما لن يقدروا علىٰ تزوير كل المراجع الدنيوية، وبالتالي نتنبأ بأن عمر الأكذوبة لن يطول. وعمر دولة إسرائيل أيضاً لن يطول.

وكلمة هولوكوست تعني الأضحية اليهودية والمحرقة المخصصة للتضحية وقد جاءت الكلمة من العقيدة الطقسية اليهودية ، إذ كان اليهود يقدّمون قرابين وأضاحي تحمل طابعاً دينياً فيتم حرق الضحية حرقاً تاماً بالنار ... والضحية عندهم هي العجل والتيس والخروف وغيرهم، وتطور معنىٰ كلمة هولوكست عند اليهود فأصبح يعني الحرق التام والنهائي كتضحية وفداء وتكفير. وحسب نصوص العهد القديم الموجودة حالياً والتي يؤمن بها اليهود فإن ربهم أمر موسىٰ عشرات المرات بتقديم الأضاحي وذلك بذبحها ثم سفح دمها ورشّه ثم حرق الأضحية حرقاً تاماً لتصبح رماداً.

وليس من قبيل المصادفة أن نجد كلمة هولوكوست في لبّ العقيدة اليهودية وكذلك في القضية التي أكسبت الصهيونية مكاسب وميزات لم يحصل عليها شعب في العالم كله منذ قرون طويلة. بل أن تحمل الكلمة معنىٰ يهودي عقيدي فذلك خير دليل علىٰ ابتداع الأكذوبة وعلىٰ أن صناعتها يهودية خالصة.

يقول روبير فوريسسون:

«..الهولوكوست هي ديانة الخوف، إنني مقتنع بأن أسطورة مثل أسطورة غرف الغاز والإبادة الجماعية هي عائدة إلىٰ مجال هو مجال الخوف. وإنه لأمر رهيب أن يتعالىٰ اليهود في انطواء غير سليم ويتصورون الآخرين مثل الوحوش ، فالنازيون بشر مثلنا ولم يكونوا وحوشاً....» (8).

التبشير اليهودي

إن حقيقة اليهود ليست كما يعتقد روبير فوريسسون وليست كما يصفهم في نصه السابق. فهم لا يمتلكون مجال الخوف كما يعتقد البروفيسور الفرنسي وهم لا يشعرون بالانطواء تجاه شعوب العالم الأخرىٰ بل إنهم يتعالون عن الشعوب بكراهية ممزوجة بالحقد. وهم يحملون ضد الآخرين ازدراء وحقداً أبديين ، وهم لا يشعرون بالخوف من الشعوب الأخرىٰ بل يمتلكون مشاعر الافتراء ضدها والرغبة بإبادتها.

وإن ابتداع أكذوبة الإبادة لم تنتج عن شعورهم بالخوف والضعف تجاه الشعوب الأخرىٰ كما قال البروفيسور الفرنسي بل هي عمل عدائي وافتراء موجه ضدّ شعوب العالم الأخرىٰ.وهي أيضاً استخفاف بعقول تلك الشعوب. إضافة لكونها تحمل طابعاً دينياً تبشيرياً يهودياً. فعندما يفرض اليهود علىٰ مسيحيي ومسلمي العالم وغيرهم بأن يعتقدوا بمبدأ الهولوكوست كإبادة لليهود، فهم في الوقت نفسه يفرضون علىٰ تلك الشعوب الإيمان بمبدأ عقيدي يهودي وهو عقيدة الهولوكوست المقدس، وعقيدة تقديس الإبادة وعقيدة التضحية اليهودية والتوراتية ،

وإنّ فرض تقديس الهولوكوست علىٰ شعوب العالم وجعل قدسيته أهم وأشمل من قدسية الإسلام والمسيحية ذلك كله نوع من التبشير اليهودي وإذاعة العقائد اليهودية في العالم كله. وقد صرّحت وزيرة خارجية الصهاينة سايبي ليفني بقولها : (**إنّ الاحتفال بذكرىٰ المحرقة والاستفادة منه يجب أن يكون في المجتمع الدولي بأكمله، وليس فقط في إسرائيل وحدها**) (54) وهي تؤكد بذلك علىٰ ضرورة تعميم عقيدة المحرقة باستمرار في المجتمع الدولي بأكمله.

وكإجراء تبشيري صهيوني تقوم إسرائيل باستقطاب مهاجرين جدد من دول أفريقية وسوفييتية سابقة، وهؤلاء المستوطنون الجدد مسيحيون ويلتزمون بديانتهم المسيحية، وتقوم السلطات الصهيونية بتهويد وصهينة هؤلاء بطرق الترغيب

والترهيب والإفقار والبطالة وبالضغوط المتنوعة، وقد صرّح الكثير منهم بأنهم لن يعتنقوا اليهودية رغم كل الضغوط الممارسة عليهم.

الهولوكوست في التوراة

« ... 42 رائحة سرور وقود للرب 43 محرقة دائمة في أجيالكم عند باب خيمة اجتماع أمام الرب.»

من سفر الخروج، الإصحاح التاسع والعشرون

في نصوص العهد القديم نكتشف وجود نوعين من المحرقة عند اليهود وهما المحرقة الداخلية والمحرقة الخارجية وقد حمل اليهود هاتين الصورتين للمحرقة وجسدوهما في نوعين من المخلفات الألمانية في الحرب: فالمحرقة الداخلية تم تجسيدها بأفران الحرق. والمحرقة الخارجية تم تجسيدها بحفرة الحرق والتي سميت بالهولوكوست .

أمام الرب

وحسب النصوص التوراتية نجد طريقتين لحرق الأضحية نفسها أحياناً، فيتم حرق اللحم الداخلي للأضحية في المحرقة الداخلية الموجودة عادة داخل المعبد اليهودي. ويتم حرق المخلفات الأخرىٰ وهي تحوي الجلد والكبد والمخلفات الوسخة للذبيحة خارج بناء الكنيس اليهودي أي في فنائه أو في حديقته ، حيث توجد محرقة كبيرة ومخصصة عادة لهذا الغرض، ويتم فيها حرق الأضحية بالكامل لتصبح رماداً.

وحسب النص (التوراتي) السابق فإن الحرق في المكان المكشوف يجب أن يتم ليكون أمام الرب كما تقول العبارة. أي في الخارج ليراها رب اليهود، وعلىٰ هذا تكون الهولوكوست النازية المزعومة قد حدثت أيضاً أمام الرب

وهذه هي الصورة الموجودة في الذهن اليهودي والتي حوّلها اليهود إلىٰ صورة

تتمثل في محرقة الهولوكوست الألمانية. وهذه صورة طقسية يهودية هي واحدة من أركان الديانة والعبادة والطقوس اليهودية حملها اليهود ليجعلونها صورة مفروضة علىٰ أفراد شعوب العالم كله. لكن ما ذنب غير اليهودي ليحمّله اليهود صورة دينية يهودية بواسطة خدعة وأكذوبة مفروضة ؟؟ بل وممنوع حتىٰ مجرد التفكير فيها.ما ذنب المسلم والمسيحي والبوذي والوثني ؟ وبأي حق يتم فرض صورة طقسية دينية يهودية علىٰ غير اليهود؟

لعل الجواب علىٰ كل تلك التساؤلات هو عبارة واحدة باتت أكيدة للعالم كله، وهي رغبة اليهود في نشر عقائدهم الدينية في العالم كله وقيامهم بمشاريع عديدة لهذا النشر الديني وهذا التبشير اليهودي. ومن ذلك تقربهم من المسيحية العالمية ومن الكنيسة البابوية في روما .

وإنشاء أحزاب مسيحية صهيونية قوية في الولايات المتحدة. ونشر ما سمي بالكتاب المقدس بسعر زهيد وضمّ الأناجيل المسيحية إلىٰ الكتب اليهودية القديمة والمزورة.

المحرقة في التوراة

النسخة الموجودة الآن والمعروفة باسم العهد القديم وعدد صفحاتها 1358 صفحة تذكر الأضحية والمحرقة مئات المرات تقريباً. وتعطي المحرقة مكانة شديدة الأهمية في الطقوس الدينية اليهودية. وتتحدث عن حرق الأضحية أو بعض أجزائها وتعتبر ذلك واحداً من أهم أركان طقوس التقرّب من الرب.

كما وتبين النصوص التوراتية بأن المحرقة موجودة في كل كنيس يهودي وأنها أحد أركانه الرئيسة، فلاكنيس بدون محرقة، كما أنه لاكنيس بدون مذبح.

ويمارس تقديم الأضاحي وحرقها بشكل دائم في الكنس اليهودية وربما في بيوت اليهود ضمن طقوس مقززة ومنفرة للنفس البشرية، طقوس شديدة الرعب والبشاعة، حيث يتم سفح دم الأضحية في أمكنة عديدة. ثم سفح رماد الأضحية

المحروقة بطريقة مثيرة. وسنرىٰ كل هذه التفاصيل في بعض النصوص التوراتية.

لنتعرف بداية علىٰ هذا النص التوراتي الذي يصف الأضحية اليهودية ، وشروط ذبحها وتقديمها وتناولها، وسنكتشف من هذا النص أهمية الضحية عند اليهود وأهمية التسري بها. ولنبدأ بهذا النص من سفر الخروج ، الإصحاح العاشر:

«.... 24 فدعا فرعون موسىٰ وقال اذهبوا اعبدوا الرب . غير أن غنمكم وبقركم تبقىٰ. أولادكم أيضاً تذهب معكم. 25 فقال موسىٰ أنت تعطي أيضاً في أيدينا ذبائح ومحرقات لنضعها للرب إلهنا. 26 فنذهب مواشينا أيضاً معنا. لا يبقىٰ ظلف. لأننا منها نأخذ لعبادة الرب إلهنا. ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتىٰ نأتي إلىٰ هناك....»

والقصة هنا تقول بأن فرعون أراد أن يطرد موسىٰ وقومه اليهود، فأمرهم بالخروج مع أولادهم لكن علىٰ أن يبقوا أغنامهم وأبقارهم، فلا يأخذونها معهم. فقال له موسىٰ حسب النص: أبقِ لنا الغنم والبقر لتكون ذبائح ومحرقات نقدمها للّرب كأضاحي (ذبائح ومحرقات) ، وبدونها لا نعرف بماذا نعبد الرب كي يعيننا علىٰ الوصول إلىٰ هناك.

ونلاحظ في الآية رقم 25 ذكر كلمة محرقات حرفياً وهي جمع محرقة، وهي -حسب النص التوراتي الذي بين أيدينا – الأضحية اليهودية المقدمة للرب تقرّباً منه بغية طلب العون.

ولّما جاءت كلمة محرقات بعد كلمة ذبائح فإننا نستنتج من ذلك بأن المحرقة ليست هي نفسها الذبيحة فحسب بل هي ذبيحة تم حرقها بعد ذبحها وتقديمها للرب قرباناً.

والمحرقة أيضاً هي المكان الذي يتم حرق الأضحية فيه.

- في هذا النص (التوراتي) نكتشف أن الطقس العبادي اليهودي لايتم بدون ذبائح ومحرقات، وذلك حسب ما قاله موسىٰ لفرعون.

- ولّما كانت اليهودية ديانة لا تتم بدون محرقة ، فهي إذاً ديانة المحرقة. وديانة

طقوس الحرق وطقوس النار. وطقوس البخور. وطقوس الدم المسفوح.

تحرقونه بالنار

وهذا النص الشارح للأضحية اليهودية المحروقة، ولأهميتها في العقيدة اليهودية عثرنا عليه في سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر:

«... 1 وكلم الرب موسىٰ وهرون في أرض مصر قائلاً. 2 هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو أول شهور السنة. 3 كلما كلّ جماعة إسرائيل قائلين في العاشر من هذا الشهر يأخذون لهم كلّ واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاة للبيت. 5 .. تأخذون من الخرفان أو من المواعز. 6 ... ثم يذبحه كل جمهور إسرائيل في العشية. 7 ويأخذون من الدم ويجعلونه علىٰ القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها. 8 ويأكلون اللحم في تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير. علىٰ أعشاب مرّة يأكلونه. 9 لا تأكلوا منه نيئاً أو طبيخاً مطبوخاً بالماء بل مشوياً بالنار. رأسه مع أكاريعه وجوفه 10 ولا تبقوا منه إلىٰ الصباح. والباقي منه إلىٰ الصباح تحرقونه بالنار. 11 وهكذا تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم في أرجلكم وعصيّكم في أيديكم. وتأكلونه بعجلة . هو فصح للرب. 13 ويكون لكم الدم علامة علىٰ البيوت التي أنتم فيها. فأرىٰ الدم وأعبّر عنكم. فلا يكون لكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. 14 ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب . في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية...»

- نلاحظ في النص السابق ارتباط الأضحية والمحرقة بالعيد الديني اليهودي السنوي، وهو عيد الفصح اليهودي كما يقول النص.

- سفح دم الأضحية عند أبواب البيوت اليهودية. كي يعرف الرب بأنها أبواب لبيوت اليهود وليست لغيرهم، وبذلك يضرب الرب بيوت الآخرين جميعاً ويحفظ بيوت اليهود وعلىٰ هذا يمكن تضليل رب اليهود حسب ماتعنيه تلك الآية إذ يمكن لغير اليهودي أن يسفح دماً عند باب بيته فيظنه رب اليهود بيت

يهودي فلا يضربه . ومن هنا نتبين وصف الرب عند اليهود، فهم يعتقدون بإمكانية خداعه ، وتضليله ، ويعتقدون بأن إمكانياته وقدراته ضعيفة، ولذلك اعتقد المتطرفون الصهاينة بأنهم خدعوا رب اليهود حين اختلقوا أكذوبة الإبادة. وهذه (الآية التوراتية) تدلّ علىٰ وصف رب اليهود بأنه يرىٰ الذبح عندما يكون في خارج المكان المعمور ولا يراه إذا كان في الداخل.

« 11 فتذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع»

عن الإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج

- يحرق اليهود ما بقي من الأضحية حتىٰ الصباح. وهذا الحرق هو تقدمة لرب اليهود كما تبين لنا من نصوص (توراتية) عديدة.
- يأكل اليهود اللحم مشوياً علىٰ النار فحسب،(لاحظ أهمية النار) وهم واقفون لابسي أحذيتهم وحاملي عصيهم.
- خيمة الاجتماع التي ورد ذكرها في النص السابق وهي ترد كثيراً في نصوص العهد القديم هي مكان اجتماع الرب مع موسىٰ ومن بعده الأنبياء ومن بعده اليهود عامة. وهي مكان خارجي يكون في باحة المعبد المكشوفة بجانب المحرقة.

فتحرقها بنار خارج المحلة

ومن الإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج اخترنا هذا النص الذي يصف طريقة التضحية بثور:

« 10 وتقدم الثور إلىٰ قدام خيمة الاجتماع، 11 فتذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع. 12 وتأخذ من دم الثور وتجعله علىٰ قرون المذبح بإصبعك. وسائر الدم تصبه إلىٰ أسفل المذبح. 13 وتأخذ كل الشحم الذي يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما. وتوقدها علىٰ المذبح. 14 وأما لحم الثور وجلده

وفرثه فتحرقها بنار خارج المحلة. هو ذبيحة خطية.»

في النص (التوراتي) السابق يسفح دم الثور علىٰ المذبح ثـم يحـرق شـحمه وكبـده وكليتيه علىٰ المذبح ثم يحرق لحمه وجلده وفرثه خارج المذبح.

وهذه هي المحرقة الخارجية التي عبّر اليهود عنها بالهولوكوست أو حفـر الحـرق النازية. ونلاحظ أوجه التشابه الكبيرة بين محارق التوراة ومحـارق الألمـان المزعومـة. ففي التوراة محرقتان وهما محرقـة داخليـة ومحرقـة خارجيـة تكـون عنـد بـاب خيمـة الاجتماع بالرب. وعند الألمان توجب أن يكون محرقتـان. فكانـت الأفـران الـصغيرة وكانت المحارق الكبيرة المسماة هولوكوست.

وبالنـسبة لـصانعي الأكذوبـة فقـد توجـب علـيهم أن يجعلوهـا مماثلـة للـصور التوراتية. ليتمكنوا من تحميلها مغزىً دينياً يهودياً.

وقود للرب

في النص (التوراتي) التالي شرح لمعنىٰ المحرقـة في العقيـدة اليهوديـة، وهـو مـن الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج:

«.... 15 وتأخذ الكبش الواحد. ... 16 فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشـه علىٰ المذبح من كل ناحية. 17 وتقطع الكبش إلىٰ قطعه. وتغسل جوفه وأكارعـه .... 18 وتوقد كل الكبش علىٰ المذبح. هو محرقة للرب. رائحته سرور. وقود هو للرب»

وفي هذا النص شرح عقيدي يهودي لمعنىٰ المحرقة، فهي:

1. وقود للرب
2. محرقة للرب
3. رائحة سرور للرب

وفي النص (التوراتي) التالي صورة أكثر دموية ورعباً وهـي تفيـدنا في فهـم عقليـة

القتل والسفك والدموية عند اليهود، وقد نقلناه من سفر الخروج، الإصحاح التاسع والعشرون:

«.. 19 وتأخذ الكبش الثاني ... 20 فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل علىٰ شحمة أذن هارون وعلىٰ شحم آذان بنيه اليمنىٰ وعلىٰ أباهم أيديهم اليمنىٰ وعلىٰ أباهم أرجلهم اليمنىٰ. وترش الدم علىٰ المذبح من كل ناحية . 21 وتأخذ من الدم الذي علىٰ المذبح ومن دهن المسحة وتنضح علىٰ هارون وثيابه وعلىٰ بنيه وثياب بنيه معه. 22 ثم تأخذ من الكبش الشحم والإلية الذي يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين... ورغيفاً واحداً.. 23 وتضع الجميع في أيدي هارون وفي أيدي بنيه ..25 ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها علىٰ المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب. وقود هو للرب...»

لاحظنا الصورة الدموية في النص السابق وكان واضحاً ارتباط تلك الصور بسعادة الرب حسب المفهوم اليهودي.ويمكن تلخيص تلك الصور كالتالي:

1. يلوث بدم الأضحية شحمة الأذن اليمنىٰ لهارون وأولاده، ويلوث أباهم أياديهم وأرجلهم اليمنىٰ.
2. يأخذ دم الأضحية ويسكب فوق هارون وثيابه فيتقدس
3. يسكب الدم فوق أبناء هارون وثيابهم فيتقدسوا.
4. يحرق قسم من الأضحية ممزوجاً بدمها وبالفطير في المحرقة
5. المحرقة هي رائحة سرور أمام الرب
6. المحرقة هي وقود للرب.
7. تركيز النص التوراتي علىٰ الدهن والشحم وشحم أذن اليهودي. وهذا يرتبط بأكذوبة صناعة الصابون من الدهن اليهودي.

ونحقق في (الآيات التوراتية)التالية ونكتشف شروحاً أخرىٰ للمحرقة اليهودية وكلها مختارة من سفر الخروج :

« 31 وأما الكبش الملء... 34 يحرق الباقي بالنار . ولا يؤكل لأنه مقدس»

من سفر الخروج، الإصحاح التاسع والعشرون

« ... 42 رائحة سرور وقود للرب 43 محرقة دائمة في أجيالكم عند باب خيمة اجتماع أمام الرب. » من سفر الخروج، الإصحاح التاسع والعشرون

« 14 وان كان قربانه للرب من الطير محرقة يقرب قربانه من اليمام أو من فراخ الحمام. 15 يقدمه الكاهن إلىٰ المذبح ويحز رأسه ويوقد علىٰ المذبح ويعصر دمه علىٰ حائط المذبح. 16 ويوقده الكاهن علىٰ المذبح فوق الحطب الذي علىٰ النار إنه محرقة وقود رائحة سرور للرب» من سفر اللاويين، الإصحاح الأول ص 185 كتاب العهد القديم.

« 1 فان قرّب من البقر ذكراً أو أنثىٰ فصحيحاً يقربه أمام الرب. 2 يضع يده علىٰ رأس قربانه ويذبحه لدىٰ باب خيمة الاجتماع ويرش بنو هارون الكهنة الدم علىٰ المذبح مستديراً. 3 ويقرب من ذبيحة السلامة وقوداً للرب الشحم الذي يغشي الأحشاء وسائر الشحم الذي علىٰ الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي علىٰ الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها، 5 ويوقدها بنو هارون علىٰ المذبح علىٰ المحرقة التي فوق الحطب الذي علىٰ النار وقود رائحة سرور للرب» اللاويين، الإصحاح الثالث

وإن عبارة (وقود للرب) تحمل معاني غريبة لا يتقبلها عقلنا نحن المؤمنين والمنفتحين دينياً والذين نقرأ الديانة والمعتقدات بعقول علمانية ومنفتحة. فهذه العبارة لا تحمل معاني رمزية كما يتصور البعض بل تحمل المعنىٰ الظاهر منها، فالأضحية وقود وغذاء ووجبات يتناولها الرب من يهوده.وفي نصوص كثيرة نجد أن الرب لايطلب من يهوده إلّا هذه الوجبات وهذا الوقود. وهم يقللون من عظمة الرب الذي يعتقدون به لأنهم كفروا به، ولأنهم اتبعوا أهواءهم وشياطينهم. ولأن قلوبهم غلف. ولذلك حلّت لعنة الله عليهم.

في نصوص العهد القديم يوصف الرب كأنه بشر ولا يمنحونه صفات علوية عظيمة لأنهم كفرة ومشركون.

لقد اختار اليهود العقائد التي تناسب أهواءهم وعنصريتهم وكفرهم ونكروا عقيدة موسىٰ عليه السلام وعقائد الأنبياء الموحدين. فقاموا بصياغة هذه النصوص وهذه الشرائع الخرافية والمرعبة.

فريضة دهرية في أجيالكم

إن محافل المحرقة وتقديم الأضاحي تعتبر فريضة أبدية لليهود، وفريضة دائمة لا تزول ولا تنتهي، ولذلك فإن يهود القرن العشرين قدّموا أضاحي وقرابين بشرية للرب. ولأن اليهود لا يؤمنون بيوم القيامة الذي يموت فيه كل بني البشر، بل يعتقدون بأن اليهود يبقون إلىٰ الأبد ويموت غير اليهود وذلك في يوم الميعاد اليهودي، وهذا معنىٰ كلمة (دهرية) في نصوص العهد القديم.

«13 وإن كان قربانه من المعز يقدمه أمام الرب...14 ... الشحم الذي يغشي الأحشاء وسائر الشحم الذي علىٰ الأحشاء 15 والكليتين والشحم الذي عليهما الذي علىٰ الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها. 16 ويوقد الكاهن علىٰ المذبح طعام وقود لرائحة سرور. كل الشحم للرب. 17 فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم لا تأكلوا شيئاً من الشحم ولا من الدم».

والشحم هو الدهن ولعلنا نتذكر في أسطورة الإبادة أن اليهود استخدموا أكذوبة تقول باستخدام الدهن البشري اليهودي في صناعة الصابون.

ويمنع علىٰ اليهود أكل شحم الذبائح كما تنص هذه (الآيات التوراتية):

« ... 23 كلّ شحم ثور أو كبش أو ماعز لا تأكلوا. 24 وأما شحم المفترسة فيستعمل لكل عمل لكن أكلاً لا تأكلوه» سفر اللاويين، الإصحاح السابع

«... 29 وصنع دهن المسحة مقدّساً . والبخور العطر نقياً صنعه العطار»

عن سفر الخروج، الإصحاح السابع والثلاثون.

حفر الهولوكوست

تقول أسطورة الهولوكوست التي شاعت في العالم بأن النازيين كانوا يقتلون اليهود بتعريضهم للغازات السامة ثم يتخلصون من جثثهم بحرقها في حفر كبيرة كانت مخصصة لهذا الغرض وهذه الحفر أطلق عليها تسمية الهولوكوست أو الشواة.ومازالت في المتاحف النازية حفر يزورها السياح، ويقال لهم: هنا أحرقت جثث ملايين اليهود.

وقد ثبّت الحلفاء واليهود تلك الأسطورة في أذهان الناس ومازالوا حتىٰ يومنا هذا يمنعون البحث في صحتها وفي تاريخ الأحداث المتعلقة بها.

وفي معسكر آشويتز توجد حفرة يبلغ عمقها ستة أقدام وعندما انتهت الحرب ودخل الحلفاء إلىٰ هذه المعسكرات وجدوا الحفرة عبارة عن بركة ماء، وقام (لوشتر) بفحص الحفرة وثبّت نتائج بحثه التي تقول:

«.. تم التحقق من الخرائط التي تبين مكان الحفرة وتم فحص الحفرة نفسها فكانت مملوءة بالماء ، وكانت المساحة المملوءة بالماء في تلك الحفرة يبلغ عمقها حوالي أربع أقدام ونصف القدم».

وقال لوشتر: «...من المستحيل إحراق الجثث تحت الماء ...»

ولا يمكن الاعتقاد بأن الماء قد غمر هذه الحفر بعد الحرب لأن الوثائق الألمانية والتحقيقات تؤكد بأن معسكر آشويتز ومعسكر بيركناو قد بنيا في مستنقعات، وسواء قام النازيون بتعميق هذه الحفر أو أنها كانت حفراً طبيعية بسبب انخفاضها فمن المؤكد بأنها ظلت علىٰ الدوام مملوءة بالماء. وهذا يعني بأن النازيين قد استخدموها كخزانات كبيرة للماء.

تقول وثيقة الاستخبارات الأمريكية :

«.. كانت تغطي السماء سحابة كبيرة من الدخان المعتم ناتجة عن حرق الجثث وتؤكد ذلك الشهادات العديدة...»

وتقول تحقيقات الحلفاء:

«..إن ما يصل إلىٰ 25000 جثة كانت تحرق يومياً في حفر آشـويتز وبيركنـاو» أي في نفس الحفر المغمورة بالماء!! وهذا مستحيل.

وبالعودة إلىٰ الصور الجوية لهذين المعسكرين والمـأخوذة مـن 26 حزيـران إلىٰ 25 آب 1944 تبين الباحث الفرنسي روجيه غارودي بأنها لا تكشف أبداً أي أثر للدخان ولا لنشاطات غير اعتيادية ولا لتجمعات أو حشود ونقليات (33).

كما تفحص غارودي ألبوم آشويتز وقال:

«... إن ألبوم آشويتز الذي يحـوي 189 صـورة فوتوغرافيـة مـأخوذة في المعـسكر نفسه تحوي 189 مشهداً عادياً من حياة الاعتقال لدىٰ وصول قافلة من المنفيين جاءت من المجر. وبقراءة تلـك الـصور نلاحـظ تماماً أن لاشيء إطلاقـاً يؤكـد إبـادة كثيفـة ومنتظمة لليهود كما يدّعي البعض، بل إن الـصور تـستبعد تماماً حـصول مثـل تلـك الإبادة المزعومة...»(21)

وهذه (الآيات التوراتية) التي ننقلها هنا تتحـدث عـن تقـديم قربـان هـو ثـوران يقدمان فدية إذا أخطأت نفس سهواً في شيء من جميع مناهي الرب، وهـذه التعلـيمات هي حسب النص أوامر الرب إلىٰ موسىٰ، ونلاحظ فيما يلي اهتماماً بالشحم الـذي هـو الدهن وحرق الشحم في كل مرة تقدم فيها أضحية.

كما نلاحظ نوعين من الحرق ، ووجود مكانين للحرق هما المحرقة التـي في المـذبح وهي محرقة صغيرة ولها جدران وسقف ونستطيع تـشبيهها بـالفرن. والمحرقـة الثانيـة وهي خارج المذبح وخارج مكان العبادة كله، حيث تحرق قطع الجسد الكبير للثور في العراء ويتم حرقها بواسطة الحطب، وهذه شواة كبيرة الحجم وواسعة ومكشوفة وهي ما يسمىٰ بالهولوكوست.

كما نلاحظ تركيز النص علىٰ دخان الحرق والبخور والعطور وان هذا الجو الدخاني

يماثل دخان غازات التسميم التي جاء ذكرها في الأكذوية مرتين، في المرة الأولىٰ كانت غازات السيانيد التي زعمت الأسطورة بأنها استخدمت في الحمامات، وفي المرة الثانية كانت غازات الديزيل التي زعمت الأسطورة أنها أبادت اليهود في سيارات الديزيل المخصصة للإعدام.

« 1 وكلّم الرب موسىٰ قائلاً 2 .. إذا أخطأت نفس سهواً في شيء من جميع مناهي الرب.. 3 إن كان الكاهن الممسوح يخطئ لإثم الشعب يقرّب عن خطيئته .. ثوران ... 4 ويذبح الثور أمام الرب..7 ويجعل الكاهن من الدم علىٰ قرون مذبح البخور العطر في خيمة الاجتماع أمام الرب. 8 وجميع شحم ثور الخطيئة ينزعه عنه. الشحم الذي يغشي الأحشاء وسائر الشحم الذي علىٰ الأحشاء. 9 والكليتين والشحم الذي عليهما الذي علىٰ الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعهما. 10 ويوقدهن الكاهن علىٰ مذبح المحرقة. 11 وأما جلد الثور وكل لحمه مع رأسه وأكاريعه وأحشائه وفرثه 12 فيخرج سائر الثور إلىٰ خارج المحلة إلىٰ مكان طاهر إلىٰ مرمىٰ الرماد ويحرقها علىٰ حطب بالنار . علىٰ مرمىٰ الرماد تحرق»

عن سفر اللاويين ، الإصحاح الرابع

وكما لاحظنا في (الآيات السابقة ذكر المحرقة الخارجية وهي محرقة كبيرة يحرق فيها بواسطة الحطب جلد الثور وأحشاؤه وأكاريعه وكل لحمه).

وإن صفات هذه المحرقة (الهولوكوست) هي حسب النص:

- في مكان مكشوف
- مكان خارج المعبد اليهودي
- هي منطقة ترابية ولاشك.
- هي مخصصة للحرق الديني اليهودي .

- هي مكان طاهر، أي ليس فيه قمامة ولا مياه وسخة وهي مكان مخصص للحرق لأنه يحوي رماد حرق سابق. ولذلك سمي بمرمىٰ الرماد وإن الحرق والرماد يطهّران المكان.
- أشير في النص إلىٰ أن اسم المحرقة أيضاً هو مرمىٰ الرماد.
- هي مكان واسع وكبير فيتسع لجسم الأضحية ورأسها وجلدها ورفثها وبقية أحشائها. وهذه صورة تشابه صورة المحارق النازية المزعومة.

مكان المحرقة أمام خيمة الاجتماع أمام الرب أي ليرىٰ الرب الحرق والتقدمة. ولكي لا تكون المحارق خفية عليه، لأن الرب لا يثق بكلام يهوديه وهو يعرف أكاذيبهم. وتتكرر كثيراً عبارة أمام الرب في نصوص العهد القديم. ولذلك أوجد المتطرفون اليهود أكذوبة المحارق الخارجية لتكون أمام ناظري الرب وليشهد هو عليها. ورغم أنهم أشهدوه عليها كما تقول الأكذوبة فإنهم كذبوا عليه هذه المرة أيضاً إذ لم تكن هناك محارق علىٰ الإطلاق. ورغم أنهم كذبوا علىٰ اليهود الآخرين أيضاً فإن هؤلاء الآخرين لم يصدّقوا تماماً حدوث المحارق والإبادة. بل رضوا بها لتكون ثروة مادية وسياسية لليهود.

وبمقارنة صفات حفرة الهولوكوست هذه نجدها تنطبق تماماً و100٪ مع الهولوكوست النازية المزعومة.

ولأنه لا يمكن أن نجد تشابهاً تاماً بالمصادفة في قضيتين هما يهوديتين 100 ٪ فإننا نستخلص بسهولة بأن الصورة (التوراتية) المحفوظة في الذاكرة اليهودية قد تم تفعيلها والبحث عن صورة واقعية كان يتوجب علىٰ اليهود أن تكون مطابقة لها 100 ٪ فتم العثور علىٰ برك الماء الراكض.

وقيل بأنها كانت هولوكوست نازية. ولأن الحلفاء كانوا في موقف مجبرين فيه علىٰ أن يتعاملوا مع اليهود بمبدأ : اطلب تعطَ.

ولأن ألمانيا المهزومة كانت في تلك المرحلة غير قادرة علىٰ رفض أية مطالب من الأقوياء.

فقد قرر الصهاينة المتطرفون وحصلوا بسهولة علىٰ ما أرادوه رغم أن مزاعمهم تلك كانت ومازالت تخالف قواعد العقل البشري.

وفي النص التالي إيضاح لوصف المحرقة الكبيرة الهولوكوست:

«**17 وأما الثور جلده ولحمه وفرثه فأحرقه بنار خارج المحلة كما أمر الرب موسىٰ....**» سفر اللاويين، الإصحاح الثامن. وفي هذه الهولوكوست التوراتية تحرق الأضحية بكاملها مع قمامتها وتوابعها. وقد اختار الصهاينة هذه الصورة نفسها للتعبير عن حرق المعتقلين اليهود.

شريعة المحرقة وشريعة التقدمة

« .... 8 وكلّم الرب موسىٰ قائلاً 9 أوص هارون وبنيه قائلاً هذه شريعة المحرقة. هي المحرقة تكون علىٰ الموقدة فوق المذبح كل الليل حتىٰ الصباح ونار المذبح تتقد عليه. 10 ثم يلبس الكاهن ثوبه من كتان ويلبس سراويل من كتّان علىٰ جسده ويرفع الرماد الذي صيّرت النار المحرقة إياه علىٰ المذبح ويضعه بجانب المذبح. 11 ثم يخلع ثيابه ويلبس ثياباً أخرىٰ ويخرج الرماد إلىٰ خارج المحلة إلىٰ مكان طاهر. 12 والنار علىٰ المذبح تتقد عليه. لا تطفأ ويشعل عليها الكاهن حطباً كلّ صباح ويرنب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة. 13 نار دائمة تتقد علىٰ المذبح . لا تطفأ. 14 وهذه شريعة التقدمة. يقدمها بنو هارون أمام الرب إلىٰ قدام المذبح 15 ويأخذ منها بعض دقيق التقدمة وزيتها وكل اللبان الذي علىٰ التقدمة ويوقد علىٰ المذبح رائحة سرور تذكار للرب .... 17 إنها قدس أقداس كذبيحة الخطية وذبيحة الإثم. 18 كل ذكر من بني هارون يأكل منها ، فريضة دهرية في أجيالكم من وفائد الرب . كل من مسّها يتقدس.....»

عن سفر اللاويين ، الإصحاح السادس، صفحة 164 من العهد القديم

وقد تحدثت أكذوبة الإبادة عن تصفية اليهود بمرحلتين اثنتين هما خنق اليهود في غرف الغاز (حمّامات) ثم نقلهم إلىٰ حفر كبيرة وحرقهم في محرقات كبيرة تتسع لأعداد كثيرة، وتحويل أجسادهم إلىٰ رماد خالص. وهاتان المرحلتان هما في التوراة علىٰ التوالي كما رأينا في النص السابق شريعة المحرقة وشريعة التقدمة للرب. وعلىٰ هذا يكون اليهود الذين أبيدوا حسب الأكذوبة قد قدموا كأضاحٍ مقدسة لرب اليهود.

ست أضاحٍ للرب

«... 37 تلك شريعة المحرقة والتقدمة وذبيحة الخطية وذبيحة الإثم وذبيحة الملء وذبيحة السلامة..»

عن سفر اللاويين، الإصحاح السابع.

في هذه الآية التوراتية تعريف لستة أنواع من الأضاحي اليهودية التي تقدم للرب، وقد زعم اليهود أيضاً عندما كذّبوا علىٰ رب اليهود وعلىٰ العالم كله بأنهم قدّموا عدّة أنواع من الأضاحي عندما أبيدوا علىٰ يد النازيين، فقدّموا لرب اليهود شريعة المحرقة عندما أحرقوا في الأفران وفي الهولوكوست، وقدموا لرب اليهود شريعة التقدمة والتي هي تضحية اليهود بدهنهم وشحومهم وزيوت أجسادهم، وقدموا ذبيحة الإثم ليغفر لهم آثامهم وقدّموا ذبيحة السلامة لينجي من بقي منهم ويعيدهم إلىٰ أرض فلسطين.

«... 13 احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه، 14 بل في المكان الذي يجتازه الرب في أحد أسباطك. هناك تصعد محرقاتك...» عن سفر التثنية، الإصحاح الثاني عشر. وهنا إيضاح بأن للمحرقة هيكل ومكان ولابد من تشييد هذه المحرقة لتصبح هيكلاً ومعبداً يهودياً، والمعبد الأول اختار مكانه رب اليهود حسب النص.

الرب يأكل لأن النار تأكل

اليهودية عقيدة حلولية، أي أنها ترىٰ حلول الرب في النار وفي لهيبها وفي ذراتها وفي الغيوم وفي ذراتها، ولذلك فهم يرون بأن النار مقدسة من قداسة الرب. وعندما تأكل النار الأضحية أو القربان أو اليهود أنفسهم فإن ذلك يعني كما نقول تفاسيرهم أن الرب قد أكل وتناول تلك الأجسام. وأنها بالنسبة إليه كوجبات يتناولها.

وردت في نصوص العهد القديم مرات كثيرة عقوبة قتل وانتقام بواسطة الحرق، وفي النص التالي نرىٰ كيف قام شمشون بحرق أرزاق وأكداس وكروم وزيتون الفلسطينيين:

«...3 فقال لهم شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شراً. 4 وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوىٰ وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلىٰ ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط. 5 ثم أضرم المشاعل ناراً وأصقلها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون...».

ومن الملاحظ في نصوص العهد القديم تكرار فعل الحرق وذكر النار في مجالات كثيرة. وهذا يعود علىٰ ولع واضعي تلك النصوص بالنار وتقديسهم لها. وقد سبق وأوضحنا بأن اليهود يقدسون النار ويعتبرون بأن الرب يحلّ بالنار ويظهر أحياناً علىٰ شكل نار. ومن ذلك فإن النار مقدسة وهي تمثّل الرب. لأن الرب إذ يحرق بناره التي هي هو يكون في ذلك الفعل يلتهم ويتناول ويأكل.

وتقول العقيدة اليهودية: عندما يحرق اليهود بالنار يأكلهم الرب ولاشك في ذلك لأن النار هي الرب نفسه، ولأن النار قد التهمت أجساد اليهود المحروقين. أي التهمهم الرب وتناولهم. وبذلك تكون أسطورة الإبادة فعل تقدمة للرب الذي يؤمن به اليهود.

والرب يتناول يهوده كأضاحٍ ليكفّر عن خطاياهم ويعيدهم إلىٰ أرض فلسطين ويسكن بينهم كما وعدهم، وعندئذ تزول الأمم الأخرىٰ وتصبح كل الممالك خاضعة لنفوذ اليهود كما تقول أساطير التوراة. وهذه الصورة السياسية الأخيرة وجدها اليهود قائمة في زمن الحرب العالمية الثانية فكانت جميع الأمم والممالك مهددة بالسقوط والزوال والفناء.

«.. 27 هذه هي مواسم الرب التي فيها تنادون محافل مقدسة لتقريب وقود للرب محرقة وتقدمة وذبيحة وسكيباً أمر اليوم بيومه. 28 عدا سبوت الرب وعدا عطاياكم وجميع نذوركم ونوافلكم التي تعطونها للرب..»

عن سفر اللاويين الإصحاح الثالث والعشرون.

وفي النص السابق يتوجب علىٰ اليهود تقديم وجبات عديدة للرب في كل الأيام

باستثناء يوم السبت لأنه يوم سبات الرب فلا يتناول فيه الأضاحي والقرابين. كما وتتحدث نصوص عديدة عن ضرورة منح الرب قسماً من كل أغلال اليهود. فهو أيضاً يريد منها لنفسه. وهكذا كان اليهود الألمان طعاماً للرب بالمعنىٰ الدقيق. وقرابين ووفائد للرب بالمعنىٰ التوراتي.

«... 14 أنت يا رب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً..» عن سفر عدد الإصحاح الرابع عشر.

وإن أي قربان يحرق بنار إنما يتناوله الرب ويعتبره وقوداً له

«.. 3 لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت.»

سفر الخروج، الإصحاح الخامس والثلاثون.

أي أنّ يوم السبت عطلة إجبارية لليهود ويحرم إشعال النار في كل سبت أي يمنع إحضار الرب يوم السبت، فالرب في عطلة.

وإنّ أهمية النار المقدسة عند اليهود جعلتهم يعتبرونها الآلة النازية التي أبادت شعبهم.

الأسطورة الخامسة

صابون الشحم اليهودي

تقول الأسطورة الخرافية بأن الألمان النازيين كانوا بعدما يعدمون اليهود يحوّلون تلك الجثث إلىٰ مصانع خاصة تستخرج من أجسادهم مواد كيميائية عديدة استفاد منها الألمان في إنتاج صناعات مختلفة أهمها البارود. وإن آخر المخلفات البشرية وهي الشحوم والدهون استخدمها النازيون بعد ذلك في إنتاج وصناعة الصابون.

وقد انتشرت هذه الأسطورة بادئ الأمر في أوساط يهود بولونيا في زمن الحرب، وروّجتها الحركات الصهيونية واليهودية ، وبعد انتهاء الحرب أخذت الصحافة اليهودية تتحدث بالتدريج عن هذه الأسطورة الخرافية.

ففي العام 1946 نشرت صحيفة الطائفة اليهودية المسماة (الطريق الجديد) مقالاً بعنوان (R J F)صابون الدهن اليهودي الصافي بقلم فينزنتال قال فيه:

« سمعت الكلمات الرهيبة (نقل من أجل الصابون) للمرة الأولىٰ ، في نهاية العام 1942 ، وكان ذلك في حاكمية بولونيا العامة، وكان المصنع موجوداً في غالسيا في مدينة بيلزيك. وقد استخدم بين نيسان 1942 وأيار 1943 تسعمائة ألف يهودي كمواد أولية في هذا المصنع.»

«.. وكان يجري في المصنع تحويل الجثث إلىٰ مواد أولية متنوعة يتم الاستفادة منها . وأما المخلّفات الرسوبية النهائية فتستعمل في إنتاج الصابون.»

«... وكان الناس في الحاكمية العامة بعد عام 1942 يعلمون جيداً جداً ماذا كان يعني الصابون (R J F) وإنه لا يمكن للعالم المتمدن أن يتخيل الفرح الذي كان يجلبه هذا الصابون لنازيي الحاكمية العامة ونسائهم . فقد كانوا يرون أن يهودياً قد وضع

بصورة سحرية في كل قطعة صابون وأنه بـذلك حـرم مـن أن يـصبر فرويـداً آخـر أو أينشتاين أو أولريخ....» (13)

تحقيق في خرافة صناعة الصابون البشري

- أين تلك المصانع ؟ وأين مصنع غالسيا الذي تحدث عنه مقال فينزنتال؟ ولماذا لم يتم العثور علىٰ أي من تلك المصانع لتصبح متحفا مفتوحة للزوار؟ وبـالطبع لم يكن بإمكان الألمان التخلص من تلك المصانع والقضاء علىٰ كل أثر لها.
- إن تحليل الجثث البشرية واستخراج مواد عديدة منها أمر يحتاج إلىٰ مصانع كيميائية تحوي معدات وآلات كبيرة خاصة بتلك الصناعة ، وتختلـف كثـيراً عـن مـصانع الصابون العاديّة. ولو أنها قد وجدت في زمـن الحـرب لكانـت سـتبقىٰ واضـحة المعالم بعد انتهاء الحرب.وستكون شاهداً كبيراً وواضحاً علىٰ تلك الصناعة.
- في الحرب العالمية الأولىٰ 1914 – 1918 استعملت إشاعة صناعة الصابون من الدهن البشري، وتحدث الناس عن استخدام أجساد الأعداء والذين لم يكونـوا يهوداً بالطبع في تلك الصناعات. وفي الحرب العالمية الثانية اسـتفاد اليهـود مـن الفكرة نفسها واستثمروها أفضل استثمار، وقاموا بترويجها وجعلوا من أنفسهم هذه المـرة الـضحية التـي تحولـت إلىٰ ألـواح صـابون. وإن تكـرار الإشـاعة في الحربين يعتبر دليلاً علىٰ أنها أكذوبة من صنع الخيال البشري الجامح.
- إن مذكرة فاشيم وهي من وثائق التحقيقات الرسمية تردّ بصورة رسـمية جـداً علىٰ تلك الأكاذيب ، إذ يؤكد فاشيم بأن الألمان النازيين لم يصنعوا أبداً صـابوناً من جثث اليهود ، رغم افتقارهم في زمن الحرب للصابون وللمواد الأولية التي يصنع منها. ورغم ندرة وجود زيوت الصابون. وقد وضـعت تلـك الـصناعة تحت إشراف الحكومة النازية. كما وأكد تقرير فاشيم بأن ألواح الصابون كانـت تحفر عليها الأحرف الثلاثة R I F وهي اختصار لعبارة (إدارة الـرايخ للتمـوين بالزيوت والمواد الدهنية) وأن بعض الناس قد قرؤوا هذه الأحـرف خطـأ عـن

عمد R J F ليحوّلوا معناها إلىٰ (دهن يهودي صافي) وانتشرت الإشاعة الخاطئة حسب تقرير فاشيم.

- ومن الملاحظ أيضاً بأن أسطورة الصابون لم تنجح كأكذوبة لتصبح عالمية مسلّماً بها كما أراد اليهود ، وأنهم فشلوا في تحقيق هذه الأكذوبة رغم نجاحهم في تحقيق أكذوبة الغاز وأكذوبة الأفران. وهنا لابد من طرح هذا السؤال: لماذا فشلت أكذوبة الصابون وأكذوبة الإعدام بالديزيل في حين نجحت أكاذيب الأفران والمحرقة وحمّامات الغاز؟ ثم إن نجاح بعض الأكاذيب وفشل الأخرىٰ ألا يدل دلالة واضحة علىٰ أن كل تلك الصور كانت أكاذيب ؟ ألا نستطيع القول بأنه قد تيسر لبعض الأكاذيب النجاح ولم يتيسر للأخرىٰ هذا النجاح؟

فبعد انتهاء الحرب مباشرة بدأت تظهر العديد من الأساطير التي تتحدث عن إبادة اليهود ونذكر منها:

1. **« ... كان هناك مبنىٰ خاص للإعدام ، يتم فيه إعدام ألف يهودي يومياً بالرصاص...»(14)**
2. **«...كانت هناك مراكز لتسميم الدم في بولونيا المحتلة...» (15)**
3. **«... كان يتم إدخال اليهود إلىٰ بحيرة استحمام كبيرة وواسعة وما أن يصبحوا بداخلها حتىٰ يمرر تيار كهربائي صاعق فيقتل الجميع..» (16)**
4. **«... كانت هناك غرف ذات أبخرة محرقة تغطس فيها الضحايا فيقتلوا علىٰ الفور..» (17)**
5. **«...كانت تسفح في عربات الشحن مادة الكلس الحي فتقتل اليهود الذين وضعوا في داخلها..» (18)**

- إن رواية سفح الكلس الحي في عربات الشحن لإبادة اليهود، مأخوذة عن الصورة (التوراتية) التي تتحدث عن سفح الدم في المذبح وعند الأبواب وفوق أجسام اليهود . ويتم سفح الدم عندهم وفق طقوس رهيبة ومرعبة ويعتقدون

أن ذلك سيكون عهداً بينهم وبين الرب. وتذكر الآية التوراتية أن موسىٰ قد ملأ الأوعية (الطسوت) بدماء القرابين ورش الدم كله علىٰ اليهود ليكون ذلك عهداً بينهم وبين الرب.

طقوس الشحم اليهودي

إن اليهود أنفسهم هم الذين نشروا أسطورة الصابون الخرافية ونمتلك هنا دليلين علىٰ ذلك فقد انتشرت الأسطورة بين يهود بولونيا في زمن الحرب كما تقول الوثائق، ثم تم إحياؤها والتأكيد عليها لأول مرة في الصحيفة اليهودية المتطرفة المسماة (الطريق الجديد)، وهذا دليل آخر علىٰ أن اليهود أنفسهم كانوا وراء كل تلك المزاعم والأكاذيب القائلة بإبادة اليهود.

وإن العقل اليهودي الذي أراد الاستفادة من نتائج الحرب العالمية الثانية حمل من التوراة التي يقدسها صوراً جاهزة وأظهرها علىٰ شكل حقائق تاريخية، وإن صورة الدهن والشحم هي صورة توراتية وهي صورة راسخة في طقوس العبادة اليهودية. وتتحدث نصوص العهد القديم بوضوح وجلاء عن هذا الدهن والشحم والذي تعتبره للرب وحده، بل وتقول:

(الآية التوراتية) بوضوح : « .. **كلّ الشحم للرب** ...»

إننا وبفضل وعينا الكبير وسعة عقولنا وبفضل عظمة ديننا الحنيف لا نتصور بأن هذا الشحم وهذا الدهن الذي نستخدمه في أطعمتنا وصناعاتنا لا نتصور بأنه من الممكن ربطه بالعقيدة والعبادة والطقوس وسعادة الرب وسروره. لكن هذا هو الواقع عند اليهود. ومن هذا الواقع ومن عقيدة الشحم تم نسج خرافة صابون الشحم اليهودي.

ولنحقق في هذا النص التوراتي الذي كان كغيره من النصوص التوراتية النواة التي انطلقت منها تلك الأكذوبة الخرافية:

« 13 وإن كان قربانه من المعز يقدمه أمام الرب...14 ... الشحم الذي يغشي

الأحشاء وسائر الشحم الذي علىٰ الأحشاء 15 والكليتين والشحم الذي عليهما الـذي علىٰ الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها. 16 ويوقد الكاهن علىٰ المذبح طعـام وقود لرائحـة سرور. كـل الـشحم للـرب. 17 فريـضة دهريـة في أجيـالكم في جميـع مساكنكم لاتأكلوا شيئاً من الشحم ولامن الدم.»

إن عبارة كل الشحم للرب تعني أيضاً أن شحم اليهود أنفسهم هـو للـرب، ولّما أشارت أسطورة الصابون إلىٰ تحليل الشحم اليهودي وهدره في تلك الـصناعة، فهـذا معناه أن الشحم اليهودي قدّم كأضحية للرب وكان رائحة سرور للرب وكان وقـوداً كما أمر الرب.

« ويوقد الشحم لرائحة سرور للرب..»

وإن في نصوص العهد القديم خلط واضح ومقصود ويفهمه اليهود بـين الحيـوان والإنسان. وبين ما هو حيواني وما هو بشري، وقد أشرنا إلىٰ هذا الخلط في بداية بحثنا. وبناء عليه فعندما يذكر الشحم يكون معناه شـحماً بـشرياً وشـحماً حيوانيـاً ، وعنـدما يذكر الدم يكون معناه دماً حيوانياً ودماً بشرياً.

ويمنع علىٰ اليهود أكل شحم الذبائح كما تنص هذه (الآيات التوراتية):

« ... 23 كلّ شحم ثور أو كـبش أو مـاعز لا تـأكلوا. 24 وأمـا شـحم المفترسـة فيستعمل لكل عمل لكن أكلاً لا تأكلوه.»

سفر اللاويين، الإصحاح السابع

الدهن المقدس

«... 29 وصنع دهن المسحة مقدّساً . والبخور العطر نقياً صنعه العطار.» عن سفر الخروج، الإصحاح السابع والثلاثون

«...6 ويرش الكاهن الدم علىٰ مـذبح الـرب لـدىٰ بـاب خيمـة الاجـتماع ويوقـد

الشحم لرائحة سرور للرب..» عن سفر اللاويين، الإصحاح السابع عشر.

«.. 7 وتأخذ دهن المسحة وتسكبه علىٰ رأسه وتمسحه...9 فيكون لهم كهنوت فريضة أبدية..» عن سفر الخروج، الإصحاح التاسع والعشرون.

وإذا تصورنا هذا المشهد الطقسي اليهودي، فهنا يسكب خليط الدهن فوق رأس هارون ليصبح كهنوتاً،ونلاحظ أهمية الدهن في العقيدة اليهودية.

«.. 31 وتكلم بني إسرائيل قائلاً . يكون هذا لي دهناً مقدساً للمسحة في أجيالكم.32 علىٰ جسد إنسان لا يسكب. وعلىٰ مقاديره لا تصنعوا مثله. مقدس هو ويكون مقدساً عندكم. 33 كلّ من ركّب مثله ومن جعل منه علىٰ أجنبي يقطع من شعبه..» عن سفر الخروج، الإصحاح، الثلاثون. وفي النص السابق يأمر الرب موسىٰ بأن يكلمهم ويعلمهم بألا يصنعوا من هذا الخليط الدهني بالمقاييس نفسها ليسكبوه علىٰ غير يهودي فهو سرّ وعقار من صنع الرب مخصص لليهود دون غيرهم من البشر بل ويحذر النص كل من يسكبه علىٰ غير اليهودي بأنه سيطرد من الجماعة اليهودية. ومن صفاته أيضاً بأنه دهن مقدس، مخصص للرب، وأنه متوارث بين أجيال اليهود باستمرار.

شحمة أذن هارون

والنص التالي من سفر الخروج، الإصحاح التاسع والعشرون:

«.. 19 وتأخذ الكبش الثاني .فيضع هارون وبنوه أيديهم علىٰ رأس الكبش. 20 فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل علىٰ شحمة أذن هارون وعلىٰ شحم آذان بنيه اليمنىٰ وعلىٰ أباهم أيديهم اليمنىٰ وعلىٰ أباهم أرجلهم اليمنىٰ. وترش الدم علىٰ المذبح من كل ناحية . 21 وتأخذ من الدم الذي علىٰ المذبح ومن دهن المسحة وتنضح علىٰ هارون وثيابه وعلىٰ بنيه وثياب بنيه معه. فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه. 22 ثم تأخذ من الكبش الشحم والإلية الذي يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين. والشحم الذي عليها والساق اليمنىٰ.فإنه كبش ملء.23 ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من

الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التي أمام الرب. 24 وتضع الجميع في أيدي هارون وفي أيدي بنيه وترددها ترديداً أمام الرب. 25 ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها علىٰ المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب. وقود هو للرب... والثياب المقدسة التي لهرون تكون لبنيه بعده ليمسحوا فيها ولتملأ فيها أيديهم. ».

ونلاحظ اهتمام هذا النص التوراتي بالشحم والدهن والإلية التي هي شحم حيواني، وتظهر في هذا النص علاقة ربط بين الشحم الحيواني الذي هو أضحية والشحم اليهودي الذي ذكر هنا وهو شحمة أذن هارون وشحم آذان بني هارون ولعلّ هذا الشحم اليهودي المقدس هو الذي حوّله اليهود إلىٰ أسطورة تضحية اليهود بشحوم أجسادهم، تلك الشحوم التي صنع منها الصابون.

وإن الخلط بين الشحم اليهودي وهو شحم بشري، وبين الشحم الحيواني الذي هو شحم الأضحية هنا، يحمل معان كثيرة:

- شحم الأضحية ليس أقل شأناً من الشحم اليهودي.
- الشحم اليهودي يحمل معنىٰ الأضحية أيضاً
- في الأعمال التي أمر بها رب اليهود يحدث مزجاً بين الشحم اليهودي وشحم الأضحية ويكون المزيج شحماً حيوانياً وبشرياً كما يمتزج هذان النوعان من الشحوم مع الدم الحيواني الذي هو دم الأضحية ثم يأمرهم الرب حسب النص السابق بمزج هذا الخليط مع الرغيف . ثم يوضع الخليط المتعدد الجديد في أيدي هارون وبنيه (وهنا يحدث امتزاج كيماوي مع بشرة هؤلاء الحية.، ثم يسحب من أياديهم ويحرق ليتم تقديمه للرب. ويحمل هذا النص صورة واضحة عن تقديم مزيج يحمل شحماً يهودياً ويتم حرقه للرب. وهذه الصورة الطقسية العقيدية اليهودية هي نفسها التي تعمّد اليهود نشرها في أسطورة جديدة وعصرية هي أسطورة الصابون.
- ثياب هارون صارت مقدسة لأنها كما رأينا تلوثت بمزيج من الشحم الحيواني والبشري والدم الحيواني ولذلك يأخذها بنوه من بعده ليمسحوا أنفسهم بها أي بما

علق عليها من الشحوم والدهون والدماء، ولتملأ فيها أيديهم أي ليلوثوا أياديهم بكل ماعلق علىٰ ثيابه المقدسة، وهي أيضاً مقدسة أي تقدست بالشحوم والدهون والدماء.

ومن الإصحاح التاسع والعشرين من سفر الخروج اخترنا هذا النص الذي يوضّح تقديس الشحم وتقديمه لرب اليهود بحرقه في المحرقة:

« ... 13 وتأخذ كل الشحم الذي يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما. وتوقدها علىٰ المذبح. »

« 24 وأما شحم الميتة وشحم المفترسة فيستعمل لكل عمل لكن أكلاً لاتأكلوه...»

الأسطورة السادسة

أسطورة تسميم الدم اليهودي

لقد خرجت هذه الأسطورة من العقيدة اليهودية العنصرية القائلة بنقاء الدم اليهودي وبعنصرية الانتماء اليهودي الذي يقوم على أساس الدم، وبناء على تلك العنصرية يعتقد اليهود بقدسية الشعب اليهودي كله.

تقول الإشاعة التي نشرها المتطرفون اليهود:

«...كانت هناك مراكز لتسميم الدم في بولونيا المحتلة...» (15)

ويصف المقال الذي نشر في صحيفة يمتلكها يهود متطرفون تلك المراكز المزعومة بإسهاب ويتحدث عن كيفية تسميم الدم اليهودي بأساليب أسطورية ومرعبة.

إن أكذوبة تسميم الدم اليهودي في مراكز بولونية ظهرت متأثرة بطقوس الدم اليهودية، وبعقيدة اليهود عن الدم اليهودي: فهم يعتقدون بأن الدم هو الروح والنفس، وهم أيضاً يحملون مبدأ العرقية والعنصرية المبنية على صفاء الدم اليهودي. وكثيرة جداً نصوص العهد القديم التي تتحدث بإسهاب عن الدم، وسفح الدم، ومزج الدم بالفطير، وتحريم أكل دم الذبيحة. وتستخلص تلك النصوص بأن الدم مقدس وبأنه للرب وبأنه أيضاً النفس والروح .ويقول النص التوراتي في وصف الدم: **«.. 11 لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم. لأن الدم يكفَر عن النفس. 12 لذلك قلت لبني إسرائيل لا تأكل نفس منكم دماً ولا يأكل الغريب النازل في وسطكم دماً...»** عن سفر اللاويين، الإصحاح السابع ص 186 من العهد القديم. ونتبين من النص السابق أن اليهودية تعتبر الدم هو النفس والروح، وأن الدم يكفّر عن النفس، أي تقديم الدم وسفحه على المذبح

وتلك عادة الطقوس اليهودية، ذلك كله يكفّر عن الذنوب اليهودية، وبالتـالي يـرضي الرب. ويجد صانع النص مبرراً لليهود حين يقول لهم:

فأنا أعطيتكم إياه علىٰ المذبح للتكفير عن نفوسكم .

وهذه العبارة تعني أن من يشتهي منكم أكل الدم وسفكه، فقد أجيز له سفحه علىٰ المذبح وذهبت شهوته له عندئذ. وهذه صورة سينمائية تعبّر عن فـساد تلـك النفـوس وعن رغباتها الملعونة . ومن هذه الصور (التوراتية) الخرافيـة جـاءت إشـاعة تـسميم الدم اليهودي.

إن صـورة الـدم لاصـقة وعالقـة في أذهـان اليهـود كافـة ذلـك لكثـرة ذكرهـا في النصوص الدينية ولاستمرار طقوس سفح الدم علىٰ المذابح اليهودية. وهذا الالتصاق بالذاكرة اليهودية هو خير دليل علىٰ أنّ إشاعة تسميم الدم اليهودي كانت مـن أصـول دينية لا من واقع حقيقي.

عقيدة الدم عند اليهود

تركّز نصوص العهد القديم كثيراً علىٰ ذكـر الـدم ووصـفه وتقديـسه. ومـن تلـك النصوص تنكشف أهمية طقوس الدم عند اليهود، كما وتتضح لنا بجلاء هذه المعاني :

1. الدم اليهودي مقدس ودم الشعوب الأخرىٰ لا قيمة لها.
2. يصنع الفطير اليهودي المقدس من عجينـة تعجـن بالـدم ، ويـستخدم بعـض اليهود(علىٰ أقل تقدير) دم أضحية بشرية لهذا الفطير،ويـتم ذلـك في طقـوس سفك وحشية. ويعتقد اليهود بأنهم بتنـاول دم إنـسان يحـصلون عـلىٰ روحـه ونفسه وتتقوّىٰ أجسادهم بقوته، ويأخـذون حياتـه ويـضمونها إلىٰ حيـواتهم. وهذه صورة مشابهة لعقيدة التقمص.

3. عند اليهود طقوس سفح الدم ورشه في أركان المحفل وعلىٰ أجسام وملابس اليهود الحاضرين.

4. الدم عند اليهود هو الروح والنفس، فدم الإنسان هو روحه،

5. في وجبات الطعام يحرم علىٰ اليهود أكل الدم والكبد والطحال وغيرها، ويجري حرق هذه الأكاريع وتقديمها لرب اليهود ليأكلها.

« 21 و أبرىء دمهم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون م « يوئيل(3)

وفي هذه العبارة التي تصف يوم الميعاد اليهودي ويوم عودة اليهود إلىٰ القدس يعدهم ربهم بأنه في ذلك اليوم يبرئ الدم اليهودي، ويوضح بأنه لم يبرئه من قبل. أي قبل حدوث إبادة اليهود علىٰ أيدي النازيين وقبل أن تقام دولة إسرائيل. فإن رب اليهود لم يبرئ دم شعبه اليهودي من قبل، وهذا وصف للدم الذي تعتبره اليهودية أيضاً الروح والنفس. وحسب أسطورة الإبادة والمحرقة فإن اليهود ودمهم ورمادهم وأجسادهم قدموا في المحارق أضاحي لرب اليهود في سبيل العودة إلىٰ أرض الميعاد. ومن هنا نلاحظ ارتباطاً دينياً بين المحرقة والدم اليهودي وعودة اليهود إلىٰ فلسطين، وبالوقت نفسه نلاحظ الربط السياسي التاريخي بين أكذوبة الإبادة وتأسيس دولة إسرائيل. وهذه الروابط التي تتضح لنا الآن تعتبر دليلاً آخر علىٰ صياغة الأكذوبة من أصول توراتية.

دم العهد بل صورة الرعب

«.. 3 فجاء موسىٰ وحدّث الشعب.. . 5 وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. 6 فأخذ موسىٰ نصف الدم ووضعه في الطسوت. ونصف الدم رشّه علىٰ المذبح. 7 وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب . فقالوا كلّ ماتكلم به الرب نفعل ونسمع له . 8 وأخذ موسىٰ الدم ورشّ علىٰ الشعب وقال هوذا العهد الذي قطعه الرب معكم علىٰ جميع هذه الأقوال..» عن سفر

الخروج، الإصحاح الرابع والعشرون.

وحسب الوصف السابق فإن بني إسرائيل ذبحوا عدداً كبيراً من الثيران، وقام موسىٰ بجمع دم الثيران ، نصفه في الطسوت، ونصفه الآخر قام برشّه علىٰ المذبح . وبعدما كلم قومه وتعاهدوا رشّ عليهم كلّ الدم الذي في الطسوت.واعتبر ذلك عهداً بين الرب وبين اليهود.

من هذه الصور والعقائد المرعبة خرجت صور الإبادة. ترىٰ أليست صور الإبادة في الأفران والمحارق والحمّامات أقل قساوة ووحشية من هذه الصورة التوراتية ؟

المشاهد الدموية التي يريدها الرب

«... 7 ويأخذون من الدم ويجعلونه علىٰ القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها... 13 ويكون لكم الدم علامة علىٰ البيوت التي أنتم فيها. فأرىٰ الدم وأعبر عنكم . فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر... 22 وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطست.وامسحوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست » عن سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر.

ونستخرج من النص هذه المعاني:

- يتوجب علىٰ اليهود أن يتميزوا عن غيرهم بعلامات الدم التي يضعونها عند أبواب بيوتهم، وفوق الأبواب وعلىٰ جانبيها. فالدم الأحمر المرعب هو الذي يميز اليهود عن غيرهم.
- يريد الرب أن يرىٰ علامات الدم علىٰ بيوت اليهود
- وجود علامات الدم عند أبواب البيوت اليهودية يقيها من ضربة الرب.
- هذه الأمور تجعل اليهود شعب متعشق للقتل وسفك الدم كما تجعله عنصرياً يمجّد الدم اليهودي ويحتقر الشعوب الأخرىٰ.

- في النص تعبير عن صور وحشية هي أن يأخذ اليهودي نبات الزوفا ليستخدمه كفرشاة لطلي الأبواب وعتبات الأبواب العلوية والسفلية وأطراف الأبواب أي أن يطلي كل ماحول الباب ليؤكّد للربّ علىٰ يهوديته، أي أن الرب يريد من يهوده هذه المشاهد الدموية المرعبة:ولهذا السبب صنع اليهود مشاهد الإبادة.
- والحقيقة أنه من خلال هذه الصور الدموية التي يحملها اليهودي في ذهنه باستمرار ويعتبرها صوراً مقدسة منها نشأت أكذوبة تسميم الدم اليهودي.إذ لم يكن الألمان بحاجة لتلك التقنية لتكون طريقة إبادة لو أنهم قرروا إبادة اليهود. لكن لم يكن يوجد علىٰ الإطلاق أي قرار نازي بالإبادة

عنصرية النص وعنصرية الأكذوبة

«...3 كلّ إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقراً أو غنماً أو معزىٰ في المحلة أو خارج المحلة. 4 وإلىٰ باب خيمة الاجتماع لا يأتي به ليقرب قرباناً للرب أمام مسكن الرب يحسب علىٰ ذلك الإنسان دم. قد سفك دماً فيقطع ذلك الإنسان من شعبه...»

تدل العبارات السابقة علىٰ أن من لا يتقدم بقربانه إلىٰ المذبح ويسفك دمه علىٰ المذبح ويحرقه في المحرقة فسوف يحكم اليهود عليه بالطرد من الجماعة اليهودية. وهذا يبين أهمية شريعة المحرقة عند اليهود . ويظهر عنصرية العقيدة اليهودية، وإن كثيراً من النصوص التوراتية تنذر اليهودي إذا ما ارتكب أية خطيئة بحق اليهود بالطرد من الجماعة اليهودية. وبهذا أيضاً تصبح الجماعة اليهودية أشبه بعصابة فئوية وعنصرية تختار من يجتاز الامتحان لتدخله إلىٰ صفوفها. وتطرد من لا تراه مناسباً.

هذه هي الأجواء العقلية والفكرية اليهودية التي أنتجت الأكاذيب. ولذلك اتسمت أكاذيبها بالعنصرية.

فالأكذوبة عنصرية لأنها تتهم الألمان المسيحيين بارتكاب مجازر عنصرية ضد قلة من اليهود. ولأن الذهنية اليهودية المتطرفة تحمل العنصرية بكل معانيها فهي

لا تستطيع أن تنطق إلّا بموجبها فتظهرها كيفما عملت وتصرفت.

والأكذوبة تحمل كل معاني العنصرية ومنها:

- عنصرية دينية : فتلك جرائم ارتكبها مسيحيون بحق اليهود
- عنصرية قومية: وتلك جرائم ارتكبها ألماني نازي بحق يهودي
- عنصرية عرقية: تتمثل بالعرق الألماني والعرق اليهودي.

اضطهاد الغير

«... 21 لاتأكلوا جثة ما. تعطها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها للأجنبي لأنك شعب مقدس للرب الهك...» عن سفر التثنية، الإصحاح الرابع عشر

حسب ماورد في النص السابق فإن اليهودي يضطهد ويكره ويذل ويحتقر أي إنسان غير يهودي.

بل إنه يقلل من قيمته الإنسانية ولا يعتبره بشراً . فما معنىٰ أن يأمر رب اليهود شعبه المختار بأن لا يأكل الجثة الميتة وأن يرميها لغير اليهودي ليأكلها أو ليبيعها لشخص آخر غير يهودي فيأكلها الآخر؟. لقد مارس اليهود هذه العنصرية وهذا الكره لشعوب العالم كله حين أطلقوا أكذوبة أسطورية وخرافية وفرضوها علىٰ أذهان كافة أفراد شعوب العالم. أي أنهم استخفوا بعقول الآخرين من البشر، وإن فرض الأكذوبة يعني أن اليهود قد استخفوا أيضاً بقيمة الآخرين وبعقائدهم وأحكامهم.

«.. 31 . يكون هذا لي دهناً مقدساً للمسحة في أجيالكم. .. 33 كلّ من ركّب مثله ومن جعل منه علىٰ أجنبي يقطع من شعبه...»

عن سفر الخروج، الإصحاح الثلاثون.

وفي هذا النص يمنع علىٰ أي يهودي أن يصنع من هذا الدهن الخاص ويمنع عليه أن يسكبه علىٰ غير اليهودي، لأن الدهن حسب النص مقدس وله مفعول رباني

وسحري خارق، ولذا منع أن يستفيد منه غير اليهودي. وهذه عنصرية في العقيدة اليهودية وتحمل عداءً دائماً لغير اليهود. إضافة إلىٰ أنها تحمل معان كبيرة عن أهمية الدهن اليهودي وقدسيته.

«.. 43**وقال الرب لموسىٰ وهرون هذه فريضة الفصح. كل ابن غريب لا يأكل منه. 44 ولكن كلّ عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه. 45 النزيل والأجير لا يأكلان منه. ..»** عن سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر.

ويأمر هذا النص اليهود بعدم إطعام غير اليهودي من الفطير اليهودي، لكن العبد المشترىٰ وهو غير يهودي، يجب تختينه قبل اطعامه.

وإن كافة النصوص (التوراتية) تخاطب اليهود وحدهم دون غيرهم من الشعوب، وتأمرهم وحدهم بواجبات عديدة، وتطالبهم وحدهم . بل وإنها تمنع عنهم كشف أسرار الطقوس والعبادة والقرابين لغير اليهود.

وتعتبرهم شعباً متحداً بعنصر الدم المقدس، الدم اليهودي يوحده ويميزه. ويعاقب اليهودي بأن يطرد من الجماعة اليهودية كلها. بل إن نصوص التوراة هذه لا تحمل إلّا لعنات وتهديدات وأحقاد ومكاره للشعوب غير اليهودية.

والمسلم لا يذهب بعيداً ليبرهن علىٰ عنصرية اليهود، فقد وصف القرآن الكريم بوضوح نزعة العرقية والعنصرية اليهودية التي يحملها اليهود تجاه الشعوب الأخرىٰ ، إذ يعتبرون كل الآخرين من غير اليهود أمّيين أي جاهلين ومتخلفين، وفي العصور القريبة وعصرنا هذا يستخدم اليهود كلمة الغويم للتعبير عن غير اليهود.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ في سورة آل عمران:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران 3/ 75].

التهويد بالقوة

عندما طرح الصهاينة اليهود أكذوبة المحرقة وسوّقوها وفرضوها في العالم كلـه. كانوا بذلك يسوّقون شريعة يهودية ويفرضونها في أذهـان الـشعوب التـي لا يتوجـب عليها أن تعتقد بمبدأ توراتي. ومازال الصانعون يلزمون هذه الشعوب الحرة بالاعتقاد بتلك الأساطير، والتي هـي مبـدأ وعقيـدة وشريعـة توراتيـة. وهـم بـذلك التـصرف يمارسون تهويداً للشعوب الأخرىٰ، ويفرضون عليها الاعتقاد بأحد العقائد والـشرائع اليهودية الرئيسة. فلماذا يقومون بـذلك؟ تؤكـد الأحـداث الـسياسية والتاريخيـة بـأن اليهود يحملون باستمرار مشروع عمل رئيس وهو التهويد. ويحمـل مـشروع التهويـد اليهودي هذه الأشكال:

1. **تهويد الأرض**: ومن ذلك ادّعاءهم بأن مـصر وبـلاد الـشام كانـت يهوديـة. إضافة لمحاولاتهم تهويد الأراضي الفلسطينية ومدينة القدس. فعندما احتلوا سيناء المصرية بحثوا في باطن الأرض عن آثار يهودية مزعومـة فلـم يعثـروا عليها، ومنذ عشرات السنين يقومون بحفريات تحت بنـاء المـسجد الأقـصىٰ للبحث عن هيكل سليمان المزعوم..
2. **تهويد الشعوب**: ومن ذلك إذاعـتهم لأكذوبـة المحرقـة وفرضـها في أذهـان شعوب العـالم كلـه، وتـستخدم الـصهيونية مـشاريع كبـيرة جـداً في تهويـد الشعوب، ومنها امتلاكهـا وسـيطرتها عـلىٰ وسـائل إعـلام كبـيرة وعديـدة ومنتشرة في العالم كله، وسيطرتها المالية علىٰ شركات عالمية كبـيرة ذات نفـوذ وتأثير وضغط وقادرة علىٰ التحكم بالقرار السياسي.

تؤكدّ نصوص العهد القديم بشدة ومرات كثيرة علىٰ فرض العقيدة اليهودية علىٰ غير اليهودي، ويكون ذلك رغماً عنه لا باختيـاره. وهـذا دليـل عـلىٰ مـا فعلـه اليهـود بتسويق عقيدة المحرقة وفرضها في أذهان الشعوب الحـرة التـي لا توافـق طوعـاً عـلىٰ الاعتقاد بشريعة يهودية. **«لذلك قلت لبني إسرائيل لا تأكل نفس منكم دماً ولا يأكـل**

الغريب النازل في وسطكم دماً..." سفر اللاويين 7

وفي هذا النص إيضاح لفرض العقيدة والطقوس اليهودية علىٰ غير اليهودي.".. **43وقال الرب لموسىٰ وهرون هذه فريضة الفصح. كل ابن غريب لا يأكل منه. 44 ولكن كلّ عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه. 45 النزيل والأجير لا يأكلان منه. ..48 وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه. فيكون كمولود الأرض، وأما كل أغلف فلا يأكل منه. 49 تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل النازل بينكم..»** عن سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر. وحسب هذا النص يفرض علىٰ غير اليهود طقوس دينية يهودية، فالعبد غير اليهودي والموجود في بيت اليهودي يجب علىٰ اليهود ختانه ، أي تهويده قبل إطعامه من الفطير، والضيف النازل في بيت اليهودي يجب علىٰ اليهود أيضاً ختانه وبذلك يصبح كمولود جديد. ويصبح يهودياً قبل إطعامه. ويعتبر اليهود أن الختان هو أحد أركان التهويد الرئيسة، وأنّ طرق التهويد المعلنة لا تعني كشف أسرار اليهود إلىٰ الملأ، بل تبقىٰ تلك الأسرار خفية حتىٰ علىٰ أبناء اليهود أنفسهم، ولا يباح بها إلَّا للراشدين والموثوق بهم.

وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي ووفق برنامج منهجي منظم استقطبت إسرائيل أكثر من مليون روسي ووطنتهم في إسرائيل، وكان أكثر من نصف هؤلاء يدينون بالبروتستانتية المسيحية، وتقوم إسرائيل وفق برنامج تهويدي منظم لتحويل هؤلاء إلىٰ الديانة اليهودية. ويقول أحد المسؤولين عن برنامج التهويد: «**إن غالبيتهم يتمسكون ببروتستانتيتهم ويرفضون اعتناق اليهودية وإننا لا نستقبل منهم سنوياً أكثر من 500 متهود جديد وهذا رقم صغير جداً**». ويذكر أن إسرائيل تستخدم ضغوطاً كبيرة علىٰ هؤلاء وتميز بينهم إذ يشكو الكثير منهم من البطالة ومن استخدامه في أعمال التنظيفات رغم أنه يحمل شهادات وخبرات روسية.(44)

مستوى النصّ ومستوى العقيدة

نتعرف من خلال هذه القصة التوراتية علىٰ العقل الخرافي والأسطوري المتعامل مع كتب العهد القديم، وكذلك علىٰ مستوىٰ النصوص التوراتية المزورة التي يؤمن بها اليهود، وعندئذ نتأكد من عدم صلاحية هذه النصوص للعقل البشري الواعي المعاصر، كما ونتعرف علىٰ مستوىٰ الفكر (التوراتي) الأسطوري الذي أخذت منه أساطير المحرقة وأجبرت شعوب العالم علىٰ الاعتقاد بها. فنطرح هذا السؤال التقليدي: (كيف اقتنع حكام وسياسيو الدول المتحالفة بأساطير يهودية متخلفة ومتطرفة ودافعوا عنها؟).

تتحدث كتب العهد القديم عن شخصيات خارقة ومنها شمشون الذي يفعل العجائب والغرائب ويتصف بقدرات وقوة هائلة تفوق في كل العصور قدرات الإنسان، ومن هذه الشخصية التوراتية الخرافية استمد صنّاع السينما صور شخصيات تتمتع بقدرات خارقة كصورة شمشون الذي يحمل نفس الاسم في السينما وصورة سوبر مان وبات مان وغيرهم.

وإننا هنا نتحرّىٰ تحول الأساطير التوراتية إلىٰ أساطير عالمية شائعة عند كافة الشعوب، وبعدها نتأكد بأن أسطورة المحرقة لم تكن سوىٰ واحدة من تلك الأساطير. فقد انتشرت في العالم قصص متوارثة وأساطير وأفلام سينمائية عن حيوانات خارقة تلفظ النار وتأكل الحرث والزرع والبيوت والبشر، وأخرىٰ تصف آكلي لحوم البشر وشاربي الدم وسفاكين وسفاحين. وبالمقارنة مع نصوص العهد القديم نكتشف بأن كافة الأساطير الغريبة المقرفة كانت لها أصول توراتية.

ولنحقق في هذا النص التوراتي:

«... 1 وكان بعد مدة في أيام حصاد الحنطة أن شمشون افتقد امرأته بجدي معزىٰ. 2 وقال أدخل إلىٰ امرأتي إلىٰ حجرتها . ولكن أباها لم يدعه يدخل وقال له أبوها إني قلت إنك قد كرهتها فأعطيتها لصاحبك. أليست أختها الصغيرة أحسن منها. فلتكن لك عوضاً عنها. 3 فقال لهم شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا

عملت بهم شراً . 4 وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوىٰ وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلىٰ ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط. 5ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون . 6 فقال الفلسطينيون من فعل هذا. فقال شمشون صهر التمني لأنه أخذ امرأته وأعطاها لصاحبه. فصعد الفلسطينيون وأحرقوها وأباها بالنار. 7 فقال لهم شمشون ولو فعلتم هذا فاني أنتقم منكم وبعد أكفّ. 8 وضربهم ساقاً علىٰ فخذ ضرباً عظيماً . ثم نزل وأقام في شق صخرة عيطم».

«9 وصعد الفلسطينيون ونزلوا في يهوذا وتفرقوا في لَحْيَ... 11 فنزل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا إلىٰ شق صخرة عيطم وقالوا لشمشون... 12 نزلنا لكي نوثقك ونسلمك إلىٰ يد الفلسطينيين... 13 فأوثقوه بحبلين جديدين... 14ولمّا جاء إلىٰ لَحْي صاح الفلسطينيون للقائه . فحلّ عليه الرب فكان الحبلان اللذان علىٰ ذراعيه ككتّان أحرق بالنار فانحل الوثاق عن يديه. 15 ووجد لَحْيَ حمار طرياً فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل . 16 فقال شمشون بلحي حمار كومة كومتين . بلحي حمار قتلت ألف رجل...18 ثم عطش جداً فدعا الرب وقال... الآن أموت من العطش وأسقط بيد الغلف. 19 فشق الله الكفة .. فخرج منها ماء فشرب ورجعت روحه فانتعش...» – « ... 1 ثم ذهب إلىٰ غزة ورأىٰ هناك امرأة زانية فدخل إليها.... 3 ثم قام في نصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها علىٰ كتفيه وصعد بها إلىٰ رأس الجبل الذي مقابل حبرون.... 6 فقالت دليلة لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لإذلالك. 7 فقال لها شمشون إذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف أضعف وأصير كواحد من الناس. 8 فأوثقوه بها.. 9 فقطع الأوتار كما يقطع فتيل المشاقة.. . 10فقالت دليلة فأخبرني الآن بماذا توثق...11 فقال لها إذا أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل أضعف وأصير كواحد من الناس.. 12 فأوثقته بها.. فقطعها في ذراعيه كخيط..13 فقالت دليلة لشمشون ..

فأخبرني بماذا توثق.. فقال لها إذا ضفرت سبع خصل رأسي مع السدىٰ.. 14 فانتبه من نومه وقلع وتد النسيج والسدىٰ...17 وقال لها لأن حلقت تفارقني قوتي وأضعف وأصير كأحد الناس... 19 وحلقت سبع خصل رأسه 21 فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه .. 21وأوثقوه بسلاسل نحاس .. 25 فدعوا شمشون من بيت السجن فلعب أمامهم وأوقفوه بين الأعمدة..26 فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعني ألمس الأعمدة ..27وكان البيت مملوء رجالاً ونساءً ... وعلىٰ السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة 29 وقبض شمشون علىٰ العمودين .. 30 وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين.وانحنىٰ بقوة فسقط البيت علىٰ الأقطاب وعلىٰ كل الشعب الذي فيه فكان الموتىٰ اللذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته....»

عن سفر القضاة، الاصحاحان الخامس عشر والسادس عشر الصفحات 405 – 409 من العهد القديم.

ومن النص السابق نكتشف بسهولة هذه النقاط:

1. قصة شمشون وأفعاله الخارقة لايمكن تصديقها وبالتالي فهي من صنع الخيال البشري المتمادي.وبالتالي فهي ليست قصصاً دينية شريعية. وهذا يعني أن نصوص العهد القديم كانت من وضع أشخاص يتصفون بالعنصرية والكذب والدجل والكفر، كما وتعتمد عقولهم علىٰ الخرافة.
2. تبين تلك الأسطورة مستوىٰ العدائية الكبيرة التي يحملها اليهود تجاه الفلسطينين القدماء. وبالتالي فمن خلالها نفهم سبب التعامل اليهودي العدائي مع الفلسطينيين في هذا العصر.
3. إن ترتيب الأحداث وتتابع الحبكة القصصية تصاعدياً في قصة شمشون تدل علىٰ أنها من صنع الخيال الإنساني، فهو كلما وقع في أيدي الفلسطينيين يزداد قوة ويقوم بأعمال خارقة ومذهلة وينتصر عليهم. وتتسلسل أحداث القصة

والحبكة القصصية تماماً كما تتسلسل أحداث ألف ليلة وليلة. وإن قوة شمشون خارقة لا يستطيع أي إنسان أن يأتي بها.

4. لقد صنعت العديد من الأفلام السينمائية الهوليودية معتمدة علىٰ صورة شخصية شمشون. منها أفلام الفاني والماحي ورامبو وسوبر مان وبات مان وأفلام تحمل اسم شمشون نفسه. وبالطريقة نفسها تمت صناعة أفلام عن إبادة اليهود علىٰ أيدي النازيين،وبمقارنة كل هذه الأفلام نكتشف:

- أفلام الإبادة والمحرقة الخرافية استطاعت الصهيونية الاستفادة منها وجعلها قوانين وأحكاماً عالمية لا يمكن تخطيها.بل وأصبح الفيلم وثيقة إدانة وإثبات ودليلاً بيد الصهيونية. أي أن أفلام الإبادة أعطيت أكثر مما تستحق بكثير.
- ظلت أفلام شمشون والأفلام التي تصوّر شخصيات خارقة وأسطورية، ورغم أنها أخرجت من نصوص العهد القديم بالطريقة نفسها أفلام الإبادة، فقد ظلت أفلام للمتعة والتسلية والإثارة. ولم تفد الصهيونية منها إلّا بإذاعة صور توراتية ونقلها إلىٰ أذهان العالم الحر.

5. **نقل من (التوراة) إلىٰ أذهان الشعوب**: إن أعمال شمشون الخارقة والتي تجعله كما يقول هو نفسه مختلفاً عن سائر الناس تلك الأعمال نجدها في الأساطير السينمائية وفي الحكايا الشعبية الكثيرة وهذا يبين لنا كيف انتقل النص من (هذه التوراة المزعومة) إلىٰ أذهان الشعوب العديدة ويمكننا التخمين بأن شخصيات يهودية هي التي قامت بنقل تلك الخرافات إلىٰ أذهان الشعوب الأخرىٰ. فقد صدرت كل هذه الأفلام بعدما سيطرت المنظمات اليهودية علىٰ وسائل الإعلام الغربية. وإن هذا النقل المتعدد والكثير من (التوراة) إلىٰ أذهان الشعوب الأخرىٰ، هذا العمل اليهودي كان في كل مرة يتخذ أبعاداً خاصة، ففي أفلام السينما ذات القصص والأساطير الخرافية ورغم تعمّد الصهيونية تشويه أفكار ومعتقدات الشعوب الأخرىٰ من خلال الفيلم الممتع والمسلي فقد ظل الأمر مجرد قصص للمشاهدة والمتعة وظل قليل الأخطار. رغم أنه يحوي الأخطار

التي تؤثر علىٰ عقائد ومعتقدات الشعوب غير اليهودية. أما في قضية ثقافة المحرقة فقد تحوّل الأمر من طقوس توراتية خرافية منفّرة ومقرفة إلىٰ قواعد سياسية عالمية وإلىٰ أساطير محظور انتقادها، وممنوع التفكير فيها. كما وأدت إلىٰ قيام دولة إسرائيل حقيقة في أرض عربية وتم طرد أهلها والفتك بهم طوال أكثر من نصف قرن.

6. **تضليل عقائد الشعوب الأخرىٰ**: مما لاشك فيه أن اليهود يحملون مشروعاً تبشيرياً يهودياً خاصاً بهم. وهذا المشروع لم ينتبه إليه الكثير من المراقبين والباحثين. إن اليهود هم الذين يقومون بنقل الخرافات التوراتية إلىٰ أذهان الشعوب ليحققوا بواسطتها فوائد تخصهم هم وبالوقت نفسه فإن نتائج ذلك النقل وذلك الإحياء لخرافات النصوص التوراتية تحدث تشويهاً في أفكار وأذهان ومعتقدات الشعوب الأخرىٰ. فمنذ العام 1946 أي مع انتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام دولة إسرائيل عملت الصهيونية ببرنامج منظم للغاية هدفه تضليل المسيحية العالمية، ووفق برنامج إعلامي منظم ظهرت طبعات كثيرة لما سمي بالكتاب المقدس وهي توزع شبه مجانية أو بأسعار زهيدة؛ فالمجلد الكبير الذي يحوي 2000 صفحة تقريباً يباع بدولارين وهو متوفر في كافة اللغات العالمية ويحوي كافة كتب ما يسمىٰ بالعهد القديم إضافة إلىٰ كافة الأناجيل المسيحية، وأرادت الصهيونية من طبع الأناجيل مع الكتب اليهودية نشر اليهودية نفسها بوسيط متوزع بكثرة في العالم وهو المسيحي. وتشمل الخطة الصهيونية أيضاً تضليل المسيحية البريئة وإقناع مسيحيي العالم بأنهم مرتبطون عقائدياً ودينياً باليهودية. وارتبط هذا البرنامج الصهيوني بإقامة دار عالمية للنشر تسمىٰ دار الكتاب المقدس والتي امتلكت فروعاً في كافة دول العالم تقريباً، كما وارتبط هذا البرنامج الصهيوني بإنشاء إذاعة تحمل الاسم نفسه وتبث برامجها بلغات عالمية عديدة، وربما تكون هناك فضائيات من ضمن المشروع الصهيوني لم أتعرف عليها. إن برامج تلك الإذاعات تدل علىٰ الخديعة الصهيونية. فهي

تخاطب العقل المسيحي وبلغة مسيحية لكنها تأتي بإثباتات وأمثلة وقصص من العهد القديم، وتتعمد خلط (الآيات الإنجيلية بالتوراتية) وخلط العقائد المسيحية باليهودية. وربط الديانتين ربطاً محكماً، بل وتوجب علىٰ المؤمن المسيحي أن يعتقد ويؤمن بكل ما ورد في نصوص العهد القديم رغم أن المسيحية تترفع عن مقارنتها باليهودية.ولإتمام هذا البرنامج الصهيوني قامت جماعة من اليهود الصهاينة بالتحوّل إلىٰ المسيحية وأسّست حزباً جديداً انتشر في الولايات المتحدة خاصة، ويسمىٰ الحزب المسيحي الصهيوني. وبفضل الضغط الصهيوني الكبير أصبح هذا الحزب يدير دفّة السياسة في الولايات المتحدة كلها وربما في غيرها كما يلاحظ المراقبون. وإن ما يهمنا من هذا البحث هو البرهان علىٰ أن اليهودية تسعىٰ لنشر العقائد اليهودية والآيات التوراتية في أذهان الشعوب الأخرىٰ. وجاء نشر شريعة المحرقة في أذهان شعوب العالم من هذا المنطلق اليهودي.

وإن المنظمات المتطرفة اليهودية تعمدت آنذاك تضليل الذهن اليهودي وتسميمه بتلك الأسطورة، فقد كانت في الساحة العديد من المنظمات الصهيونية المتناقضة والمتصارعة آنذاك، ووقف قسم من تلك المنظمات ضد تلك الأسطورة الأكذوبة. لكنّ المؤتمر الصهيوني العالمي والمنظمات الصهيونية المتحالفة ضمنه كانوا هم الأقوىٰ، استطاع هؤلاء أن يهزموا بل ويمحوا بعض المنظمات اليهودية المعارضة لهم.

7. **غزو لعقول المسلمين والمسيحيين:** مما لاشك فيه بأن المجتمعات الإسلامية تأثرت بالنصوص (التوراتية هذه) منذ مئات السنين، وبأنها حملت أفكاراً ومعتقدات ، وأحياناً ممارسات ليست إسلامية في أصلها بل هي يهودية أضيفت إلىٰ ممارسات وأعمال المسلمين. وتلك التي غزت عقول المسلمين كثيرة ويمكن أن نذكر هنا واحدة منها:

عند المسلمين عادة ذبح الأضحية وتلويث الأشياء بدمها كتلويث الباب والجدران

والسيارة، وطبع رسم صفحة الكف علىٰ السيارة ، تلك عادة يهودية خالصة. إذ رأينا في النصوص التوراتية التي نقلناها في هذا البحث كيف يقوم اليهودي بسفح دم الأضحية في المذبح ، وعند الأبواب. وأحياناً فوق ملابس الأشخاص وفوق آذانهم وأجسادهم. وفيما يخص شريعة المحرقة اليهودية، والتي تقترب قليلاً من عقيدة تقديس النار، فيتوجب علىٰ كل مسلم ومسيحي أن يقي نفسه من خطر الاعتقاد بشريعة المحرقة اليهودية. فإن أسطورة حرق اليهود ما هي إلّا شريعة مقدسة وطقس عبادي مقدس عند اليهود إضافة لكونها أحد الأركان الدينية الرئيسة في اليهودية، وهي أيضاً كما رأينا في هذا البحث أهم ركن من أركان العقيدة اليهودية المعاصرة. وبناء علىٰ ذلك فإذا اعتقد بها شخص مسلم أو مسيحي دونما وعي بأحكامها فإنه في تلك الحالة يقوم بإدخال عنصر عقيدي يهودي أسطوري علىٰ عقيدته النزيهة. ويقوم بتشويه أركان وأحكام عقيدته دون قصد أو دراية. وإن حمل المسلم أو المسيحي لمبدأ عقيدي أسطوري يهودي يعتبر عملاً محرّماً عند الله. نرجو من الله أن يحفظنا من تلك المحرّمات.

التوراة المزورة

إن نصوص العهد القديم الموجودة اليوم تحوي أخطاء وتناقضات كثيرة جداً. هذا إضافة إلىٰ وجود ثلاث نسخ مختلفة منها.وإن كثيراً من الباحثين العالميين الذين أجروا دراسات عن هذه (التوراة) يشككون في نصوصها وفي تاريخها ويجمعون في نهاية الأبحاث علىٰ أنها من صنع كهنة يهود. وإن كافة المؤرخين والعلماء العرب المسلمين تعاملوا معها علىٰ أنها نصوص مزورة ومن صنع الكهنة اليهود.

نقصد بالتوراة التي ننقل نصوصها في هذا البحث، مجموعة الكتب المسماة بالعهد القديم، والموجودة اليوم والتي تطبع وتوزع عالمياً بصفتها الكتاب المقدس عند اليهود، وإن العقل المفكر الحر يكتشف فور اطّلاعه عليها بأنها لا يمكن أن تكون سماوية بل هي تخالف العقل المتدين والمؤمن وتخالف الأعراف الإنسانية والاجتماعية والفكرية، وسنلاحظ ذلك من خلال بعض النصوص التي نقلناها في هذا البحث .

وباختصار فهي مزورة. وإننا حين نستخدم كلمة التوراة في هذا البحث نقصد مجموعة الكتب المزورة الموجودة اليوم. والتي لا نؤمن بأنها كتاب سماوي أو مقدس.

التوراة مصدر الأساطير

خلال قرون طويلة أخذت الشعوب العالمية من التوراة أساطير وروايات وقصص وخرافات ومشاهد عديدة، ولاشك بأن اليهود أنفسهم قد أطلقوا عمداً العديد من الأساطير التوراتية في ثقافات الشعوب الأخرىٰ، فانتشرت تلك الأساطير مع مرور السنوات والقرون، وإن القارئ لنصوص العهد القديم يدرك أنها كانت باستمرار مصدر الأساطير والأكاذيب. وأنها مصدر القصص الخرافية التي تفوق قصص قدرات الحياة الاعتيادية للإنسان.

ومن المشاهد التوراتية التي انتشرت عالمياً في القرن العشرين نذكر:

- أفلام مرعبة عن أكلة لحوم البشر، وتحوي تقطيع الأجساد البشرية والتمثيل باللحم الإنساني وسفح الدم البشري. وكلّ تلك الأفلام تحمل صوراً ومشاهد توراتية مرعبة. سيجد القارئ بعض هذه الصور في نصوص نقلناها في هذا البحث.
- مشاهد المحرقة المزعومة وكافة أساطير الإبادة الجماعية لليهود التي انتشرت متتالية منذ زمن الحرب العالمية الثانية.
- وإن نقل الخبر ونشره يعني أن صورة الخبر وصلت إلىٰ أذهان أفراد الشعوب، وهذا الذي وصله الخبر أو رأىٰ صور المحارق والحمّامات المزعومة إنما هو حمل صورة يكرهها ، وتم تحميله إياها رغماً عنه وبالتالي فقد تأذىٰ منها رغم أنه لم يكن ليوافق علىٰ حدوث تلك الأذيّة له.
- قصص وحكايا وأفلام سينمائية تحوي مخلوقات غريبة وقوية وكبيرة وفتاكة، ورأينا وصفاً لمثل تلك الحيوانات الأسطورية في نصوص العهد القديم.
- أساطير سياسية استطاع اليهود أن ينشروها في القاموس السياسي الحديث، رغم

أنها تحوي مبادئ خرافية وهمية. ومنها قولهم بحق اليهود في إنشاء وطن قومي، وحق اليهود في العودة إلىٰ أرض الميعاد التي أخرجهم الله منها. وفلسطين أرض الميعاد..الخ

- أسطورة الرجل الخارق الذي يقوم بأعمال ويمتلك قدرات فوق العادة.
- سياسة تعامل اليهود مع الفلسطينيين منذ قيام ما يسمىٰ بدولة إسرائيل كسياسة التمييز العنصري وهدم البيوت وحرق الزرع والقتل الجماعي لهم والفتك بالرجال والنساء والأطفال. وكل ذلك اعتماداً علىٰ أساطير توراتية تضطهد غير اليهودي . وتزعم بأحقّية اليهود في الاستيلاء علىٰ أرض فلسطين.

«...3 فقال لهم شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شراً . 4 وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوىٰ وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلىٰ ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط. 5ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون ...» عن سفر القضاة، الإصحاح الخامس عشر.

وتقول القصة الخرافية والأسطورية والتي تشبه الرسوم المتحركة أن شمشون قد أحضر 300 ابن آوىٰ وربط ذيلي كل اثنين منهم وثبّت عند العقدة مشعلاً وأطلق كل تلك الحيوانات دفعة واحدة في مناطق الفلسطينيين فأحرقت أكداسهم وأملاكهم وزرعهم.

ورغم أن قصة شمشون خرافية ولا يقبلها العقل البشري ولا يصدق بوقوعها كحدث، فإن اليهود يقومون اليوم بفعل ما فعله شمشون بالفلسطينيين من حرق وتدمير للزرع والأكداس والكروم وأشجار الزيتون.

يقوم اليهود إذاً بأعمال ينسبونها للسياسة المعاصرة بينما هي مسحوبة عن لبّ الخرافات اليهودية.

ومن المطَمْئِن لنا جميعاً أن تلك الخرافات بدأت تتكشف للعالم الحر، ففي مطلع كانون أول 2006 نشر جيمي كارتر مذكراته وقد تجرأ وخالف القواعد السياسية التي

ظلت متبعة وقائمة في أميريكا طوال نصف قرن من الزمن. وقال فيها:

«إن الصهاينة يتّبعون سياسة التميز العنصري ضد الفلسطينيين».

التعويضات المالية

إن المسؤولين الإسرائيليين قلقون بشكل خاص من تقدم مدرسة المراجعة التاريخية التي تنكر حدوث المحرقة. ومن ظهور الحقيقة التاريخية ذات يوم والتسليم بها في كل إعلام ومنتدىٰ عالمي، وهم يخشون بشدة نشر مثل هذا البحث الذي بين أيديكم. وعندما تنكشف الحقيقة تماماً ويسلّم حكام العالم بها، تكون إسرائيل قد فقدت مبرر وجودها ومبرر قيام دولة لها ومبرر استبدادها، ومبرر التعويضات المالية التي فرضتها علىٰ ألمانيا وسويسرا. ففي العام 1950 قبضت دولة إسرائيل الفتية مبلغاً كبيراً وقدره 80 مليار مارك ألماني وأجبر المستشار الألماني آنذاك علىٰ قبول دفع مبالغ سنوية لإسرائيل كتعويضات علىٰ من زعم بأنهم الضحايا اليهود الذين أعدمتهم النازية.

وفي العام 1996 طالبت إسرائيل بعض حكومات أوروبا بدفع مبلغ وقدره 72 مليار دولار، وتدّعي بأنها كانت قيمة ودائع اليهود الذين أبيدوا في الأفران النازية في البنوك والمصارف الأوروبية. (6)

وفي العام 1997 طالبت إسرائيل من جديد دولة سويسرا بدفع مبالغ كبيرة من تلك الودائع المزعومة، (7)

وإن أغلب يهود العالم ويهود إسرائيل وأعضاء الأحزاب الصهيونية أنفسهم ليسوا مقتنعين بحدوث الإبادة الجماعية لليهود في عهد هتلر لكنهم سكتوا عن إظهار الحقيقة لأن الأكذوبة منحتهم جميعاً دولة لم يكن لقيامها مبرر ومبالغ كبيرة بنوا بواسطتها تلك الدولة. ولعلّ أفضل تعليق يمكن ذكره هنا ما قاله الرئيس الإيراني أحمدي نجاد وأكّد عليه عدة مرات: **«إن إسرائيل دولة لا مبرر لوجودها ويجب مسحها من الخارطة».**

وفي أواخر كانون الثاني 2007 افتتح في برلين الألمانية مركز (سينتولوجي) وهو مركز يهودي ألماني يعمل علىٰ الدفاع عن القومية اليهودية والمزاعم السياسية اليهودية ومنها أكذوبة المحرقة، وحضر افتتاحه رئيسة وزراء ألمانيا ورئيس وزراء إسرائيل. وجاء افتتاحه كرد علىٰ مؤتمر طهران الدولي لأبحاث المحرقة. وهذا يدلّ علىٰ استمرار الضغوط الصهيونية علىٰ ألمانيا حتىٰ ذلك التاريخ.

وكردّ قوي علىٰ مؤتمر المحرقة، فقد طار ايهود باراك أثناء انعقاد مؤتمر طهران، طار إلىٰ ألمانيا التي تمّ اتهامها بالإبادة، وهناك وفي مؤتمر صحفي أعلن بأن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية، وبأنها قد تستخدمها إذا اضطرت لذلك، وكان تصريحه يفسّر في الأوساط السياسية بأنه إذا استمرت إيران بتهديد السلاح رقم واحد في ترسانة إسرائيل والذي هو أكذوبة الإبادة فإن إسرائيل لديها أسلحة أخرىٰ تدافع بها عن كيانها... وأبدت الألمانية أنجيلا ميركيل تعاطفها مع الصهاينة وزوّدتهم بغواصات نووية ألمانية متطورة، وهذه التي يمكننا أن نضيفها إلىٰ تلك التعويضات الألمانية السابقة.

ماذا تمثل الأكذوبة وماذا تعني؟

1. لقد أنتجت هذه الأسطورة في داخل الأوساط الخرافية الضعيفة والمتخلفة، ولم تأت نتيجة أبحاث تاريخية وعلمية ولا نتيجة تحقيقات وتحليلات دامغة. ولا نتيجة دراسات موضوعية مقنعة. فكان ظهور التهم للنازيين كما تدل الوثائق التاريخية بادئ الأمر من أوساط يهود بولونيا أثناء الحرب، ثم من ثم خلقتها الحركة الصهيونية المتطرفة، ثم أكمل ذلك مقالات في الصحف اليهودية المتطرفة، وتبعها أفلام سينمائية كان من المفترض أن تبقىٰ للترفيه والتسلية لا أن تعتمد كروايات تاريخية. فكيف تسمح شعوب العالم الحر وكيف يسمح حكامه وسياسيوه لأسطورة نتجت من هذه الأوساط غير الموثوقة لأن تفرض نفسها كحقيقة تاريخية وسياسية؟؟

2. أكذوبة إبادة اليهود هي القضية الواحدة والوحيدة في العالم كله التي يمنع التفكير فيها، ويمنع البحث فيها ويمنع مخالفتها، ففي الدول الأوروبية اليوم - كما نلاحظ جميعنا - يمكن انتقاد الحاكم والملك والوزير ورئيس الحزب وغيرهم ويمكن التحقيق في خفايا وأسرار وأعمال هؤلاء جميعاً دون عقاب قانوني أو مساءلة، ويمكن قول كل ذلك وكتابته والتصريح به ، وبالوقت نفسه لا يمكن نكران المحرقة ولا حتىٰ الشروع بالبحث فيها.
3. إن المنع الصارم والشديد في كافة أمور مناقشة المحرقة والبحث والتصريح فيها، هذا المنع هو دليل واضح وجازم وصارم علىٰ أنها أكذوبة. فالحقيقة الواقعية والصادقة لا يخشىٰ أصحابها أن يبحث فيها بل يطلبون أن يبحث فيها، وبالمقابل فإن الأكذوبة هي الأمر الوحيد الذي لا يسمح أصحابه بالبحث فيه.
4. الأكذوبة الصهيونية هي استخفاف بعقول أفراد شعوب العالم كله، لأنها كانت موجهة لهؤلاء جميعاً. وهي استخفاف بكافة فئات تلك الشعوب منهم الحكام السياسيون ومنهم المؤرخون ومنهم العلماء والباحثون والمفكرون والفنانون ومنهم المؤمنون بدياناتهم وعقائدهم وأفكارهم.وبالطبع منهم نحن العرب مسلمين ومسيحيين، ولذلك توجب علينا أن نتحلىٰ بالحرية والكرامة وألَّا نذعن لتلك الأكذوبة وأن نرفضها جملة وتفصيلاً. ومما لاشك فيه هو أننا نتحلىٰ بالحرية والكرامة وبحرية التفكير والاعتقاد وبرفض التبعية الفكرية لأعداء كارهين لنا، عندما نرفض أسطورة الإبادة.
5. فرض الاعتقاد بالأكذوبة الصهيونية أمر يخالف التحضر الإنساني الذي تطور كثيراً في العقود الأخيرة. ويخالف مبدأ حرية التفكير والاعتقاد وحرية البحث والتفكير.
6. الأكذوبة هي تصدير يهودي لأهم عقيدة توراتية يهودية إلىٰ شعوب العالم الذين لا يتوجب عليهم أن يؤمنوا بعقيدة يهودية.
7. لمّا كانت الأكذوبة تعتمد علىٰ نقل مشاهد وصور توراتية خرافية وإظهارها إلىٰ عقول أفراد الشعوب المعاصرة، ولمّا فرضت علىٰ هذه الشعوب الاعتقاد

الإجباري بتلك الصور والأساطير التوراتية الخرافية. فإن الصهيونية في هذه الحال تستخف بعقول أفراد الشعوب المتحررة وتلزمهم بالاعتقاد بما هو خرافي وأسطوري. وبما هو شريعة يهودية خالصة.

8. الأكذوبة الصهيونية هي فرض عقيدة دينية يهودية وطقس عباديّ يهودي علىٰ كافة أفراد شعوب العالم، وفرض الإيمان به والاعتقاد به رغم أن هذا الجمع الكبير من شعوب العالم ينتمي إلىٰ ديانات ومذاهب عديدة، وبناء علىٰ ذلك يكون تصرّف اليهود في تلك الحال عنصرياً ويحمل في طياته استخفافاً بديانات تلك الشعوب وعقائدها. ومن هذه الناحية ندعو كافة علماء الدين الإسلامي للتحقق من هذه النقطة بالذات والإجابة علىٰ هذا السؤال: - هل أن اعتقاد المسلم بحدوث المحرقة اليهودية في ألمانيا النازية يجعله معتقداً بمبدأ عقيدي يهودي؟؟ وبناءً علىٰ ذلك فهل يحرّم علىٰ المسلم الاعتقاد بحدوث المحرقة؟؟ وهذا انطلاقاً من أن ذلك الاعتقاد هو إيمان بعقيدة يهودية هي شريعة المحرقة؟؟

9. تحمل هذه الأكذوبة خديعة ليهود العالم أنفسهم، ولأولئك الذين لم يشاركوا في صنع الأكذوبة والذين فرض عليهم أن يؤمنوا بحدوثها وأن يتعاملوا مع الشعوب الأخرىٰ انطلاقاً من حدث أسطوري وعالمي كبير هو إبادة اليهود. وأن بين هؤلاء اليهود أشخاصاً لم يقتنعوا بحدوث المحرقة فانقسموا كما هو معروف تاريخياً:

- تزعّم صناعة أكذوبة المحرقة قسم من اليهود وهؤلاء هم الذين فاوضوا الدول المنتصرة، وهم الذين حصلوا علىٰ وعد بلفور وهم الذين قاموا بتأسيس دولة إسرائيل. وكان يمثلهم المؤتمر الصهيوني العالمي.
- إنّ قسماً كبيراً من يهود العالم لم يشاركوا في صناعة تلك الأكذوبة، ومن بينهم اليهود العرب الذين ظلوا يعيشون في الدول العربية بأمان طوال عشرات السنين بعد قيام دولة إسرائيل وإعلانها العداء للشعوب العربية والمسلمة. وهؤلاء أنفسهم كانوا ضحية الأكذوبة الصهيونية. وبناءً عليها وعلىٰ ما نتج

عنها من قيام دولة إسرائيل فقد فرض علىٰ هـؤلاء المـواطنين العـرب تغيـير نمط حياتهم وترك البلدان العربية التي يعيشون فيها.

- إنّ قسماً من يهود العالم لم يقتنع بحدوث الإبادة، وهؤلاء وافقوا علىٰ استمرار الأكذوبة لأنها تعطي اليهـود منـافع كبـيرة. ومـن بيـنهم بعـض الأحـزاب الصهيونية الموجودة اليوم في إسرائيل.
- إنّ في إسرائيل اليوم جماعة من اليهود تعلن نكران حـدوث الإبـادة الجماعيـة لليهود، وهؤلاء هم أعضاء حركة ناتوري كارتا.

ففي 16 – 12 – 2006 أعلن الحاخـام اليهـودي داود صـلاح عـن عـدم قناعتـه بوجود غرف الغاز المزعومة، وأكّد بأن الصهيونية العالمية ودولة إسرائيـل تـستفيدان مـن تلك الأكذوبة لتستبد بالشعب الفلسطيني ولتحصل عـلىٰ تعويـضات ماليـة مـن الـدول الغنية.والحاخام اليهودي داود صلاح هو مـن حركـة نـاتوري كارتـا اليهوديـة والمعاديـة للصهيونية ولسياسة دولة إسرائيل،كما وتعلن حركته بـأن اليهـود كـانوا يعيـشون بـسلام ووئام مع مواطنيهم المسلمين والمسيحيين في فلسطين والدول العربية وذلك قبل قيام دولة إسرائيل ، وأن الحركة الصهيونية التي اغتصبت أرض فلسطين أوجدت العـداء والحـرب والخوف عند اليهود من أولئك العرب الذين عاملوهم دون تمييز طوال عصور طويلة.

وجاء إعلانه عن تلك المبادئ في حوار تلفزيـوني عـلىٰ فـضائية الحـوار في الـساعة الثالثة في التاريخ المشار إليه سابقاً.

وإن في إسرائيـل اليـوم أيـضاً جيـل جديـد مـن المفكـرين والبـاحثين والمـؤرخين الأحرار، وهؤلاء لا ينتمون للمدارس الدينية اليهودية، ويرفضون النظريات الجامـدة ويبحثون في أسرارها. ومن بينهم أشخاص كثيرون ينكرون حدوث الإبـادة لليهـود، ويعلنون بوضوح بأن الـصهيونية المتطرفـة اسـتفادت مـن تلـك الأكذوبـة. وتـصدر تصريحاتهم في الصحف الصهيونية والعالمية وفي وثائقيات قناة الجزيرة.

وأخيراً فمما لاشك فيه هو أن الأسطورة وكل مـا نـتج عنهـا لـيس سـوىٰ حـدث

تاريخي عارض لن يستمر ولا يمكن له أن يستمر علىٰ الإطلاق، فقد سارت رياح الصهاينة علىٰ عكس ما اشتهت أنفسهم، فالشعب الفلسطيني لن يركن يوماً عن مقاومة الصهيونية وحكومة إسرائيل، والغرب بدأ شيئاً فشيئاً يتراجع عن تأييده الغبي لإسرائيل، والعرب والمسلمون في العالم كله انطلقوا بطرق عديدة في محاربة الصهيونية ودولة إسرائيل، وفي كافة دول العالم تحرر العقل البشري من التعتيم والتضليل الذي تفرضه الحكومات والأحزاب علىٰ تلك الشعوب. وخلال سنوات قليلة سينتهي منع التحدث والبحث في الأسطورة الأكذوبة. وبالتالي سيكون انتقاد تصرفات إسرائيل مباحاً في العالم كله، وعندئذ ستزول كافة أسلحة إسرائيل.

القراءة اليهودية للأساطير

يقول الصهيوني ف . د . روبين شتاين:

«... ... لو ظهر أن الهولوكوست ليس سوىٰ عملية تضليل، لكان السلاح رقم - 1 - في ترسانة إسرائيل سيختفي...»

وهذا التصريح الصهيوني هو اعتراف واضح بأن الصهيونية حققت مكاسب ما كانت ستحصل عليها لولا ابتداع تلك الأساطير .

الهدفان السياسي والديني

يقول حاخام يهودي متطرف:

«.. إن خلق دولة إسرائيل هو ردّ الله علىٰ الهولوكوست..»

وهذا اعتراف يهودي بالهدف الذي حمل الصهيونية المتطرفة علىٰ خلق أسطورة الإبادة، وهو ما حصلت عليه اليهودية العالمية فكانت مكاسبهم ذات شقين:

1 - مكاسب سياسية ، وهي خلق دولة إسرائيل

2 - مكاسب دينية وهي بقوله (ردّ الله) أي أن الله أعان اليهود علىٰ عودتهم إلىٰ أرض فلسطين.

وإن هذا الاعتراف نفسه يحمل السببين الذين قامت علىٰ أساسهما الأكذوبة وهما :

1 – سياسي وهو الطريقة والأسلوب اللذان اتبعتهما الصهيونية لكسب تأييد ودعم حكام وقوانين وشعوب الدول المنتصرة في الحرب.

2 – السبب الديني وهو لإقناع رب اليهود واليهود أنفسهم بأن الشريعة والعقيدة اليهودية توجب عودة اليهود إلىٰ أرض الميعاد ، وبأن يوم الميعاد اليهودي قد حان وهو وعد الرب لهم بإعادتهم إلىٰ أرض فلسطين بعدما أحرقوا في الأفران.

وإن أكذوبة الإبادة نفسها تحمل شقين متساويين وهما :

1 – الشق الديني وهو ذكر كافة أساطير الإبادة بصفتها إبادة دينية وعرقية وعنصرية، أي إبادة لليهود لأنهم يدينون باليهودية، ولم تكن تلك الإبادة إلَّا عقاباً من رب اليهود لليهود أنفسهم بسبب فسادهم وابتعادهم عنه،حسب المفاهيم اليهودية، وبعد العقاب سيعوّضهم الرب ويعيدهم إلىٰ أرض فلسطين كما وعدهم.

2 – الشق السياسي للأكذوبة وهو كافة أعمال المنظمات الصهيونية في خلق الأكذوبة ونشرها وفرضها سياسياً علىٰ الحكام والشعوب وانتصار الصهيونية آنذاك وتمكنها من تهجير اليهود وإعلان قيام دولة لهم.

ولمّا كان اليهود قد كذبوا في ابتداع تلك الأساطير فإنهم يدركون بأنهم خدعوا الشعوب وخدعوا ربهم، فحسب اعتقادهم المتخلف أن ربهم قد انخدع فعلاً بتلك الأكذوبة وأعانهم علىٰ العودة إلىٰ أرض فلسطين.وأن الحكام المعاصرين المساندين لإسرائيل والذين يتوجب عليهم أن يكونوا علمانيين تجاه الشعوب المعاصرة. فهم يعجزون عن مناقشة تلك الأساطير الصهيونية في أي وقت وفي أي ظرف لأن نتيجة

النقاش والبحث لن تكون لصالحهم ولا لصالح الدولة الصهيونية، ولأن إعلان الحقيقة هو اعترافهم بأنهم خدعوا وضللوا شعوبهم طوال 65 سنة. ولذلك فهم مضطرون للسكوت عنها. ومنع أفراد شعوبهم من مناقشتها.

الأكذوبة هي العقيدة

إن قوانين منع مناقشة الأساطير المتعلقة بإبادة اليهود، والقيود الصارمة التي تهدف السكوت عنها تعني أيضاً منع مناقشة العقيدة اليهودية كديانة وكقومية عنصرية، ولذلك فإن كل من يناقش قضية المحرقة يتهم باللاسامية (معاداة اليهودية) وهذا يعني (وهو دليل)أن أولئك المانعين (حكام العالم) هم أنفسهم يربطون بين قضيتين هما:

1 - أسطورة الإبادة

2 - عقائد الديانة اليهودية نفسها

وهذا الربط الذي يفرضونه علىٰ شعوب العالم كله، والذي يقتنعون بوجوده يجعل القضيتين قضية واحدة فيجعل قضية (الهولوكوست بمعناها المعاصر كحدث سياسي) هي قضية دينية وعقيدية يهودية؛ أي أنهم يعترفون بأن الهولوكوست المعاصر ليس سوىٰ إظهار عالمي معاصر للهولوكوست التوراتي، وبالتالي فهذا يدل علىٰ أن الهولوكوست المعاصر كان أكذوبة. وهو أيضاً دليل علىٰ أن حكام العالم يدركون بأنها أكذوبة .أي أن التسليم بأن الإبادة أمر يهودي ديني وعقيدي يعني ضمنا أن الإبادة نفسها أكذوبة.

إن مصطلح الهولوكوست له طابع قدسي تضحوي عند اليهود وهو يندمج بالمشروع الالهي ،ويعتبره روجيه غارودي مشابهاً لصورة صلب المسيح عند المسيحية(19) كما وتأخذ بهذا الاعتقاد بعض الأوساط الكاثوليكية الغربية. وإن من يطّلع علىٰ العقيدة اليهودية ومن يدرس نصوص العهد القديم يكتشف أهمية معنىٰ المحرقة عند اليهود، ففي كل كنيس محرقتين محرقة داخلية ومحرقة خارجية، ويتم بناء وتجهيز المحرقة بعناية وفنية وزخرفة وتكلفة كبيرة.

وهي تحوي زخارف وأحجاراً كريمة، وبعض أقسامها مرصعة بالذهب وأخرىٰ بالفضة وبعض أوانيها من النحاس ...الخ. وفي كل أداء طقسي يهودي يتم حرق أضحية أو أضاحي كثيرة، وإن كل مخاطبة للرب حسب اليهودية تستدعي حرق الأضاحي، بل إن الرب أهم ما يرىٰ في عباده تلك الأضاحي. والرب يستجيب لطلبات اليهود بعدما يقدّمون الأضاحي الصحيحة والتي تتناسب مع الشروط التي وضعها لهم . وفي الأحكام الدينية اليهودية الكثيرة نلاحظ أنه اذا ارتكب اليهودي أية خطيئة فذلك يوجب عليه تقديم أضحية وحرقها.وتختلف نوعية الأضحية وطريقة الحرق بحسب الخطيئة التي ارتكبها، فالزاني والسارق والقاتل والخائن والكافر والظالم وغيرهم سيحتاجون لتقديم أضاحٍ وحرقها. وكل تلك الجرائم والخطايا يجب أن تكون قد ارتكبت بحق يهود آخرين، أما من يرتكب أية خطيئة بحق غير اليهودي فذلك عمل لا يحتاج لأية كفارة أو أضحية أو تراجع عن الخطيئة. إذ لم يرد في نصوص العهد القديم أي إجراء للتكفير عن ذنب ارتكبه اليهودي ضد غير اليهودي.

فاليهودي الذي يقتل غير اليهودي لا يعاقب دينياً ولا يوجد نص في العهد القديم يمنعه من فعل ذلك، وبالوقت نفسه فإذا قام يهودي بقتل يهودي آخر يحكم عليه بالقتل. وليست هذه سوىٰ عنصرية قائمة علىٰ أسس دينية يهودية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انتشرت عشرات الأكاذيب التي تتحدث عن إبادة اليهود، لكن الأكاذيب الخمسة التي تم التسليم بها كلها تحوي طابعاً قدسياً وطقسياً توراتياً، وطابعاً عقيدياً يهودياً، وكلها كانت موجهة لرب اليهود بمقدار ما هي موجهة لليهود أنفسهم وللرأي العام العالمي. فمخاطبة الرب أوجبت علىٰ اليهود ابتداع أكاذيب تحمل طابعاً قدسياً وهذا يعني يهودياً: «..**هانحن اليهود قدّمنا للرب أكبر أضحية يرضاها وهي أضحية بشرية، وقد أحرق اليهود في المحارق كأضاحي يقبلها الرب من شعبه اليهودي المختار، وتم قتلهم بالغازات وصنعت من دهونهم وشحومهم العزيزة علىٰ ربهم ألواح صابون حقيقية. وأبيد اليهود بالكامل وأصبحت**

أجسادهم رماداً كما يوصي الرب في شريعة المحرقة. وهذا شكل الأضحية التي ترضي الرب. وبناء علىٰ ذلك يطلب اليهود من الرب إعادتهم إلىٰ أرض الميعاد فلسطين. وتلك نهاية عصور التشرد اليهودي التي فرضها ربهم عليهم ، وبداية عصر يهودي جديد وعدهم ربهم به..» وإن اليهود يتعاملون مع أسطورة الإبادة علىٰ أنها حدث ديني كبير في تاريخهم يعادل حدث الخروج من مصر ويعادل حدث هدم الهيكل وقد ظهرت تسميات عديدة للإبادة ومنها: الإبادة هي هدم الهيكل – الإبادة هي التضحية – تاريخ ما قبل الإبادة وتاريخ ما بعد الإبادة.

المحرقة هي المعبد والحرق هو العبادة

وفي النصوص التالية نتعرف علىٰ معنىٰ المحرقة التي ينصبها اليهود لربهم، وعلىٰ دلالاتها في عقيدتهم، فالمحرقة عندهم هي بيت الله الذي يقيمونه له علىٰ الأرض. ويبني اليهود المحرقة لأجل الحرق لواجب الرب.أي أن الحرق هو العبادة حسب عقيدتهم وهو التقرب للرب وهو التقدمة له. والحرق هو ما يريده الرب من شعبه. وهو عبادة الرب. والحرق هو بمثابة الصلاة والتضرع لرب اليهود حسب عقيدتهم.

«... 25 وكان في تلك الليلة أن الرب قال له خذ ثور البقر الذي لأبيك وثوراً ثانياً ابن سبع سنين واهدم البعل الذي لأبيك واقطع السارية التي عنده . 26 وابن مذبحاً للرب إلهك علىٰ رأس هذا الحصن بترتيب وخذ الثور الثاني وأصعد محرقة علىٰ حطب السارية التي تقطعها...». عن سفر القضاة، الإصحاح السادس.

وفي هذا النص دلالة علىٰ أن المذبح والمحرقة هما بناء واحد وهما المعبد اليهودي، وأن الأداء الطقسي في المذبح والمحرقة هو أداء العبادة اليهودية.

«.. 3وأرسل سليمان..... قائلاً... 4 فهاأنا ذا أبني بيتاً لاسم الرب الهي لأقدسه له لأوقد أمامه بخوراً عطراً ولخبز الوجوه الدائم وللمحرقات صباحاً ومساء وللسبوت والأهلة ومواسم الرب إلهنا.. هذا علىٰ إسرائيل إلىٰ الأبد، 5 والبيت الذي

أنا بانيه عظيم لأن إلهنا أعظم من جميع الآلهة. 6 ومن يستطيع أن يبني له بيتاً لأن السموات وسماء السموات لا تسعه ومن أنا حتىٰ أبني له بيتاً إلا للايقاد أمامه..» عن سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني

والنص التالي يكشف لنا حقائق مهمة عن شريعة المحرقة:

1. أداء العبادة اليهودية هو الذبح والحرق أي ذبح الأضحية وسفح دمها والتمثيل بها وتقطيعها وتقسيمها إلىٰ أقسام عديدة لكل قسم غرضه العبادي، ثم حرقها وفق طرق عديدة وتحويلها إلىٰ رماد وكل هذا الأداء هو نفسه عبادة يهودية، بل لم نجد في نصوص العهد القديم كلها وصف آخر للعبادة.
2. قدّم سليمان وشعبه مئات الآلاف من الأضاحي وأحرقوها وقدموها لربهم.
3. نزل مجد الرب إلىٰ المكان وأحرق الذبائح والتقدمات وأكلت النار المحرقة والذبائح، وعلىٰ هذا يكون مجد الرب ناراً أو قد اتخذ شكل النار في هذه المرة. وهنا تقدم الذبائح للرب كي يأكلها الرب نفسه وبفناء أجساد الأضاحي يكون الرب قد التهمها أي أكلها.
4. المحرقة هي مكانان اثنان، محرقة داخلية وهي مذبح النحاس ، ومحرقة خارجية كبيرة وهي كما ورد في النص وسط الدار ، وهي في مكان واسع ومكشوف كبير. وهاتان المحرقتان هما بالضبط ما رمز إليه اليهود في أسطورة الإبادة ، فمحرقة النحاس التوراتية هي الأفران المعدنية الصغيرة ،التي كانت مخصصة لحرق الجثث الموبوءة، والمحرقة الكبيرة وسط الدار هي حفر الهولوكوست الكبيرة التي كانت في معسكرات النازيين بحيرات ماء كما مرّ معنا.
5. في النص التالي عبارة **«المحرقات والتقدمات والشحم»**. وهنا حديث عن شحم الأضحية والذي حوّله اليهود إلىٰ أسطورة صناعة الصابون من الدهن اليهودي.
6. هذه الظاهرة الاحتفالية هي عيد يهودي.

«.. 1 ولما انتهىٰ سليمان من الصلواة نزلت نار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح

وملأ مجد الرب البيت، 2 ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب، 3 وكان جميع بني إسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب علىٰ البيت وخرّوا علىٰ وجوههم إلىٰ الأرض علىٰ البلاط المجزع وسجدوا وحمدوا الرب لأنه صالح وإلىٰ الأبد رحمته.... 5 وذبح الملك سليمان ذبائح من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة وعشرين ألفاً ودشن الملك والشعب بيت الله. ... 7 وقدّس سليمان وسط الدار بيت الرب لأنه قرّب هناك المحرقات وشحم ذبائح السلامة لأن مذبح النحاس الذي عمله سليمان لم يكف لأن يسع المحرقات والتقدمات والشحم. وعيّد سليمان العيد في ذلك الوقت سبعة أيام وكلّ إسرائيل معه...». عن سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السابع.

ومن الواضح أن طقوس الحرق والإبادة عند اليهود هي أعلىٰ درجة في طقوس العبادة، وهي أعلىٰ بكثير من طقوس الصلوات تلك التي يقرأ فيها اليهودي نصوصاً مختارة من العهد القديم فيكون لكل نص مكانة حسب نوع الصلاة.

الفصل الثالث

فلسفة الإبادة

تسمم اليهود بديانة الهولوكوست

صحيح أن لليهود أساطيرهم التوراتية الخاصة، لكنهم حين لقّنوا أسطورة الهولوكوست ليهود العالم ولأفراد شعوب العالم الآخرين بغية الاستفادة من الوضع القائم، كانوا يسمّمون اليهود أنفسهم بتلك العقيدة الخرافية الأسطورية، ويخدعون اليهود قبل غيرهم، ويسيئون لليهودية نفسها ويسيئون للشعب اليهودي كله، بل إنهم عندما أرادوا تسميم العالم بأسطورة الهولوكوست، تجرّعوا هم السمّ نفسه. ولأن تسميم الشعوب الأخرىٰ لن يدوم وسيعود كل فرد لتصحيح عقيدته وإفراغها من سمّ الهولوكوست، فإن اليهود لن يستطيعوا بسهولة التخلص من ذلك التسمم العقيدي الذي انتشر في أجسادهم وأذهانهم إلىٰ أبعد الحدود، والذي شوّه عقيدتهم إلىٰ الأبد.

وإن السلاح الذي مازالت إسرائيل تستخدمه منذ قيام دولتها الأكذوبة، سوف يصبح هشاً شيئاً فشيئاً وسوف يتلاشىٰ خلال مدة لن تتجاوز العشر سنوات القادمة. وهانحن حين نكتب ونحلل ونكتشف خفايا تلك الأسطورة ، وأنتم أعزائنا القراء والباحثين عن الحقيقة عندما تقتنعون بهذه الأبحاث تساهمون في القضاء نهائياً علىٰ أسطورة الصهيونية، وتحصّنون أنفسكم من التسمم بديانة الهولوكوست التي بنيت علىٰ شيء واحد هو الوهم اليهودي المتطرف. وتساهمون في تحطيم الأسس التي بنيت

عليها دولة إسرائيل وستزول تلك الدولة من الوجود.

وسيبقىٰ يهود العالم لمدة طويلة يعانون ويتألمون من التسمم العقيدي الذي فرضه عليهم قسم متطرف من اليهود. وإن شعوب العالم ستتخلص بسهولة وخلال سنوات قليلة من التسمم بشريعة المحرقة، لأن تلك الشريعة بعيدة عن عقائدهم، لكن اليهود شوّهوا ديانتهم من جديد حين أضيفت إليها أسطورة الإبادة الحديثة. ولأن هذا التسمم الجديد يرتبط بعقيدتهم القديمة فإنه لمن العسير علىٰ اليهود أن يتخلصوا من ذلك التشوه العقيدي وأن ينتزعوا من أذهانهم أسطورة الإبادة الجديدة.

الشذوذ الجنسي والمحرقة

إن ربط الشذوذ الجنسي بالهوية اليهودية وبالهولوكوست تصدم القارئ العربي، ولكن علينا أن ندرك ما هو مقدَّس وما هو مدنَّس في الخطاب اليهودي فالهولوكوست أيقونة مقدَّسة بفضل منافعها عند اليهود. والشذوذ أمر عادي ومحبب، بل أصبح أمراً له قداسته الخاصة عند بعضهم.

وداخل الخطاب الحضاري الغربي، جرىٰ ربط الشذوذ الجنسي بما يعتبرونه مقدسات يهودية . حيث صوّر الروائي الأمريكي اليهودي ليف روفائيل شخصية تربط بين الشذوذ الجنسي والمحرقة والانتماء اليهودي، فبطل إحدىٰ رواياته يهودي يخاف من تأكيد الأبعاد الثلاثة لهويته: هويته اليهودية، وهويته كشاذ جنسي، وهويته كأحد ضحايا الهولوكوست. فيقوم صديقه الذي يعيش معه بتشجيعه علىٰ تجاوز مخاوفه الثلاث ويقنعه بعدم وجود تناقض بين الانتماءات الثلاث.

ومنذ سنوات عديدة أُقيم مؤتمر للشواذ والسحاقيات في إسرائيل، وأقام أعضاء المؤتمر صلاة القاديش اليهودية في نصب ياد فاشيم لرحمة الشواذ جنسياً والسحاقيات ممن سقطوا ضحايا للاضطهاد النازي.هذه بعض من الشواهد التي استطعنا جمعها والتي يربطها اليهود بالإبادة، ولاشك فإننا لم نصل إلىٰ شواهد أخرىٰ قد تكون أخطر

وأغرب مما وصلنا. وقد ذكرنا بأن تلقين عقيدة المحرقة والإبادة لم تكن سوىٰ تسميم للشعب اليهودي نفسه قبل غيره، وهنا يظهر لدينا دليلاً آخر علىٰ صحة ذلك:

ترسيخ الإبادة في عقول الإسرائيليين

إنّ أفضل وصف يمكن أن يقال عما يفعله اليهود بأسطورة الإبادة وتسخيرها هو الوصف الرباني لهم الذي جاء في القرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في سورة البقرة:

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة.2/ 102].

فهم يعتقدون بأنهم في إذاعة تلك الأكاذيب وتثبيتها في عقول اليهود سيحققون مكاسب كبيرة ويكونون قد اشتروا أنفسهم بها، واشتروا دولة صهيونية بثمن الأكذوبة. لكنها كانت عليهم وبالاً جديداً زادهم مرضاً وفسقاً وإيلاماً. وتدلّنا الآية الكريمة أيضاً علىٰ أن اليهود اعتادوا من قبل أن يشتروا أنفسهم بأضاليل وأكاذيب وحججٍ فاسقة وفاسدة.

لقد نجح الصهاينة في ترسيخ واقعة الإبادة النازية ليهود أوربا في وجدان الأغلبية العظمىٰ من الإسرائيليين. فالصحف لا تكفّ عن الكتابة عنها. وهناك يوم محدَّد لإحياء ذكرىٰ الإبادة يُسمَّىٰ يوم الذكرىٰ وبالعبرية هازكرون. ويقع في يوم 4 شباط من كل عام، ويبدأ الاحتفال بإطلاق صفارة إنذار في كل أنحاء الدولة في مغرب اليوم السابق فتُنكس الأعلام، وتُغلَق دور اللهو بأمر القانون، وتُقام الصلوات في المعابد اليهودية وتُوقد الشموع فيها، كما تُعلن صفارات الإنذار في الصباح عن دقيقتين حداداً يتوقف فيهما النشاط تماماً في الدولة الصهيونية بكاملها. ثم تُطلَق صفارة إنذار أخرىٰ للإعلان عن انتهاء اليوم وبداية عيد الاستقلال.

وتعمل إسرائيل باستمرار علىٰ دعم المعتقدات المتعلقة بالإبادة واستمرار ترسيخها في إسرائيل وفي العالم كله، وأثناء الاحتفال بذكرىٰ المحرقة في العام 2007 قالت وزيرة خارجية الصهاينة: «**إن ذكرىٰ المحرقة ضرورية للمجتمع الدولي بأكمله وليس فقط**

لإسرائيل،» ولترسيخ عقيدة المحرقة والاستفادة منها قال شمعون بيريس: «**إن رئيس إيران أحمدي نجاد يحضّر إلىٰ القيام بمحرقة جديدة ضد اليهود**» وإن مثل هذا التصريح يركّز علىٰ ترسيخ عقيدة الإبادة عند اليهود، وعلىٰ الاستمرار بالاستفادة منها.

وقد لاحَظ الفيلسوف الديني الإسرائيلي اليهودي يشياهو لابيوفيتش أن الاحتفال بيوم الذكرىٰ يزداد حدة عاماً بعد عام لأن قائمة أسماء الضحايا تزداد يوماً بعد يوم. بل تؤكد بعض الأبحاث الإسرائيلية أن شبح الكارثة لا يزال منعكساً وجاثماً علىٰ عقل الإسرائيليين من الجيل الثاني.

وفي استطلاعات للرأي حول الإبادة المزعومة يرىٰ واحد وستون بالمائة من الإسرائيليين أن الكارثة كانت عنصراً أساسياً من عناصر قيام الدولة الإسرائيلية والمسوغ الأساسي له. ويعتقد اثنان وستون بالمائة أن قيام الدولة الإسرائيلية يمنع حدوث كارثة مماثلة في المستقبل. وإن رسوخ الإبادة في عقول الإسرائيليين ليس سوىٰ حالة تسمم أفسدت عقولهم ونفوسهم، ولن تعود عليهم إلّا بالأضرار والهلاك. وأن ما حدث بهم في هذا العصر هو نفسه الذي حدث لليهود في زمن الأنبياء حين قاموا بتبديل عبادتهم من شريعة الله التي أتىٰ بها أنبياؤهم إلىٰ شريعة العجل وتقديسه وحرقه، وقد نزلت فيهم الآية القرآنية الكريمة التي تصف حالة تشربهم لعقيدة العجل، أي أن مفسديهم مارسوا عليهم طريقة تلقين قوية أدت إلىٰ تشربهم العجل فأصبحت عبادته راسخة في أذهانهم وعقولهم ودمائهم وداخل صدورهم. وفي هذا العصر قام مفسدوهم أيضاً بفعل الشيء نفسه فوصلوا بهم إلىٰ عبادة المحرقة وتأليه الإبادة وتقديس آوشفيتز.

يقول الله تعالىٰ في سورة البقرة:

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة2/ 93]

وجدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة كثرت ظاهرة تحول يهود إسرائيل إلىٰ

المسيحية، الأمر الذي أقلق حاخامات إسرائيل وصهاينتها، وهذا التحول يدل علىٰ عدم اقتناع اليهود أنفسهم بالعقيدة العنصرية التي تؤدي بحاملها إلىٰ الانغلاق والتكوير علىٰ الذات والإصابة بالعقد النفسية والأمراض العقلية.وبتاريخ 7 شباط 2007 تحدثت صحيفة معاريف الصهيونية عن ظاهرة تحول يهود الفلاشا إلىٰ المسيحية. وهؤلاء الذين استقدمتهم إسرائيل من أثيوبيا بهدف زيادة عدد اليهود، ولم يجد الصهاينة بداً من إيقاف حركة التحول هذه. فدعىٰ حاخامات ومسؤولين صهاينة إلىٰ إيقاف استقطاب المهاجرين من أثيوبيا.

مرض الإبادة

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة.2/ 102].

لم يكتف الصهاينة بأنهم اشتروا أنفسهم بعقيدة الإبادة بل إنهم والويل لهم من أفعالهم يستمرون في ترسيخ الإبادة وتعميمها وتثبيتها في عقول اليهود، الأمر الذي يرسّخ فيهم الرعب والخوف من الآخر ويجعل ذلك الرعب مرضاً نفسياً حقيقياً.

مما لا شك فيه أن الإحساس بخطر الإبادة إحساس حقيقي متجذر في الوجدان الإسرائيلي. ولكننا نذهب إلىٰ أن أساسه الحقيقي يتأتىٰ من عناصر عديدة وهي:

إن في إسرائيل قسمين من المواطنين:

القسم الأول وهو الذي يدرك أبعاد الأكذوبة وأبعاد الاستفادة منها، وهؤلاء يدركون بأنهم بنوا دولة زائفة من كافة نواحيها اعتماداً علىٰ أكذوبة وخديعة كبيرة، وهم بلا شك يخشون باستمرار من أن يلاقوا عاقبة تلك الخديعة، وبالوقت نفسه يخشون من عقاب الفلسطينيين والعرب والمسلمين لهم. وهؤلاء سيظلّون يعانوا من عقدة الأكذوبة ومانتج عنها وماسينتج عنها في المستقبل. فإن أي عاقل يتنبأ بأن تلك الأكذوبة لن تدوم ، وأن خداع العالم كله لن يستمر. وأن الحياة اليومية للإسرائيلي مستمرة في الخوف

والقلق وهذا القلق يشمل:

1. **قلق العقاب**: وذلك يشمل قلقهم من عقاب العالم المسيحي لهم لأنهم خدعوه وقلقهم من انتقام الفلسطينيين لأنهم اغتصبوا أرضهم وأبادوا قسماً من شعبهم.
2. **وقلق الانتقام**: ويعني قلقهم من انتقام الآخرين منهم وذلك نتيجة لأعمالهم وأكاذيبهم التي ضللت الشعوب وقتلت وأبادت الكثير.
3. **قلق الحاضر**: لأن القلق يعيش معهم في كل لحظة يعيشونها، ولأنهم في كل لحظة يخشون العقاب والموت.
4. **قلق المستقبل**: نعتقد أنه لا يوجد إسرائيلي واحد مطمئن علىٰ مستقبل إسرائيل كلها وعلىٰ مستقبل اليهود، فإن القاعدة والمبدأ الثابت الذي ينطبق علىٰ تلك الدولة وشعبها هو(ما بني علىٰ باطل فهو باطل)
5. **وقلق الموت في كل لحظة**: لو أن إسرائيل قد قامت في منطقة أخرىٰ من العالم لكانت ستشعر بالراحة وربما بالسلام الدائم لكن لحسن حظ العرب والمسلمين أنهم لا يسكتون علىٰ ضيم ولا يرضخون للذل ولا يقبلون الاحتلال واغتصاب الأرض، ولذلك فإن إسرائيل والصهاينة كلهم يخشون الموت في أية لحظة. فمن حسن حظ أرض فلسطين أن المدافعين عنها يعادلون مليارين من البشر، والمقاتلين الحقيقيين ضد الصهيونية يزدادون في كل يوم.

والقسم الثاني من الإسرائيليين هم الذين تم خداعهم واعتقدوا بحدوث الإبادة، ورغم اعتقادهم بتحقيق مكاسب كبيرة بفضل الإبادة فهم يمتلكون عقداً كبيرة لن تزول عن نفوسهم وتلك تجعلهم يشعرون ضمناً بأنهم شعب مهزوم ومكروه ومنفي من أوروبا. وشعب رغب العالم كله بطرده وإبادته وتهجيره. وشعب تخلّىٰ عنه الرب (حسب التفسير اليهودي للإبادة) وتركه يواجه أبشع مصير عرفته كل الشعوب وفي كل الأزمنة. وشعب ظل طوال إقامته في الدولة المغتصبة يتعرض للقتل والهجمات والتهديد. وهذا الوضع يجعل الصهيوني اليهودي في حالة مرضية كبيرة.

ولن يمتلك خلالها أي شعور بالراحة والأمان أو السعادة. إذ لا سعادة ولا راحة لشخص يدرك بأنه من أمة أبيدت وأحرقت وأفنيت وتحولت إلىٰ رماد. ولا يشعر شخص بالكرامة وصواب العقل إذا كان يعتقد بأن آباءه وأجداده أحرقوا وكانوا قرباناً للرب وأن الرب نفسه أحرق معهم وزال عن شعبه. ومما يزيد في ترسيخ تلك الأمراض والعقد تصريحات الصهاينة أنفسهم والتي تتنبأ بمحرقة أخرىٰ، فقد أعلن شيمون بيريس بأن الرئيس الإيراني يحضر إلىٰ هولوكوست جديد وإبادة ثانية ليهود إسرائيل. وفي المجتمع الصهيوني نفسه اشتهرت أغنية لامعة لإحدى الفرق الفنية الإسرائيلية وصارت تسمع وتردد في كافة الأوساط والإذاعات المحلية، وتقول كلماتها: «**اضغط علىٰ الزر دمر إسرائيل بالقنبلة النووية الإيرانية**» وهذه الأغنية تعكس حالة القلق الدائم عند الإسرائيليين.

عقدة فقدان الشرعية: وإنّ الطبيعة الاستيطانية للتجمع الصهيوني الذي لم يضرب بجذوره في المنطقة، والذي لن يقدر علىٰ الإطلاق علىٰ إيقاف النضال الفلسطيني. وبخاصة أن أصحاب الأرض الأصليين لم تتم إبادتهم وثبت للصهاينة بأن ذلك غير ممكن علىٰ الإطلاق،وأنهم لم يكفّوا عن المقاومة مطلقاً، الأمر الذي يخلق عند الإسرائيليين ما نسميه «**عقدة فقدان الشرعية**» وتتمثّل بالقلق والخوف الدائم من عودة صاحب الأرض الذي يؤكد حضوره علىٰ كذبهم. فيتضح بأن زعمهم بأن فلسطين أرض بلا شعب كان زعماً كاذباً، بل إنه سيؤدي إلىٰ غيابهم في نهاية الأمر. ولكن بدلاً من أن يواجه المستوطنون حقيقة وضعهم كمستوطنين ومغتصبين للأرض، فإنهم يتجاهلونها ويفرضون عليها التفسير اليهودي الصهيوني الذي يبرر لهم كشعب يهودي حق الإقامة في أرض فلسطين. لكن هذا المبرر لا يمنع من ظهور إدراك حقيقي ووعي للمشكلة ، الأمر الذي سيُفقدهم ثقتهم بأنفسهم وإحساسهم بشرعية وجودهم وأخلاقيته، وبالتالي ستتعمق العقد في نفوسهم. أما التفسير الصهيوني لاغتصاب فلسطين فسيسبغ عليهم المزيد من الشرعية اليهودية وسيزيد

إصرارهم علىٰ حقهم في البقاء وسيحاولون إبادة كل من يقف في طريقهم إبادة شاملة لا هوادة فيها. ومن هنا كان حرص إسرائيل في بداية نشوئها كدولة علىٰ امتلاك القنبلة الذرية؛ وعلىٰ التلويح باستخدامها عند الضرورة، فقد صرّح ايهود باراك من ألمانيا بأن إسرائيل تمتلك القنبلة الذرية وأنها قد تستخدمها عند الضرورة.

وعندما تجتمع عقدة الإبادة وعقدة عدم الشرعية في نفوس الصهاينة يصبح الفرد مهدداً دائماً وأبداً بالإبادة والفناء. وفي هذه الحال ستستمر الحروب ويستمر الخوف اليهودي، وتزداد وتتراكم العقد المرضية في نفوس الصهاينة.وقد لاحظ بعض التربويين الصهاينة أن هذا التركيز علىٰ فكرة الإبادة، كفكرة رئيسة في وجدان أعضاء الجماعات اليهودية داخل وخارج إسرائيل، يسبب لهم مشاكل نفسية عميقة، إذ لا يمكن أن يعيش الإنسان حياة نفسية سوية، وسط بلاد العالم أو بين أحد الشعوب، وهو يعتقد أنهم قد يبيدونه تماماً في أية لحظة وأنه هو الضحية الوحيدة بينهم. ولذا، بدأت ترتفع أصوات للتحذير من خطورة هذا الاتجاه. ولكن الصهيونية عقيدة تستند شرعيتها وأحقيتها إلىٰ الكوارث التي حاقت باليهود في الماضي والتي قد تحيق بهم في المستقبل، ومن ثم، فإن أية رؤية مُركَّبة للتاريخ تسحب هذه الشرعية منها. وعلىٰ هذا، فليس من المتوقع أن يتغيَّر هذا الاتجاه داخل الصهيونية اليهودية في القريب.بل إن ما نتوقعه خلال العقد القادم هو أن تنكشف أكاذيب ومزاعم الصهيونية للعالم كله، وهذا ما بدأ يحدث فعلاً داخل المجتمعات الغربية، ولم يبق له إلَّا أن يصل إلىٰ قيادات الأحزاب والكيانات الحاكمة وعندئذ سيزول كل الدعم الذي يقدم لإسرائيل ثم يزول الكيان الصهيوني نفسه بعد أن تتم تعريته ونبذه.

وأثناء كتابة هذه السطور أعلن في الولايات المتحدة عن تحذيرات أعضاء في الكونغرس للرئيس جورج بوش من خوض معركة ضد إيران. وطلب منه أن يسحب قواته من العراق. علماً بأن خوض الأمريكيين معارك في المنطقة كلها إنما جاء ليحمي الدولة الصهيونية العبرية من العرب والمسلمين وأهمهم إيران وسورية. وإن تلك

الأصوات التي انطلقت في الكونغرس الأمريكي تعني بطريقة ما عدم استمرار التهور الأمريكي سعياً لنصرة إسرائيل. وبالأمس (47) أدرجت صحيفة هاآريتس الصهيونية دراسة تبين منها تزايد نسبة العداء لليهودية في أوروبا بنسبة 10 ٪ وهذه نسبة زيادة جديدة حصلت خلال العام 2006 ومما لاشك فيه بأن كافة هذه الأحداث تعمّق في الذهن الإسرائيلي عقدة عدم الشرعية ومنها يزداد أرقه ومرضه.ومن هنا تأتي أهمية نضالنا ومراهنتها في هذا الاتجاه الذي يدمّر الصهيونية من الداخل.

ويذكر بأن عقدة عدم الشرعية بوجود إسرائيل كلها تزداد باستمرار وترتفع نسبتها في أوساط المجتمع الصهيوني. فالمستوطنون الجدد والذين يبلغ تعدداهم حوالي ثلاثة ملايين وأكثرهم من مسيحيي أفريقيا والاتحاد السوفييتي السابق، هؤلاء يميلون إلىٰ الاعتقاد بعدم شرعية وجود دولة صهيونية في أرض عربية مغتصبة، بل إنهم يتبرؤون من كافة العقائد والمزاعم الصهيونية واليهودية، وسيكونون في المستقبل ولاشك في ذلك عنصراً فتاكاً للكيان الصهيوني من داخل جسده.

الإبادة عقاب من الرب

إن تصدير أكذوبة الإبادة كان يحمل في طياته معنىٰ ومغزىٰ تلك الأحداث بمفهوم ديني يهودي، ونلخص هذا المفهوم بالنقاط التالية:

1 – الإبادة هي عقاب من رب اليهود لليهود أنفسهم، إن نصوص العهد القديم تحمل حوارات بين رب اليهود واليهود أنفسهم ، وتلك الحوارات والعلاقة كلها مبنية علىٰ أسس تقول: إن فساد الجماعة اليهودية يسبب غضب ربها عليها وبالتالي إحلال المصائب بها. وان كل الشرور والبلايا والمصائب التي تنزل باليهود إنما هي جاءت كعقاب إلهي لهم.

وعلىٰ هذا تكون أكذوبة الإبادة عقاب من رب اليهود لليهود وقد حلت الإبادة بهم لأنهم خرجوا عن تعاليم الرب.وكثيرة هي النصوص التي تتحدث عن العقاب في

العهد القديم، ونأخذ هذا النص: «.. 1 **ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشرّ في عيني الـرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة..**» سفر القضاة، الإصحاح الثالث عشر.

2 – بعد أن عاقبهم الرب ستكون لهم المكافأة لأنهم تابوا عـن الأخطـاء وجـاءت من رب اليهود مكافأة كبيرة لشعبه اليهودي وهي قيام دولـة إسرائيـل وعـودة اليهود إلىٰ فلسطين (حسب المفهـوم اليهـودي). وهـذه المكافـأة تحـدثت عنهـا نـصوص العهـد القـديم مئـات المـرات: «20 **ولكـن يهـوذا تـسكن إلىٰ الأبـد وأورشليم إلىٰ دور فدور. 21 وأبرىء دمهـم الـذي لم أبرئـه والـرب يـسكن في صهيون**» سفر يوئيل، الإصحاح الثالث.

والإبادة رغم كونها عقاب من الرب فهـي في الوقـت نفـسه مكافـأة مـن الـرب لشعبه اليهودي وهي تحقيق صادق لوعده الذي ضربه لهم منذ القـديم وهـاهو يحقـق وعده ويسكن شعبه في أرض الميعاد. والعقل اليهودي يرىٰ المتناقـضات في كثـير مـن الشروح والتحليلات، وكل متناقـضة تـصادفه يعيـدها إلىٰ التقـديس الربـاني فـيمكن فهمها علىٰ أنها أيقونة مقدسة. وبتقديسها يمكن التملص مـن الإتيـان ببرهـان يتقبلـه العقل البشري المتلقي.

تصدير المعنى والمغزى

مع تصدير أكذوبة الإبادة كان اليهود يصدّرون المعنىٰ والمغـزىٰ اليهـودي الـذي تحمله تلك الأسطورة. وكان هذا التصدير يحدث بين طرفين وهما المـصدّر والمـستقبل (المرسل والمستقبل)

– إن مصدّر الأكذوبة ومصدّر المغزىٰ اليهودي الذي تحملـه هـم متطرفـون يهـود تحالفوا آنذاك ضمن نطاق المؤتمر الصهيوني العالمي.

- وإن مستقبل تلك المزاعم كان رب اليهود حسب الاعتقاد اليهودي، فقد تم تصدير الأكذوبة إليه لكي يقتنع بتسيير أمورهم في إقامة دولة إسرائيل وتهجير يهود أوروبا إليها.

وإن المستقبل الثاني لتلك المزاعم كان يهود العالم كلهم بالدرجة الأولىٰ، فذلك يجبذهم دينياً علىٰ الاعتقاد بحدوث عقاب إلهي لليهود وهو الإبادة، وبأن يوم الميعاد ويوم حدوث الوعد الذي قطعه الرب لشعبه اليهودي إنما هو يحصل، وذلك يوجب عليهم العودة إلىٰ أرض الميعاد.

والمستقبل الثالث لذلك التصدير هو حكّام وشعوب العالم كله. والحكام أنفسهم كانوا في الوقت نفسه مستقبلين للأكذوبة ومصدّرين لها أي أنهم مارسوا دوراً مضاعفاً عن دور اليهود المتطرفين أنفسهم. وهؤلاء (الحكّام والشعوب) خاطبتهم الصهيونية بنزعتين اثنتين أيضاً وهما :

- النزعة السياسية وكانت تقول بحدوث ظلم وإبادة لليهود وهذا يتطلب إقامة دولة لهم في فلسطين.
- والنزعة الدينية والتي كانت تقول بأن الشعب اليهودي المظلوم قد تعرّض للإبادة بسبب ديانته السماوية، وإن قسماً من أتباع المسيحية الغربية هم الذين أبادوا اليهود فلابد للمسيحية الغربية من تعويضهم بإقامة دولة دينية لهم في أرض خرجت منها ديانتهم. ولابد أيضاً من تعويضهم بأموال عن ضحاياهم.

القيامة الآن

كلما حلّت في العالم والمصائر والبلدان أحداثاً مرعبة كالأهوال والحروب والزلازل يخرج قسم من المجتهدين ويقول بأن تلك علائم القيامة وأن ذلك هو اليوم الموعود، وهذا مثال أتينا به لنشرح حالة اليهود الذين شهدوا أحداث الحرب العالمية الثانية، ففي تلك الأيام المرعبة وفي وسط ذلك الدمار والقتل الكبير، كان من الطبيعي

أن تخرج من أفواه كل المواطنين الذين يشهدون الأهوال عبارة تقول (هذه هي الجحيم) و (هذا هو اليوم الموعود). بل إننا في الأفلام السينمائية نسمع تكراراً لتلك العبارات، ونستدل منها علىٰ أن التفوه بها أمر ممكن وجائز.

ولعلّ اليهود هم وحدهم الذين بالغوا في التعبير عن ذلك اليوم الهائل فنطق بعضهم في زمن الحرب بعبارات مهولة وقالوا: «**هذه ألواح صابون من الدهن اليهودي**» وإن تلك المقولة لم تكن سوىٰ تعبير عن يوم الجحيم ويوم الفناء. لكن الذهن اليهودي وهو الأكثر تطرفاً، وهو الذي يسعىٰ لأن يكون دوماً الأكثر تطرفاً، ذلك الذهن تمادىٰ، وبسبب تخلّفه وتطرفه وعنصريته، في التعبير عن الأهوال وجعلها قيامة حقيقية وجعلها يوم غضب الرب علىٰ اليهود ويوم حلول العقاب للشعب اليهودي بسبب فساده وخروجه عن طاعة الرب، وبالوقت نفسه عمل العقل اليهودي علىٰ تصدير كل تلك المفاهيم إلىٰ الرب نفسه وإلىٰ اليهود وإلىٰ أذهان شعوب العالم كله. فكانت تلك أكذوبة الإبادة. ومن المفيد هنا أن نذكر بأن العقل اليهودي كان متأهباً للقيام بمشروع كبير، وكان مشحوناً بفكر علماني وعنصري جديد بدأ يطرح ويتشكل قبل قرن من الزمن علىٰ أيدي الحاخامات والمفكرين الألمان والفلاسفة اليهود. وقد أدىٰ ذلك الاحتضار إلىٰ صدور المشروع الديني اليهودي الجديد مصاحباً لمشروع الإبادة وملازماً له ومعتمداً عليه كلياً، فكان مجموع ذلك كله مشروعاً يهودياً واحداً يرسم مستقبل اليهود وعقيدتهم الجديدة وسياستهم العامة. لقد جعل اليهود من الإبادة حدثاً عظيماً ورهيباً لأنهم كانوا مقبلين علىٰ مشروع خطير ومهول، وهو احتلال فلسطين وانتزاع وطن من شعبه، ومحاولة إبادة هذا الشعب.

يوم الميعاد اليهودي

في النص التالي وصف ليوم يهودي يشبه يوم القيامة عند المسلمين،لكن لهذا اليوم معاني يهودية عنصرية، نتبينها في النص:

فلأجل يوم الميعاد اليهودي المقدس هذا يتسلح كل اليهود ويتـأهبون للحـرب، وهذا ما تفعله إسرائيل منذ نشأتها، وإن عبارة **ليقل الضعيف بطل أنا** تعني أنه علىٰ كل يهودي أن يدّعي بأنه قوي جداً وبطل الأبطال، وهذا مـا تفعلـه إسرائيـل حـين تمجّـد جنودها، وفي ذاك اليوم (حسب النص) فـإنّ الـرب يحـصّن بنـي إسرائيـل. وتـصبح القدس لليهود أبداً ولن يدخلها بعد ذلك اليوم أي غريب . وتتهدم مصر كلها وتتهدم البلدان غير اليهودية ويفنىٰ شعبها.

لكن القدس تحيا إلىٰ الأبد ويتمجّد اليهود فيها.ويومئذ يعدهم الرب بأن يـبرئ دم اليهود الذي لم يبرئه من قبل ذلك اليوم. ويسكن الرب معهم في منطقة صـهيون. «.. 9 **قدسوا حرباً أنهضوا الأبطال ليتقدم ويصعد كل رجـال الحـرب. 10 اطبعـوا سـكاتكم سيوفاً ومناجلكم رماحاً. ليقل الضعيف بطل أنا... 14 جماهير جماهير في وادي القضاء. لأن يوم الرب قريـب في وادي القـضاء. 15 الـشمس والقمـر يظلـمان والنجـوم تحجـز لمعانها. 16 والرب من صـهيون يزمجـر ومـن أورشـليم يعطـي صـوته فترجـف الـسماء والأرض، ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل. 17 فتعرفـون أني أنـا الـرب إلهكم ساكنا في صهيون جبل قدسي وتكون أورشليم مقدّسة ولا يجتاز فيها الأعـاجم في ما بعد. 18 ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً والتلال تفيض لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء ومن بيت الرب يخـرج ينبـوع ويـسقي وادي الـسنط. 19 مـصر تـصير خراباً وأدوم تصير قفراً خرباً من أجل ظلمهم لبنـي يهـوذا الـذين سـفكوا دمـاً بريئـاً في أرضهم. 20 ولكن يهوذا تسكن إلىٰ الأبد وأورشليم إلىٰ دور فـدور. 21 وأبـرئ دمهـم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون»** عن سفر يوئيل، الإصحاح الثالث.

كان مشروع هجرة اليهود إلىٰ فلسطين قائماً قبـل أن تحـلّ الحـرب الثانيـة، وكـان الذهن اليهودي متأهباً من ناحية العقيـدة الدينيـة لتحقيـق مـشروع العـودة إلىٰ أرض الميعاد. وبالوقت نفسه فإن تحقيق وعد الرب كان يشترط علىٰ اليهود أنفسهم شروطـاً كثيرة. فلابد لهم مـن توبـة ولابـدّ مـن العـودة إلىٰ مـشروع الرب،ولابـد مـن تحقيـق

النبوءات والأهوال التي ذكرت في نصوص العهد القديم. وبالوقت نفسه لابد من إيجاد مبرر للرب الذي يعتقدون به ومبرر آخر للشعب اليهودي نفسه.

وإن بعض نبوءات هذا النص شخّصها اليهود في صور الدمار والهلاك وتداعي الأمم في زمن الحرب الثانية، ولمّا بقي لهم مبرر منهم أنفسهم، ابتدعوا أساطير الإبادة التي بواسطتها أكملوا شروط العودة وشروط الرب. وشروط النص التوراتي. ومن هنا نكتشف بأن أساطير الإبادة كانت بالدرجة الأولىٰ حاجة دينية يهودية. وكانت مطلباً يهودياً وشرطاً يهودياً لإكمال مخطط العودة إلىٰ أرض الميعاد.

أي أن أكذوبة الإبادة صنعها اليهود لأنفسهم ولحاجة دينية وشرعية عندهم ، ولم يصنعوها لأجل الآخر، وبالوقت نفسه اعتبروها واحدة من خصائص الشعب اليهودي ومن عقائده، وتحت تلك الذريعة فرضوا علىٰ الآخرين عدم التدخل بشأن يهودي يتعلق بالعقيدة والشريعة، وطالبوا باتهام كل مخالف لشريعتهم تلك باللاسامية والعنصرية والطائفية الدينية.

وإن سكوت حكام الدول المنتصرة يجعلنا نشك بأن بعضهم ربما كان يهودياً بشكل من الأشكال. أو ماسونياً يوافق علىٰ إتمام مبدأ عقيدي يهودي.

وحسب العقيدة اليهودية فإن الآخر هو كافر برب اليهود، وبسبب كفره وعدم انتمائه للجماعة اليهودية فإنه محذر عليه أن يتدخلّ في شؤون وأمور العقيدة اليهودية وكل فروعها وشرائعها.

والتحدث في أساطير الإبادة المزعومة هو تدخل في شؤون وأمور العقيدة اليهودية، لذلك منع الآخرون جميعاً من البحث فيه ونكرانه.

ولأنّ اليهود أنفسهم يتّهمون كل شخص غير يهودي باللاسامية إذا بحث في مزاعم المحرقة، فهذا دليل تام منهم علىٰ أنّ تلك الأسطورة هي ذات أصل توراتي ليس إلّا.

الأكذوبة الفلسفية

تماشت مع أعمال الحركة الصهيونية فلسفة يهودية قذرة إلىٰ أبعد الحدود. ستتعرف علىٰ أهم نقاطها ونكتشف بأنها لم تكن في الأصل فلسفة علىٰ الإطلاق، ولم يكن بمقدورها أن ترقىٰ لمكانة الفلسفة الإنسانية بل كانت محاولات سريعة اقتضت الضرورة أن تصاغ كفلسفة لتخدم الأغراض الصهيونية والأعمال والمشاريع المتتالية، وسنكتشف بعد تفنيدها بأنّ واضعيها وضعوا الهدف كمحور فكري وصاغوا حوله فلسفة مزعومة تؤكد علىٰ أحقيته وتسعىٰ لخدمته. ولهذا السبب لم نلاحظ انتشاراً لهذه الفلسفة ، بل لم يعرها المفكّرون والفلاسفة أية أهمية تذكر، ولم يتنازلوا إلىٰ درجة مناقشتها. كما سنلاحظ تناقض بعض النظريات مع نفسها، فيقول غرينبيرغ في نظرية واحدة بأن الإيمان موجود في النفس والإلحاد موجود ومرافق له في نفس هذه النفس اليهودية، وبناء علىٰ رؤيته الفاسقة والمتناقضة يقترح بأن يوافق اليهودي علىٰ هذا التناقض وأن يعيش لحظات إيمان حين يحلو له الإيمان ولحظات إلحاد حين يحلو له الإلحاد.!!. وهو بذلك يسعىٰ لتوليد الإلحاد في نفوس المجتمعات العالمية. وتضاف الأكاذيب الفلسفية هذه إلىٰ قائمة الأكاذيب اليهودية التي لا يمكن إحصاؤها، وتثبت لنا مرة أخرىٰ بأن الكذب عقيدة يهودية وممارسة دينية دائمة.

وتقوم هذه الفلسفة بتعميم كل الأحداث والعقائد الفلسفية علىٰ البشر كافة.فعندما يقول أحدهم بموت الفكر الديني يزعم بموت شامل للفكر الديني عند الإنسانية، وعندما يزعم بموت الإله تصبح المسيحية أيضاً بدون إله. ولا نسمح لأنفسنا أن نستنتج أكثر من هذا، وهو لم ينس أن يموّت الفكر العلماني الذي ترىٰ الصهيونية بأن بقاءه يهدد استمرارها، وأنه لابد من تسخير العقيدة المسيحية لخدمتها.وليتم ذلك باستمرار توجب إبقاء المسيحية وحمايتها من العلمانية، وتحويلها إلىٰ مسيحية دينية صهيونية، ومن هنا نشأت المسيحية الصهيونية والتي يبلغ عدد أتباعها في الولايات المتحدة وحدها حوالي أربعين مليوناً.

وهذه الفلسفة تعيدنا إلىٰ عصر الانتداب والهيمنة الاستعمارية الغربية علىٰ الدول الإسلامية، إذ قامت تلك الجيوش المحتلة بأعمال كثيرة تهدف إلىٰ تشويه الإسلام وتوليد عقائد جديدة فاسقة أحياناً، والعمل بالتبشير المسيحي وإرسال المبشرين بكثرة من ناحية أخرىٰ. بل ومحاولة تشويه الإسلام بعقائد يهودية وهذا ما حصل عند ابتداع البهائية والبابية وغيرها، كما وتثبت الوقائع التاريخية بأن من ضمن المبشرين في المغرب كان يوجد يهود . وقد استفادت الصهيونية من تلك التجارب القديمة وأجرمت هذه المرة بحق المسيحية نفسها. وبالتعرف علىٰ مستوىٰ التمادي والإلحاد والاعتداء علىٰ الديانتين والعقيدتين الإسلامية والمسيحية بحجة تقديس الإبادة يصبح من أهم واجبات المؤمنين أن ينكروا الإبادة، ويتضح بجلاء تحريم الاعتقاد بحدوثها.

عقائد ما بعد الإبادة

لّما ابتدأ اليهود في صياغة أساطير الإبادة علىٰ أسس دينية يهودية أدىٰ ذلك إلىٰ تشويه العقيدة اليهودية مرة أخرىٰ رغم أعمال التشويه والتحوير العديدة التي طرأت عليها مرات عديدة عبر العصور. وهذه التشوهات الجديدة تمثّل أخطاراً كبيرة تهدد الديانة اليهودية وستؤدي في نهاية المطاف إلىٰ تساقط اليهود وانفلاتهم من الدائرة التي تجمعهم، وانحلال اليهودية كلها. وتأخذ هذه التشوهات ظاهرياً صفة الأبحاث والفلسفة اليهودية لديانة ما بعد آوشفيتز. وتشكك هذه الأبحاث بوجود الرب وقدراته وإمكانياته ودوره في تلك المحارق. وإنّ ما حصل مع اليهود كان نتيجة حتمية لما فعلوه حين ربطوا حادثة الإبادة بالرب وبالميعاد اليهودي وبنصوص التوراة، فكانت أكذوبة مبنية علىٰ عقائد يهودية وكان لابد من أن ينتج عن ذلك الفعل الخطير نتائج عكسية علىٰ الديانة والعقيدة نفسها.

وإن اعترافهم بأنهم صنعوا أكذوبة وبأنهم خدعوا أنفسهم وخدعوا يهودهم وأنهم حسب اعتقادهم تعمدوا أن يخدعوا ربهم. إن اعترافهم بذلك قد يعيدهم إلىٰ يهوديتهم وإلىٰ عقيدة ما قبل المحرقة. وقد ينقذ بعض العقول اليهودية.

فديانة ما بعد المحرقة قلبت اليهودية كلها ، وأضافت على العقيدة صلوات جديدة ورؤىٰ لاهوتية كثيرة ولا حصر لها. كما أن الصلاة اليهودية قد نالتها تغييرات لا حصر لها، وهو أمر لا يزال يحدث حتىٰ الآن، فبعد أن أُضيفت إليها قصائد البيوط يستمر يهود وحاخامات في إضافة نصوص صلواتية جديدة تعتمد علىٰ عقيدة الإبادة. كما يتم تغيير النصوص والأدعية وكتب الصلوات من آونة إلىٰ أخرىٰ.

وتظهر الخاصية الجيولوجية التراكمية كذلك في المحاولة الحديثة لإعادة صياغة العقيدة اليهودية بالشكل الذي يتفق مع ملابسات ما بعد آوشفيتز (أي ما بعد الإبادة) إذ يقول بعض المفكرين الدينيين اليهود:

«إن الإله قد تخلىٰ عن اليهود في محنتهم، ولذلك لابد أن تُعاد صياغة كل شيء وضمن ذلك محاولة التوصل إلىٰ يهودية بدون إله» بل ذهب بعضهم إلىٰ المناداة بأن **«الإله ليس سوىٰ قوة شريرة»**

وتظهر الخاصية الجيولوجية التراكمية بكل حدة في تعريف الشريعة اليهودية لليهودي بأنه من يؤمن بالشريعة ومن وُلد لأم يهودية. وهو تعريف يجمع بين فكرة الإيمان بالإله الواحد الذي يستند إلىٰ الاختيار، الذي ينتج عنه سلوك أخلاقي محدد، وبين الفكرة الوثنية القائلة بأن الانتماء هو انتماء عرْقي للشعب كما هي عادة شعوب الشرق الأدنىٰ القديم وغيرها من الشعوب القديمة.

الزمان والمكان المقدَّسان

أ) الأرض المقدَّسة (المكان أو الوطن المقدَّس): تمتد القداسة لتشمل، بطبيعة الحال، الأرض التي يعيش عليها هذا الشعب المقدَّس، ويشار إليها باسم «صهيون»، و«إرتس يسرائيل». وإذا كان الشعب المقدَّس مختاراً، فالأرض المقدَّسة هي أرض الميعاد التي سيتحقق فيها الوعد الإلهي لهذا الشعب المختار حين يأتي الماشيَّح ويقود شعبه إليها.

ب) **الزمان المقدَّس** (التاريخ المقدَّس): وإذا كان الشعب مقدَّساً ومكانه مقدَّساً فزمانه لا يقل قداسةً. وهذا التاريخ يصبح ذا معنىٰ وشكل محدَّدين من خلال حلول الإله، فتاريخ جماعة إسرائيل يبدأ بالخروج من مصر بمساعدة الإله ثم دخولها إلىٰ كنعان. وهذه الحركة لا تتم إلَّا من خلال التدخل الإلهي المباشر والمستمر، تماماً كما ستنتهي بالعودة من المنفىٰ إلىٰ فلسطين تحت قيادة الماشيَّح الذي سيرسله الإله في آخر الأيام.

عقيدة الحلول الإلهي في الأرض والشعب

وترىٰ العقيدة اليهودية أن علاقة الشعب بالأرض علاقة عضوية لأن الإله يحل في كليهما، وما تاريخ الشعب إلَّا تعبير عن هذه العلاقة العضوية الحلولية.

ويتركز الحلول الإلهي عادةً في إطار الثنائية الصلبة والتي تحوي الشعب والأرض. فإن حلول الرب في شعب بعينه يجعل هذا الشعب مركز الكون، وعندما يتركز الحلول في الأرض ثم في الدولة الصهيونية فيما بعد تصبح الأرض نفسها مقدسة وتصبح الدولة التي تمثل الأرض والشعب مقدسة أيضاً.

ولكل هذا، نجد أن المسافة بين الإله والإنسان تختفي تماماً عند اليهود ويحل محلها الحوار (الديالوج) الدائر بين الإله والشعب. ويصبح الإله المقدَّس لا يختلف كثيراً عن الشعب المقدَّس، فهو يوحي إلىٰ الشعب بما يريد أن يسمع. وهو قد اختارهم لأنهم اختاروه كما جاء في التلمود، وكما يقول بن غوريون. وعندما يتصف الشعب بقدسية تعادل قدسية الإله فإن هذا الشعب يشكّل خطراً علىٰ نفسه وعلىٰ غيره، لأنه يعتقد بأن أعماله وتصرفاته ومواقفه تحمل طابعاً مقدساً بمستوىٰ قدسية الإله. ومن هنا يمكننا تفسير كافة التصرفات الإسرائيلية. في مواقفها العدائية للآخر وفي تركيزها علىٰ منع مناقشة عقيدة الإبادة.

وتمثّل سيناء بالنسبة للصهيونية حرب الرب علىٰ غير اليهود، وتعيدهم معركة

سيناء 1967 إلىٰ تاريخ الخروج . يقول مارتين بوبر: **حينما ذهب الشعب المقدَّس إلىٰ سيناء، فإنه كان يحمل روح الشريعة المقدَّسة التي تلقاها من الإله** أي أن روح الشعب والقداسة هما شيء واحد. والقداسة نفسها تسري علىٰ مؤسسات اليهود الدنيوية القومية كافة أو تحل فيها.ويذهب الصهاينة إلىٰ أبعد من ذلك فيعتبرون أن نسل الملك داود مقدَّس. إذ أن الماشيَّح سيكون من بينهم. واللاويون مقدَّسون منفصلون عن بقية الشعب لأنهم من سبط الكهنة. ويوم السبت مقدَّس لأنه اليوم الذي استراح فيه الإله بعد خلق العالم في ستة أيام، وهو أيضاً اليوم الذي خرج فيه اليهود من مصر، ولذلك فهو منفصل عن بقية أيام العمل العادية. واللغة العبرية هي اللسان المقدَّس رغم أنها لم تكن أصلاً لغة اليهود.

ويصل حد خلع القداسة علىٰ كل شيء قومي إلىٰ درجة أن التلمود وهو (تفسير العلماء اليهود للعهد القديم) يصبح أكثر قداسة من العهد القديم نفسه. وأن الحوار بين الإله والشعب يصل إلىٰ درجة أن قداسة الإله تصبح من قداسة الشعب، وليس العكس. فقد جاء في أحد كتب المدراش: «**حينما تنفّذ إسرائيل إرادة الإله، فإنها تضيف قوة إلىٰ إرادة الإله نفسه، وحينما تعصي إسرائيل إرادة الإله فكأنها تضعف القوة العظمىٰ للإله في الأعالي**». وهذا ما يعني بأن الشعب يصنع الإله ويصنع قداسته، وأنّ قداسة الإله كلها تتأتىٰ من أعمال شعبه الصهيوني.

ويفسِّر أحد كتب المدراش فقرة من إصحاح أشعياء (43/ 12)

« **وأنتم شهودي ـ يقول الرب، وأنا الإله...**»

وهذه الآية يجري تفسيرها كما يلي: **حينما تكونون شهودي أكون أنا الإله، وحينما لا تكونون شهودي فأنا كأنني لست الإله .**

وهنا يجعل اليهود من وجودهم مبرراً ودعامة لوجود الإله نفسه.فكأن ألوهية الإله، بل وجوده، لا يتجاوز الإرادة والوجود اليهوديين.وهنا تصبح كافة أعمالهم القذرة بما فيها الإبادة واجباً مقدّساً يهدف لاستمرار وجود الإله، ويصبح التخلّي عن

الإبادة هو تخل عن الإله نفسه.

وفي تراث القبالاه، وصل الإيمان بقداسة الشعب إلىٰ أشكال في غاية **التطرف إذ ذهب بعض القباليين إلىٰ أن اليهود قد خُلقوا من طينة مقدَّسة** مختلفة عن الطينة التي خُلق منها الأغيار. وبالتالي، تكون أفعال اليهود كلها مقدَّسة لأنها تساهم في عملية إصلاح الخلل الكوني التي يستعيد الإله من خلالها ذاته وكذلك الشرارات الإلهية المشتتة.

ومن جملة عقائد الحلول الإلهي عند اليهود اعتقادهم بأنه يحلّ في النار نفسها وفي السحاب. وكثيرة آيات التوراة التي تدلّ علىٰ هذا التشبيه، ولأنه يحلّ في النار والسحاب فهو شتات وذرات وشرارات مبعثرة. ومن خلال مفهوم **الشرارات الإلهية** المبعثرة، توصَّل الشبتانيون إلىٰ أن القداسة توجد في الخير وجودها في الشر إذ أن الشرارات الإلهية قد علقت بكل شيء، ومن ثم فإن القداسة شملت كل شيء وأصبحت المبدأ الواحد الذي يسري في الكون ويتخلل ثناياه وبرزت فكرة الخطيئة المقدَّسة أساساً في الحركة الفرانكية التي تذهب إلىٰ وجوب الانغماس في الرذيلة حتىٰ يمكن الصعود إلىٰ القداسة. وقد تبدَّىٰ هذا في مفهوم **الخلاص بالجسد**.

وقد ورثت الصهيونية هذا المفهوم الحلولي للقداسة التي تتركز في الشعب المقدَّس والأرض المقدَّسة وفي زمانه أو تاريخه أو روحه المقدَّسة، ولكن الصهاينة قاموا بعلمنة هذا المفهوم الحلولي . وقالوا بأنه الخالق وهو روح الشعب.

والقداسة تحل أيضاً في مختلف الممتلكات القومية التي يملكها الشعب. ولذا، نجد أن (الحاخام تسفي كوك) يقول:

« **إن الجيش الإسرائيلي هو القداسة بعينها.** »

«ومن قبله قال بن جوريون: « **إن الجيش هو خير مفسر للتوراة.** »

ومن هذا المنظور يمكننا أن نفهم تصرفات الحكومة الصهيونية بما يخص جنودها الأسرىٰ، فقد خاضت حرباً مدمّرة وخسرت وانهزمت فيها بعدما أسر حزب الله

اللبناني اثنين من جنودها، كما وقامت بتعبئة حكومات العالم كله وفرضت عقوبات علىٰ الفلسطينيين وغزت قواتها الأراضي الفلسطينية عشرات المرات تحت شعار البحث عن الجندي الصهيوني الأسير، وبهذه الأعمال تبوح إسرائيل بتقديس الجندي الصهيوني الذي يدافع عن إسرائيل المقدسة.

ومن هذا المنظور الحلولي، يمكن أن نفهم مُصطلَحات صهيونية مثل «الحدود التاريخية» و«إسرائيل الكبرىٰ». فتصبح الحدود التاريخية هي الحدود المقدَّسة وتصبح إسرائيل الكبرىٰ هي الأرض المقدَّسة.

عقيدة موت الرب عند اليهود

انتشرت عند اليهود عبارة لاهوت موت الإله،وهي تعتمد علىٰ عقيدة فكرية طرحها نيتشه في منتصف الستينات من القرن الماضي.

وكلمة «لاهوت» تشير إلىٰ التأمل المنهجي في العقائد الدينية. وعبارة «موت الإله» في حد ذاتها مأخوذة من فيلسوف العدمية والعلمانية الأكبر فردريك نيتشه. ويحاول لاهوت موت الإله تأسيس عقيدة تَصدُر عن افتراض أن الإله لا وجود له وأن موته هو إدراك غيابه.

وهذه المفاهيم لا وجود لها عند المسلمين الموحدين لله وعند المسيحيين المؤمنين بوجود الإله (الأب حسب عقيدتهم).

ولكن اليهود المؤمنين بالحلولية ، فالحلول الإلهي عندهم يأخذ درجات منتهاها وحدة الوجود حيث يتجسد (يحل) الإله تماماً في الطبيعة وفي أحداث التاريخ ويتوحد مع الإنسان ومع المخلوقات ويصبح كامناً فيهما . واعتماداً علىٰ أسطورة الإبادة فقد فني اليهود الذين يحل فيهم الرب وبالتالي فإنه يفنىٰ معهم في الأفران والمحارق المزعومة.وإن فناء الطبيعة جزئياً بسبب الحروب والكوارث والدمار في الحرب العالمية والحروب التي تلتها،يعني فناء الرب الذي يحل فيها. وقد ظهرت هذه العقائد عند

اليهود في الستينات من القرن الماضي واستطاع اليهود نشرها في المجتمع الغربي المسيحي وبالتالي تمّ تسميم عقل المسيحيين بها.

وينطلق لاهوت موت الإله عند اليهود من فكرة قداسة التاريخ اليهودي النابعة من قداسة الشعب اليهودي ومن مركزيته الكونية، وهي قداسة تشمل ما يقوم به هذا الشعب من أفعال، وما يقع له من أحداث. ومن الأحداث التي وقعت له في الماضي وهي العبودية في مصر والخروج منها، والسبي البابلي والعودة منه، ثم سقوط الهيكل والشتات. وحسب التفسير اليهودي فإن أهم واقعة تعرّض لها اليهود علىٰ الإطلاق طوال تاريخ اليهودية، هو الإبادة النازية ليهود أوربا. ويُنظر إلىٰ الإبادة باعتبارها حادثة تاريخية تجسد الشر المطلق، وإنها رهيبة لدرجة أنها تنفي وجود الخير والذي هو العقل واليقين والأمل، وبالتالي فهي تنفي وجود الإله. وحتىٰ إن كان الإله موجوداً فيجب ألا نثق فيه وألا نعتقد بوجوده، لأنه تخلَّىٰ عن الشعب اليهودي.وتركه يحرق في المحارق. ولأنّ الرب لم يقدر علىٰ إنقاذ شعبه فإنه اختار موته بنفسه فمات مع شعبه وأحرق معهم وأبيد معهم أي أنه أبيد في إبادتهم لأنه الرب الذي يحلّ بيهوده.

لحظة الإبادة ولحظة العدمية:

وفق هذا المنطق الفلسفي تصبح الإبادة حادثة تكاد تكون حدثاً يقف خارج التاريخ، لأنّ التاريخ يقف عندها وينتهي التاريخ في لحظتها ويبدأ في تلك اللحظة نفسها تاريخ جديد.فهي لحظة العدم وهي العدم التام. وهي مدلول متجاوز لا يمكن أن يدل عليه دال؛ وبهذا المنطق تصبح الإبادة مرجعية ذاتها ولا يمكن فهمها إلّا بالعودة إليها خارج أي سياق. فالإبادة هي حدث خارج عن الزمن، وخارج عن المكان.ويمكن القول بأن كلمة «هولوكوست» أصبحت دالاً ومدلولاً في آن واحد.

دائرية الفكر الحلولي ودائرية التاريخ اليهودي:

وحسب التفسير التاريخي الدائري لما تعرّض له اليهود، فقد كان الخروج من

مصر بعد العبودية ، وكانت العودة بعد السبي في بابل، جاءت وقفة الشعب اليهـودي ومقاومته لما يتهدد بقاءه في أعقاب حادثة سقوط الهيكل والـشتات ثـم يعيـد التـاريخ نفسه مرة أخرىٰ، وتعود الأحداث لتتكرر من جديـد. فمـن الـشتات الطويـل كانـت الإبادة في ألمانيا (حـسب الفلـسفة اليهوديـة) وبقـي الـشعب ، وعـاد مـن جديـد إلىٰ إسرائيل. وبعودة دوران التاريخ بعد لحظة العدمية الزمنيـة والتـي هـي لحظـة الإبـادة يختفي الإله، ويتداخل كل مـا هـو يهـودي في هـذه الـدائرة التاريخيـة، يتـداخل الإلـه والإنسان اليهودي والقومية اليهودية والعقيدة وإسرائيل وكـل مقـدس في إسرائيـل. وتقديس إسرائيل هي النتيجة المرجوة من تلك الفلـسفة الدينيـة الجديـدة، إذ لم يكـن بإمكان صـانعيها أن يحـافظوا عـلىٰ وجـود الإلـه في العقيـدة اليهوديـة الجديـدة، لأن الاعتقاد بوجوده سيمنعهم من تمجيد إسرائيل وتقديس كافـة رموزهـا، ولأن الإيـمان بوجوده قد يقف ذات يوم بوجه الـصهيونية المنافقـة.وهـذا مـا حـدث فعـلاً بظهـور حاخامات يهود معادين لكافة الفلسفات والأعمال الصهيونية القذرة.

الفلسفة القبالية تستعيد الإله:

وترىٰ الفلسفة القبالية اليهودية باحتمال اسـتعادة الإلـه واسـتعادة حلولـه بـشعبه الذي نجا من الإبادة لكن بشرط وحيد وهو الذي يتلخّص بالدفاع عن إسرائيل. هذه الوثنية الحلولية الجديدة هي وثنية بدون إله، إذ تحل الذات القومية محل الإله تماماً، أي أن الشعب اليهودي استوعب في ذاته كل المطلقيـة والقداسـة الممكنـة وأصـبح مركـز الكون والكلمة المقدَّسة وأصبح (اللوجوس) ، وفي التراث القبالي تُعَدُّ مقاومة الشعب اليهودي للإبادة بمنزلة تنفيذ الأوامر والنواهي ؛ فهذه المقاومة هي التي تقـوم بعمليـة إصلاح الخلل الكوني وبعملية الحفاظ علىٰ الكون نفسه واستمراره.وهي عملية يقـوم الإله من خلالها باستعادة وحدته التي فقدها أثنـاء عمليـة الإبـادة والفقـدان الإلهـي. وكلما قـاوم اليهـودي الإبـادة . وكلّـما حـافظ عـلىٰ إسرائيـل المقدسـة، زادت عمليـة الإصلاح تسارعاً واقتربت استعادة الإله لوحدته. ولحلوله في شعبه وأرضه.

وتؤدينا هذه الفلسفة إلىٰ استنتاج معانيها وهي أن الشعب اليهودي سيبقىٰ خارج التاريخ ككيان ولا يخضع لقوانينه العبثية، طوال الفترة الزمنية التي تنتظر عودة حلول الإله فيه. وتؤكّد الأحداث اليومية تلك الرؤية الصهيونية. فإن كافة أعمال الصهاينة لا تتفق مع كافة المعايير الكونية ذلك لأن اليهودية هي خارج التاريخ، ولأنها لا تخضع لقوانينه ولا للقوانين الزمنية والحضارية كلها. وعندما يقوم حكّام بعض دول الغرب بالتغاضي الدائم عن انتهاكات إسرائيل لكافة الأعراف الدولية فإنهم يتصرفون وفق تلك الرؤية الفلسفية الضيقة التي تمت صياغتها لتكون ورقة دفاعية عن جريمة اغتصاب وطن فلسطين.

ويرىٰ اليهودي آرثر كوهين أن الشعب اليهودي هو بمنزلة الجسر الذي يصل بين الإله والتاريخ ، وهذه أيضاً فكرة حلولية كمونية متطرفة وترىٰ بأن الشعب هو الإله وأن هذا الإله لا يتجاوز تاريخ هذا الشعب وإنما يتجلىٰ ويحل ويذوب فيه تماماً ويختفي. وبناء علىٰ التفسير الحلولي للإله فإن اليهود الذين ابتدعوا أكذوبة الإبادة كانوا يرجون حدوث الإبادة حقيقة ومن خلالها إحراق الرب اليهودي وإبادته وإنهاء دوره ككائن يحلّ في الشعب والتاريخ اليهودي.

وإذا كانت الجريمة الكبرىٰ هي الفناء، فالفضيلة الكبرىٰ هي المقاومة والبقاء، وكل هذا يجسده ظهور دولة إسرائيل كدولة ذات سيادة تعبِّر عن إرادة الشعب اليهودي ورغبته في البقاء، وتثبت أن الشعب اليهودي يرفض أن يلعب دور الشعب الشاهد كما ترىٰ المسيحية، ولا أن يكون شعباً شهيداً كما تتصور اليهودية الحاخامية التي ترىٰ أن اليهود تم اختيارهم ليكونوا شعباً من الشهداء والقديسين والأنبياء والكهنة لا سيادة له، وهو دور الفرد العاجز الذي لا يشارك في السلطة، بل لا يحق له ذلك. وهو الدور الذي يرىٰ دعاة لاهوت موت الإله أنه أدَّىٰ باليهود إلىٰ الاستسلام للإرهاب النازي، وعبَّر عن نفسه في اشتراك القيادات اليهودية في المجالس اليهودية التي أسسها النازيون والتي قامت بتسليم اليهود إلىٰ قاتليهم حسب تفسيرات بعض

المصادر الصهيونية. وبهذا التفسير الفلسفي يبرر الصهاينة حقيقة تاريخية لم يستطيعوا إخفائها وهي حقيقة تحالفهم مع النظام النازي الهتلري. ذلك التحالف القوي الذي نبيّن فصوله في هذا البحث والذي يؤكّد بعدم وجود تهديد لليهود آنذاك، وبعدم حدوث إبادة مطلقاً.

لكن الدولة الصهيونية تقف علىٰ الطرف النقيض من رؤية أولئك الحاخامات المعتدلين، فهي تحل مشكلة العجز اليهودي الناجم عن انعدام السيادة وعدم المشاركة في السلطة، وتقيم دولة ذات سيادة ولها سلطة وجيش ومؤسسات عسكرية تدافع عن الإرادة اليهودية المستقلة، وتصبح إسرائيل (باعتبارها رمز بقاء الشعب) هي الكيان الذي يهزم الفكر الحاخامي المعتدل ويهزم الإبادة ويهزم العدم ويهزم هتلر.

إسرائيل هي الحضور الإلهي الضابط لهذا الكون:

ويقول الحاخام إليعازر بركوفتس: «**لاهوت موت الإله هو لاهوت البقاء ولاهوت ما بعد آوشفيتز. وإن إسرائيل هي الوسيلة الكبرىٰ لعملية الإصلاح الكوني**» وهنا يجري تعريف عقيدة ما بعد الإبادة، والتي تحمل ثلاثة أسماء ومقدسات، وجعل هذه المقدسات الثلاث تصبّ في تقديس إسرائيل نفسها. فتصبح إسرائيل قدس الأقداس والمطلق الأوحد، والمطلق الذي يتوجب الحفاظ عليه لضمان الحضور الإلهي في هذا الكون.

ويقول آرثر روبينشتاين: إن بقاء الشعب والدولة هو بقاء الإله، واستمرار الشعب والدولة هو استمرار الإله. ولذا، فإن من يقف ضد الدولة ولا يقبلها فهو كمن ينكر وجود الإله، ومن يقبلها بلا شرط فهو وحده المؤمن.

وعملاً بهذا المفهوم فقد قال الحاخام إيوجين بوروويتز أحد مفكري لاهوت موت الإله إبان حرب 1967: «**إن انتصار إسرائيل في هذه الحرب يعني انتصار الرب وبقاءه، وإن إسرائيل لم تكن وحدها المهددة بالخطر، بل كان هذا الخطر محدقاً بالإله**

نفسه. واعتمادا علىٰ تلك الفلسفة الإلحادية أصبحت القيمة الأخلاقية المطلقة هي بقاء الشعب اليهودي، وهذا البقاء هو نهاية في ذاته، والحفاظ علىٰ الدولة وبقاؤها وبأي ثمن هو أيضاً مطلق أخلاقي. والدفاع عن إسرائيل ليس دفاع اليهود عن أنفسهم بل هو دفاع عن الإله؟ ومن ثم نجد أن لاهوت موت الإله يؤدي إلىٰ نتائج فلسفة داروينية، هي في جوهرها لا أخلاقيات، إذ أنها لا تحاكم إسرائيل بأية مقاييس أخلاقية، وإنما تبرر كل أفعالها وتقبلها تماماً بل إن الشغل الشاغل للشعب اليهودي هو: تَذكُّر الإبادة وما حلَّ باليهود، ثم الالتزام ببقاء إسرائيل وحماية سيادتها وصون بقاء الشعب اليهودي، بأية طريقة ودون الالتزام بأية قيم وهذا ما يفسّر لنا أهم مشروعين تتبناهما وتعمل بهما الحكومة الصهيونية وهما:

- جعل إسرائيل كلها منظومة عسكرية كاملة تتسلح وتتأهب للحرب في أية لحظة من تاريخها وتعتدي علىٰ جيرانها وعلىٰ الدول العربية والإسلامية كلما استطاعت، بل واعتماداً علىٰ ذلك فقد بنت مفاعلاً نووياً منذ بداية قيامها.
- إبقاء أكذوبة المحرقة سارية في العالم كله ومنع المساس بها لأنها ترتبط بلبّ العقيدة الصهيونية وبكل مشاريعها.

الشعائر اليهودية الجديدة

وعندما تطورت العقيدة اليهودية وتغيرت مفاهيمها وعندما فقد اليهود ربهم كان لابدّ من أن تكتسب الشعائر اليهودية أبعاداً جديدة تماماً. فإن كان تَذكُّر الذات (اليهودية) واجباً أخلاقياً، فإن كتابات اليهود من أمثال إيلي فيزيل عن الإبادة تصبح هي الكتب المقدَّسة، ويُعتبَر متحف مثل متحف بيت هاتيفوتسوت (متحف الدياسبورا في إسرائيل) وعاءً مقدساً للذاكرة اليهودية وتصبح زيارته شعيرة دينية مقدَّسة، أما الأوامر والنواهي والمحرمات والمنكرات فتصبح كلها مرتبطة بالدولة والمؤسسات الصهيونية والإسرائيلية مثل الكنيست وجيش إسرائيل ووزارة دفاعه،

والحكومة الصهيونية والرئاسة الصهيونية. ومن هنا نستطيع تفسير تقديس اليهود لرئيس إسرائيل. فعندما انطلقت فضيحة اعتدائه الجنسي علىٰ إحدىٰ العاملات، أخذت تلك الفضيحة أبعاداً دينية لا أخلاقية. فأخلاق الصهاينة تبرر مثل ذلك الاعتداء (وهم الذين عقدوا مؤتمر المثلي جنسياً في إسرائيل، وأباحوا الزواج المثلي) لكنّ القداسة الإلهية للرئيس الإسرائيلي هي التي أشعلت استنكار الفضيحة. وقد نجح اليهود، في حوارهم مع المسيحيين الغربيين، في أن يجعلوا من الإيمان بالدولة الصهيونية أحد المطلقات التي لا يجوز في شأنها حوار، كما لا يمكن مناقشة أفعالها. وهذا ما يفسر لنا سرّ علاقة إسرائيل بالغرب فهي بالأصل علاقة دينية يهودية مسيحية، نتجت عن مقدرة اليهودية علىٰ التغلغل إلىٰ داخل اللاهوت المسيحي وتلقينه النقاط الحمراء اليهودية التي لا يمكن تخطيها، وأهمها تحصين مبدأ الإبادة وأحقّية الدفاع عن إسرائيل. وهو ما يفسّر أيضاً تغاضي الغرب الدائم عن ارتكاب إسرائيل لكافة المحرّمات الدولية.

الإبادة اليهودية هي الصلب المسيحي

ومن ضمن التناقضات اليهودية الجديدة ذلك التأثر بمفاهيم مسيحية وقيامهم بتعديل تلك المفاهيم وتشويهها . فأصبح إدراك يهود أوربا للإبادة النازية إدراكاً داخلياً متأثراً بحادثة الصلب المسيحية بل إنه تشويه له وتسميم للعقيدة المسيحية.

فالمسيح هو اللوجوس ابن الإله الذي ينزل فيُصلَب ثم يقوم ويعود إلىٰ أبيه وهذا هو الحلول المؤقت الشخصي المنتهي عند المسيحية .

أما اليهودية فتعتقد أنّ الشعب هو اللوجوس الذي يعيش بين الأمم ويتعرض للشتات والعذاب ..أي أنه المسيح نفسه .

وإن تعرّض اليهود للإبادة يعني تعرّض المسيح للصلب فيصبح اليهود كالمسيح نفسه.

وإن قيامة اليهود بعد الإبادة والبدء في بناء دولة إسرائيل يماثل قيامة المسيح بعد الصلب.

واستطاع اليهود غرز هذا المفهوم عند المسيحيين لأن الاعتقاد المسيحي لا يمكنه أن يرفض فكرة صلب المسيح ولا أن يرفض حادثة الصلب بل توجّب عليه أن يقبلها كما هي في الوجدان المسيحي، وعلىٰ هذا تم تقبّل إبادة اليهود والاعتقاد بأنها كالصلب المسيحي. وليتنبه المسيحيون العرب إلىٰ هذا التشويه الكبير للديانة المسيحية، وليحذروا تغلغل هذه العقيدة إلىٰ الكنيسة العربية.

وإن لاهوت موت الإله اليهودي يتطلب من اليهود والأغيار قبول حادثة الإبادة باعتبارها سراً من الأسرار الكونية والربانية. وكما أن المسيح يقوم بعد الصلب، فإن الشعب يبقىٰ بعد الإبادة ثم يقوم علىٰ هيئة الدولة الصهيونية . أي أن الحلول المسيحي الشخصي المنتهي يتحول عند اليهود إلىٰ حلول قومي دائم ومستمر.

وفي هذه الفلسفة اللا أخلاقية نكتشف مجموعة من النقاط:

- اليهود بحاجة كبيرة لأن يصدق الآخرون أسطورة الإبادة ويعتبرونهم الشعب الضحية. ومن هنا كانت إذاعة الأكذوبة عالمياً.
- استطاع اليهود التأثير علىٰ العقيدة المسيحية الأوروبية وتشويهها والتلاعب ببعض عقائدها، وبالتالي التنفذ داخل المجتمع المسيحي في كافة أوساطه. ونعتقد بأنهم حاولوا التأثير علىٰ العقل الديني الإسلامي وحشر عقيدة الإبادة ضمن المفاهيم الإسلامية لكنهم لم يستطيعوا. لأن الإسلام العظيم محصّن ضد تلك المحاولات والمسلمون محصنون بما فيه الكفاية. وإن حصانة المسيحية الشرقية من تلك السموم يتأتىٰ من حصانة شرقيتها وعلاقتها بالمسلمين أنفسهم. ومن هنا يتوجب علىٰ المسلمين والمسيحيين العرب أن يستنكروا تماماً مفهوم الإبادة. وأن يعطوه بعداً دينياً وعقيدياً كما هو الحال. ومما لا شك فيه أن الخطاب اليهودي لا علاقة له البتّة بأي دين، سواء أكان الإسلام أم المسيحية أم حتىٰ اليهودية الحاخامية وإن كثيراً من حاخامات اليهود يستنكرونه نهائياً ويعادون الصهيونية التي ابتدعته. وهو بالفعل يصدم أسماع كثير من

الحاخامات الذين قاموا بتكفير أصحابه.

ولكن التركيب الجيولوجي للعقيدة اليهودية ووجود أحداث تاريخية مشابهة للأحداث الأخيرة تجعل هذه الأفكار أمراً ممكناً. ففكرة الإصلاح في القبالاه اللوريانية تمنح اليهود مركزية كونية وتجعل وجود الإله أو وحدته مرهوناً بوجودهم والقبالاه كانت العمود الفقري لليهودية الحاخامية أو لتيار مهم داخلها.

إسرائيل الإله

إنّ لاهوت موت الإله يعتقد بوحدة الوجود المادية وهو اللحظة التي تتم فيها صهينة اللاهوت اليهودي تماماً. ويجري تأليه إسرائيل وفق هذه المراحل الكونية:

- يختفي الإله تماماً مع الإبادة ويموت وتموت معه شعائره وكتبه المقدَّسة ليحل محله إله جديد هو الدولة الصهيونية،
- تختفي الشعائر اليهودية القديمة وتظهر شعائر جديدة هي الدفاع عن الدولة.
- تختفي الكتب المقدسة القديمة وتصبح الكتب المقدَّسة الجديدة سجلات ذاكرة الإبادة
- لاهوت موت الإله هو وحده الذي يبيح للصهيونية ارتكاب المجازر وتستطيع من خلاله إقناع جنودها وإقناع المجتمع الغربي بحقها في قتل أطفال المسلمين وتدمير بلدانهم . ولعلّ هذا ما يفسّر صمت الغرب عن كافة الجرائم الصهيونية.

علمنة الديانة اليهودية

يحتوي لاهوت الإبادة في داخله علىٰ تناقضات كثيرة وأساسية، فهو يصر علىٰ أن يخلع المطلقية علىٰ اليهود ويبقيهم ضمن دائرة التاريخ العام.

ويخلع الصهاينة المطلقية علىٰ كافة مؤسساتهم وتاريخهم ومشاريعهم فلا يمكن النقاش في معنىٰ وصدقية الإبادة، ولا يمكن انتقاد الدولة الصهيونية أو الحوار بشأنها

أو في أحقيتها ، ولا يمكن مناقشة كافة أعمالها العدوانية، ولاهوت موت الإلـه تعبير عن العلمنة الشاملة الكاملة للنسق الديني اليهـودي، فهـو شـكل حـاد مـن أشـكال التعبير عن الذات القومية العنصرية التي تتحول إلىٰ مطلق يعبِّر عن نفسه مـن خـلال مطلق آخر: الدولة. وهي مطلقات مادية لها كل صفات الغيـب والميتافيزيـك دون أن تُحمِّل من يؤمن بها أية أعباء أخلاقية، بـل تعطيـه العديـد مـن المزايـا والـصلاحيات، وتصبح كافة أعماله مقدسة. ويصبح التزامه الوحيد تجاه العقيـدة هـو البقـاء، المتمثّـل ببقاء إسرائيل المقدسة وشعبها المقدس.

ولعل إدراكنا منطلقات لاهوت موت الإله بمطلقيته وتاريخيته، وكـذلك إدراكنـا لنتائجه المعرفية والأخلاقية، يفـسر لنـا أسرار الـصهيونية وسر علاقتهـا بـالغرب وسرّ الموقف الصهيوني والإسرائيلي تجاه العرب، فإذا كانت الذات القومية مطلقـة فـلا مجـال للحوار مع الآخر (وهو العرب) ولا حقوق له علىٰ الإطلاق لأنـه يقـع خـارج الـدائرة المقدَّسة. ويمكننا أن نقول إن لاهوت مـوت الإلـه هـو النـسق الكـامن وراء الخطـاب السياسي الإسرائيلي، وهو الذي يفسر لنا أيضاً أسباب ما يطلق عليه بالتعنت الصهيوني.

ومن أهم مفكري لاهوت موت الإله إرفـنج جـرينبرج وريتـشارد روبينـشتاين وإميل لودفيج فاكنهايم. وتدلّ نتائج هذا اللاهوت علىٰ سبب صياغته، فهو إنما صـيغ بدقّة فلسفية كبيرة ليكون مبرراً دائماً لجرائم الصهيونية. ويتضّح لنا هنا كيف تكاتفـت جهود الصهاينة في أقطاب العالم كله،لتبرر قيام دولة إسرائيل ولتحافظ عـلىٰ اسـتمرار وجودها.فبينما صهاينة يتحالفون مع هتلـر، كـان آخـرون يـصيغون فلـسفة وجـود . وآخرون يتحاورون مع الحلفاء، وآخـرون يـستوطنون في فلـسطين ويهجّـرون أهلهـا العرب، والحقيقة التي لا يمكننا أن ننكرها هـي أنّ كافـة اللاعبـين آنـذاك اسـتطاعوا القيام بأدوارهم بدقة كبيرة.. فقد أدرك أولئك بـأنّ دولـة زائفـة باطلـة لا يمكنهـا أن تستمر بدون فكر فلسفي وديني يرافق قيامها ويدعم وجودها باستمرار.

والحقيقة أنّ حرب حزب الله اللبناني التي انتصر فيها علىٰ إسرائيل كانت الخطوة

العالمية الأولىٰ التي تهدد بزوال تلك الفلسفات الباطلة وتلك المقدسات المزعومة. فمن نتائج تلك الحرب أن القوات الدولية والحكومة الفرنسية والرئيس الفرنسي استنكر اعتداءات إسرائيل بعد الاتفاق علىٰ وقف القتال، واستنكروا اختراق إسرائيل للمجال اللبناني واستنكروا زرعها ملايين الألغام . أي أنّ إسرائيل لم تعد محصّنة دينياً كما كانت من قبل وأن أعمالها لم تعد محصّنة . وهذه بداية لانتشار مبدأ أكثر تعمياً وهو أن إسرائيل كلها لم تعد مقدسة عند الغرب.

تحريم الاعتقاد بالمحرقة والإبادة

عند المسلمين والمسيحيين:

منذ اليوم الأول لإذاعة الأكذوبة قام الصهاينة وبمساعدة حكّام الغرب آنذاك، (وهم أنصاف اليهود) بفرض تقديس الإبادة عالمياً وجعل قداستها تفوق قداسة الإسلام والمسيحية، وبناء علىٰ ذلك فمن المسموح في دول الغرب كلها انتقاد المسيح وقداسته وقداسة الديانة المسيحية وكل ما يتعلق بها، ومن المسموح أيضاً انتقاد المقدسات الإسلامية كلها وانتقاد النبي الكريم، وبالوقت نفسه يحذّر تماماً من انتقاد قدسية الإبادة والهولوكوست المزعوم. وهذا الفرض الصهيوني المتطرف لقداسة الإبادة يجعل من الواجب والملزم للمسلمين أن يستنكروه وباستنكاره ينكرون قداسة الإبادة وينكرون عقيدة تقديسها، ويرسّخون قداسة الإسلام العظيم. ويتوجب علىٰ المسيحية المؤمنة أيضاً رفض قداسة الإبادة والهولوكوست وترسيخ قداسة ديانتها السمحاء.

ومن خلال التفسير اليهودي المستمر للإبادة والمحرقة نلاحظ ربط ذلك بعقيدة يهودية متمادية وأهم عناصرها:

الإلحاد والوثنية – الحلولية – علمنة اللاهوت الديني – العنصرية اليهودية – موت الرب – قدسية إسرائيل وقدسية الصهاينة ومواطني إسرائيل. والأعمال الصهيونية الإبادية.

كما أن المحرقة والإبادة ارتبطتا بظهور مدرسة فكرية يهودية إلحادية حلولية يعتبرها اليهود ديانة جديدة تكونت أسسها وعناصرها مع حادث الإبادة نفسه. ولم تكن أساطير الإبادة المزعومة إلّا كمبرر لإظهار اليهودية الجديدة.

ومما لاشك فيه بأن الاعتقاد بحدوث الإبادة يعني ضمناً الاعتقاد بالمبادئ الدينية المتعلقة بالإبادة كلها وتلك التحليلات التي تبعتها. ومن هنا فإنه يحرّم علىٰ المسلم والمسيحي تحريماً تاماً الاعتقاد بتلك المفاهيم الإلحادية التي هي نوع من الشرك والكفر والخروج عن الديانة السماوية.

ومن بين المبادئ الصهيونية التي اعتبرت كنتائج لحادثة الإبادة إعطاء إسرائيل قدسية إلهية وإعطاء الشعب اليهودي والإسرائيلي علىٰ الأخص قدسية إلهية وتلك القدسية تعني أحقية الوجود وأحقية قتل الآخرين وإبادتهم وحظر مناقشة الصهاينة في كل أعمالهم لأن قداستهم وقداسة أعمالهم هي من قداسة الرب ولذلك يمنع مواجهتهم. وهذا الاعتقاد نفسه هو سلاح صهيوني يهدف إلىٰ قتل العرب والمسلمين المدافعين عن قضية فلسطين، وعلىٰ ذلك فيكون الاعتقاد بالإبادة وتفسيراتها اعتقاداً بإبادة العرب والمسلمين. ومن هنا أيضاً يأتي تحريم الاعتقاد بإبادة اليهود. إذ لا يجوز للمسلم والمسيحي العربي أن يعتقد بفكرة تريد إلىٰ تدميره وهلاكه.

التفكير اليهودي وفق أسس مسيحية

ايتي هيلسوم مفكرة دينية هولندية يهودية. حصلت علىٰ الدكتوراه في القانون من جامعة أمستردام، وقد عَملت في أحد المجالس اليهودية التي أسسها النازيون لإدارة شؤون الجماعات اليهودية ولترحيل اليهود إلىٰ معسكرات الاعتقال. وقد نُقلت هيلسوم إلىٰ أحد المعسكرات حيث كان يتّم فرز اليهود لتقرير من سيُرحَّل إلىٰ معسكرات الاعتقال، ورفضت هيلسوم أن تتخلىٰ عن عملها حتىٰ حينما سنحت لها الفرصة. وقد رُحِّلت إلىٰ معسكر آوشفيتز حيث ماتت فيه عام 1943.

وقبل موتها كتبت عن تصوراتها الدينية اليهودية التي تأثرت بالعقيدة المسيحية بشكل واضح، ينطلق فكر هيلسوم من عقيدة الإبادة وعقيدة غياب الإله أو موته وعجزه، بل إنها تكتب وفق فلسفة صهيونية حديثة متسائلة: «**إذا كان الإله عاجزاً ولا يستطيع مساعدة شعبه اليهودي، فهل يستطيع هذا الشعب مساعدته؟**»

وتشير في يومياتها إلىٰ ضرورة أن يضحّي الإنسان بنفسه دون انتظار أية عدالة ودون أن يكنّ أي كره لقاتله، وسيكون بذلك كالمسيح المصلوب الذي قدم نفسه لأجل شعبه.

وقد وُصف فكرها الديني بأنه مسيحي متأثر لا بحادثة الخروج اليهودية وإنما بحادثة الصَلْب المسيحية.

وهي تستشهد في كتاباتها بآيات كثيرة من العهد الجديد. بل يبدو أن رؤيتها لآوشفيتز هي رؤية مسيحية محدثة، فالشعب اليهودي هو الذي يتم صلبه وكأنه حَمَل الإله الوديع ودمه النازف شهادة علىٰ وجود الإله أو دعوة للشعوب ألا تنغمس في العنف مرة أخرىٰ. ولذا، فإننا نجد أنها لا تهتم كثيراً بإشكالية عجز الشعب اليهودي بسبب عدم مشاركته في السلطة. وبقاء الشعب ليس المطلق أو حجر الزاوية المقدّسة بالنسبة إليها. لأنها لا تحرص علىٰ إنقاذ اليهود بل ترىٰ أن لا خلاص لهم وأن لا ضرورة لإنقاذهم لأنه لا مستقبل لهم بين الشعوب. (48) فالموضوع الأساسي في كتاباتها هو اليهود كشاهد وليس اليهود كشعب له سيادة. وقد ظهرت طبعة لأعمالها الكاملة بالهولندية عام 1986. وهي تثير قضية الهوية اليهودية، وتثير طرح تساؤلات عديدة: إذا كانت النقطة المرجعية لهيلسوم هي المسيحية، وإذا كان خطابها الديني مسيحياً، فبأي معنىٰ من المعاني يمكن الحديث عن يهوديتها ثم إنّ هيلسوم كانت أول من اتبع هذه الطريقة فاتبعها الصهاينة في الغوص في المسيحية لكن بطريقة تخريبية لأركان العقيدة المسيحية وبأسلوب يجعل المسيحية نفسها تابعة دينياً للعقيدة اليهودية وقد نجحت تلك المحاولات في الغرب. لكن لم تتأثّر المسيحية العربية كلها

بتلك الأفكار الهدّامة. والحقيقة أن كل الفلسفات اليهودية والعقائد الجديدة التي تم نسخها عن المسيحية كانت تشويهاً للأفكار المسيحية التي نقلت عنها وإساءة للمسيحية نفسها. لأنها لم تكن في الأساس فلسفة دينية لأجل الدين نفسه بل كانت تسخيراً للديانتين المسيحية واليهودية لخدمة المشروع الصهيوني الكبير.

لحظات للإيمان ولحظات للإلحاد عند غرينبيرغ

ربط أرفنغ غرينبرغ بين آوشفيتز والعقيدة اليهودية بطريقة أوصلته إلىٰ الإلحاد التام. وقام بتفسير التاريخ اليهودي علىٰ أساس آوشفيتز وتوصل إلىٰ نتائج تجعل اليهود أنفسهم يحلّون محل الرب. تلك الفلسفة التي تضخمت من بعده وأصبحت عقيدة يهودية جديدة.

وغرينبرغ حاخام أمريكي أرثوذكسي يهودي. وُلد في بروكلين، وعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة يشيفا.

وينطلق فكره من نقد جذري عميق لكل من الدين والحداثة اعتماداً علىٰ أسطورة الإبادة. وقد تجرأ في تحميل المسيحية مسؤولية الإبادة. إذ يكتب: «اليهودية والمسيحية مسؤولتان عن الإبادة لأنهما أدتا إلىٰ فناء اليهود: المسيحية بقيامها بتجريد اليهود من السلطة طوال تاريخ إقامتهم في أوروبا،وتحويلهم إلىٰ شعب شاهد وبتوليدها كُرهاً عميقاً تجاه اليهود لدىٰ المسيحيين، واليهودية الحاخامية بتقبلها العجز بسبب عدم المشاركة في السلطة واعتباره حالة نهائية لن تنتهي إلَّا بمقدم الماشيح. وبهذا التفسير يقوم باستعداء الحاخامات اليهود المعتدلين وباستبعاد نفوذهم داخل إسرائيل والحركة الصهيونية، وهذا الاستبعاد كان سياسياً وضرورة صهيونية قبل أن يصبح فلسفة.

ومن هنا تأتي الفلسفة لتقوم بدورها كمكمّل في اللعبة السياسية الكبيرة.كما ويعتبر تحميل المسيحية فلسفياً وتاريخياً دوراً كبيراً في الإبادة لإكمال تلك اللعبة الصهيونية».

وهو يعتمد علىٰ أسطورة الإبادة في رؤيته للعلم فيرىٰ أنّ الحل لا يكمن في الاتجاه

إلىٰ العلم، فالحضارة الحديثة التي نقلت الولاء من إله التاريخ والوحي إلىٰ إله العلم.

والإنسانية في نظره لم تؤد إلىٰ سعادة الإنسان وإنما إلىٰ الإبادة، والمجتمع الحديث بكل آلياته وإمكاناته هو الذي جعل الإبادة أمراً ممكناً. ويكتب غرينبيرغ:

«إن كلاً من المؤسسات الدينية والحديثة مرت علىٰ الإبادة مروراً عابراً وتقاعست عن واجب تحديها بالخروج عن الصمت»،

وهو يرىٰ أن الإيمان موجود وإن الإلحاد موجود ومرافق له ، ويعتقد أن الإيمان والإلحاد موجودان في وقت واحد عند النفس اليهودية، وبالتالي فلا خلاص من طرد أحدهما. وبهذا يرفض أن ينسب أية مطلقية للعقيدة الدينية أو للمجتمع العلماني. ويقترح الحل الوسطي لهذه المشكلة، فيقول:

«بدلاً من الحديث عن الإيمان والإلحاد، علينا أن نحافظ علىٰ كليهما ونتحدث عن لحظات من الإيمان ولحظات من الإلحاد، وعلينا أن نتقبل كلاً من لحظات الإيمان ولحظات الإلحاد، وبذا نتخلص من الثنائية التقليدية التي تضع الإيمان مقابل الإلحاد»،

وفي هذا تَقبُّل للتعددية المتناقضة حيث لا يوجد مركز دائم ولا يوجد مبدأ اعتقادي ينطلق منه الفرد. وإنما هناك مراكز متعددة متنقلة متغيرة تماماً.

جدلية القدس:

يعتبر غرينبيرغ أنّ حياة الشعب اليهودي بأسره جدل مستمر بين لحظات الإيمان ولحظات الإلحاد، وهو ما يسميه بجدلية القدس أو جدلية آوشفيتز. فالقدس ترمز إلىٰ لحظة الإيمان بالإله والشعب وتبعث علىٰ الأمل، أما آوشفيتز فترمز إلىٰ الاغتراب عن الإله والناس وتبعث علىٰ القنوط.

ويقدم غرينبرغ تاريخاً لليهودية هو تطبيق لنظرية اختفاء المركز. فتاريخ اليهودية عنده يعبّر عن ظاهرة اختفاء الإله تدريجياً. ولإثبات نظريته هذه، يُقسّم تاريخ

اليهودية إلىٰ ثلاث مراحل وهي:

- المرحلة الأولىٰ، **مرحلة العهد القديم**: وهي المرحلة التي بدأت بالحديث المباشر بين الإله وموسىٰ ثم حديث الإله للشعب من خلال الكهنة والأنبياء وكان الشعب في هذه المرحلة كل لا يتجزأ، وتأخذ الشعائر شكل العبادة القربانية التي كان يشرف عليها الكهنة في الهيكل. وكانت الخطايا في هذه المرحلة جماعية، كما أن التوبة والندم كانتا جماعيتين.
- المرحلة الثانية، **مرحلة تراجع الإله** وتعزز فيها دور التلمود واليهودية الحاخامية أو التلمودية: وهي المرحلة التي لا يتحدث فيها الإله مباشرة للشعب، وإنما يتم الحوار من خلال الحاخامات الذين يدرسون كتاب الإله من خلال التفسيرات التي وضعها المفسرون الأوائل، أي يدرسون التلمود. وتأخذ الشعائر هنا شكل التعبد في المعبد اليهودي تحت قيادة الحاخام، ويُلاحَظ في هذه المرحلة بداية التراجع النسبي للإله (قياساً إلىٰ المرحلة السابقة).
- المرحلة الثالثة: **مرحلة الإبادة** وآوشفيتز ودولة إسرائيل: وهي المرحلة التي يختفي فيها الإله تماماً وتصبح الدولة الصهيونية هي المطلق، إذ كان الإله في المعسكرات يقول للبشر: أوقفوا المذبحة ولكنها لم تتوقف، ولم يستجب أحد. ومع هذا جاءت الاستجابة في شكل دولة إسرائيل. فكأن الإله قد حلَّ تماماً في التاريخ و صعد مع الشعب إلىٰ إسرائيل، تماماً كما تقول النصوص التوراتية. ومن ثم فإن هذه المرحلة تتسم بغياب الإله وحضور إسرائيل واعتماداً علىٰ غرينبيرغ يكون قيام دولة إسرائيل حدثاً ربانياً محتوماً. ويرىٰ أن التحول الذي حَدَث هو تحوُّل من العجز بسبب عدم المشاركة في السلطة إلىٰ تأكيد السيادة والاستيلاء علىٰ السلطة، وهو أمر لا يتم بالنسبة للمستوطنين في إسرائيل وحدهم، وإنما يحدث لجميع يهود العالم الذين يشكلون أداة ضغط متمثلة في اللوبي الصهيوني والمؤسسات الصهيونية الأخرىٰ، فكأن حالة النفي تنتهي فعلياً ومادياً بالنسبة إلىٰ المستوطنين وتنتهي نفسياً

بالنسبة إلىٰ يهود العالم. وحسب فلسفته وهو اليهودي غير المقيم في إسرائيل فإن إقامة اليهود في أية بقعة من العالم يعتبر مماثلاً لإقامتهم فيها. وأنهم رغم تشتتهم وبعدهم عن إسرائيل فهم يقيمون إلىٰ جوار الرب.

كما أن بقاء الشعب اليهودي متمثلاً في الدولة الصهيونية في فلسطين والجماعات اليهودية في العالم، وتأكيد سيادة اليهود سواء في إسرائيل أو في خارجها، أمر مطلق لا يجوز الحوار بشأنه فمن يقف ضد تعبير إسرائيل عن سيادتها يكون مثل من ينكر واقعة الخروج من مصر، ومن ثم فإنه يكون كمن ارتكب خطيئة دينية قاطعة تؤدي إلىٰ الطرد من حظيرة الدين. ولا يمكن الحكم علىٰ إسرائيل بالمقاييس العادية، لأنها تحمل سمات ربانية حسب اعتقاده، فهو يعتبر بقاءها مطلق، وهو ما يعطيها الحق في أن تستخدم أحياناً أساليب غير أخلاقية لضمان البقاء. وعلىٰ سبيل المثال، يمكن الحديث عن حق العرب في تقرير المصير شريطة ألا يؤدي هذا إلىٰ تهديد وجود إسرائيل وبقائها.وتصبح الذات اليهودية وفق غرينبيرغ محوراً حلولياً وثنياً.

وبواسطة تلك الفلسفة يحرص علىٰ لمّ الشمل اليهودي وتضافر القوىٰ الصهيونية في العالم كله. إذ يطبّق كافة أحكامه علىٰ يهود العالم المتوزعين ويخصّ منهم الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة التي يجب أن تتحول هي الأخرىٰ حسب قوله إلىٰ جماعة عضوية متماسكة ذات إرادة مستقلة، تتطهر رؤيتها تماماً من كلٍّ من الليبرالية والعالمية، بحيث يركز اليهود لا علىٰ الأصدقاء الدائمين وإنما علىٰ المصالح الدائمة، ويصبحون ملمين تماماً بموازين القوىٰ وكيفية توظيفها لصالح اليهود وحدهم ولصالح الدولة الصهيونية أيضاً. وبدلاً من أن يضغط اليهود علىٰ أمريكا لخفض أسلحتها أو للانسحاب من مناطق مثل فيتنام مثلاً، انطلاقاً من قيم أخلاقية مطلقة، لابد أن يدرك اليهود أن قوة إسرائيل تستند إلىٰ قوة الولايات المتحدة.وأنّ من واجبهم التركيز علىٰ قوتها وهيمنتها بل وبطشها وإطلاق يدها في العالم كله.ويمكن تحليل ظاهرة الهيمنة الأمريكية ومحاولة فرض سلطتها علىٰ الاتحاد الأوروبي وعلىٰ إيران وسورية وكوريا

وروسيا وغيرها، علىٰ أنها استكمالاً لخطّة غـرينبيرغ، وبالنتيجـة تـصبح تلـك الفلـسفة أكذوبة أخرىٰ وخديعة فلسفية سخيفة تمت صياغتها لتبرير الأعمال الصهيونية المتتالية.

الكتب المقدسة عند غرينبيرغ

يعتبر غرينبيرغ أن التوراة كانت الكتاب المقدس للمرحلة الأولىٰ وأن التلمود هو كتاب المرحلة الثانية وأن كتابات ونصوص وأدبيات المحرقـة والإبـادة هـي الكتـاب المقدس في المرحلة الثالثة. فهـو يعتـبر أنهـا النـصوص التـي تُـذكِّر الـشعب اليهـودي بالإبادة وبضرورة البقاء، وعلىٰ هذا فانه يعتبر فلسفته المزعومة ونـصوص ومـذكرات وتحليلات أمثاله من اليهود نصوصاً يهودية مقدسة. تـرىٰ مـاذا يـصبح بحثنـا هـذا في نظره، وفي أي مكان يضعه في فلسفته؟.

المكان المقدس عند غرينبيرغ

وإذا كان الهيكل هو المؤسسة الأساسية في المرحلة الأولىٰ، والمعبد اليهودي مؤسسة المرحلة الثانية، فما هو المكان المقـدس في المرحلـة الزمنيـة الثالثـة؟ المؤسـسات الجديـدة المقدسة هي المؤسسات الصهيونية: الكنيست، وجيش الدفاع الإسرائيلي، والكيبـوتس، والجماعات الإسرائيلية، ومؤسسات الجباية اليهوديـة، والنـصب التـذكاري الإسرائـيلي (ياد فاشيم)، بل إن بيت (متحف الدياسبورا) في إسرائيل ليس مجرد متحـف وإنـما هـو تكرار طقوسي لقصة الدياسبورا وإعادة قصها في أسـلوب علـماني تعـددي في الظـاهر، ديني خفي في الباطن، فهو مخزون الذاكرة الدينية عند غرينبيرغ.. والظـاهرة المقدسـة في نتيجة فلسفته هي إسرائيل ويتوجب علىٰ اليهـود الاعتقـاد بقدسـيتها ودعمهـا سياسـياً ومالياً. وبتقديسه لإسرائيل وبدعوته لدعمها الدائم يكشف غرينبيرغ عن خديعته التـي حملت ظاهرياً صورة الفلسفة، وكانت في حقيقتها منهاجاً سياسياً صهيونياً.

الحاخام الجديد عند غرينبيرغ

لقد كان الكاهن اليهودي هو الذي يشرف علىٰ إقامة شعائر المرحلة الأولىٰ، والحاخام هو الذي يشرف في المرحلة الثانية، فلابد أن تكون النخبة الصهيونية القائدة (السياسية والعسكرية) هي المشرف علىٰ إقامة شعائر المرحلة الثالثة حسب ما يراه غرينبيرغ. وبالفعل، لاحَظ جرسون كوهين أن كثيراً من اليهود يعتقدون أن إسرائيل هي معبدهم اليهودي، وأن رئيس وزرائها هو الحاخام الأكبر أو الكاهن الأعظم، والملاحظ دوماً أن كل الفلسفات اليهودية الجديدة تعتبر إسرائيل هي محور العقيدة ومحور الوجود اليهودي وتعتبر الدفاع عن إسرائيل هو أحد أركان اليهودية الجديدة. وما ذلك إلّا دليل علىٰ أن تلك الفلسفات كلها إنما خرجت لتدعم دولة إسرائيل. فلمّا كان الصهاينة بحاجة لأن يبرهنوا علىٰ امتلاك حقوق ليست لهم توجب عليهم أن يقنعوا الغرب والمسيحية ويهود الغرب أيضاً ليصبحوا سندهم، في تلك اللحظة المستمرة توجب علىٰ اليهود ابتداع فكر يكون مقنعاً للآخر ويكون برهاناً، فكانت هذه النتاجات الفلسفية الهدامة. وبواسطتها تتمكن إسرائيل من إقناع يهود الغرب بأنهم يحملون في الوقت نفسه انتماءين يكون أحدهما الانتماء للدولة الصهيونية (المقدسة) وبذلك يؤدي اليهودي الغربي خدمات كبيرة لإسرائيل ومنها التجسس لصالحها ونقل الخبرات العلمية السرية التي يمتلكها أو يجمعها أو يسرقها، وبهذه الطريقة تُمكّن إسرائيل من سرقة أسرار الصناعة النووية وأسرار العديد من الصناعات العسكرية.

ريتشارد روبينشتاين فيلسوف العنصرية

يذهب روبينشتاين باليهودية بعيداً جداً ويجعل منها مذهباً علمانياً جديداً لا صلة له باليهودية كديانة سماوية علىٰ الإطلاق، بل إنّ ماقام به روبينشتاين وغيره من اليهود هو التخطيط لمستقبل اليهودية كفكر علماني خالص انطلاقاً من مصطلحات يهودية توراتية، وإن الإبقاء علىٰ تلك المصطلحات لم يأت لداعٍ فكري بل لدواعٍ عنصرية

باعتبار أن العهد القديم هو الوعاء الذي يمكنه أن يجمع بين يهود العالم وأن يكون الورقة والوثيقة الدامغة التي تبرهن للآخر علىٰ أن لهذا الشعب حقوقاً وأحقية كأي دين سماوي آخر. إضافة إلىٰ أنّ قيام إسرائيل ووجودها ظلّ مبنياً علىٰ أسس توراتية.

إسرائيل كيانان:

ونلاحظ تطابق فكر روبينشتاين وغرينبيرغ بما يخصّ تقديس دولة إسرائيل وتقديس أعمال اليهود التي تخدم إسرائيل، وهذا الالتقاء عند الرجلين يجعل من فكريهما عملين يخدمان مطلباً واحداً، كان وراء تلك الفلسفة المزعومة وهو خدمة المشاريع الصهيونية. ولأنّ الصهيونية أدركت آنذاك بأنها لم تستطع أن تعيد كافة اليهود الأمريكيين وغيرهم. فقد ابتدعت صيغة تقدس أعمالهم وتجعلهم خدماً لمشروعها رغم ابتعادهم عن إسرائيل. فكانت هذه الفلسفة تبرر قدسية أعمالهم التي تصبّ في صالح إسرائيل وتدفعهم للانتماء إلىٰ إسرائيل بل وتجعلهم مقيمين في إسرائيل نفسها وإلىٰ جوار الرب اليهودي رغم ابتعادهم المكاني عنها، وهذا التلفيق الفلسفي يجعل من إسرائيل كدولة اغتصبت أرض فلسطين يجعلها كيانين وهما الكيان الموجود في إسرائيل والكيان المقيم خارج إسرائيل، وكلاهما يعمل وفق منهاج ومنظومة صهيونية واحدة. وبذلك أمكن إسرائيل الاستفادة الدائمة من يهود الخارج.بل إن قدرتها علىٰ الاستمرارية تأتي باستمرار من جهود وقدرات أولئك. ولو أن اليهود الأمريكيين والأوروبيين أوقفوا دعمهم لها لأصبحت إسرائيل في حكم الزوال السريع،

الإبادة هي هدم الهيكل:

نشر روبينشتاين كتابه في عام 1975 بعنوان **مكر التاريخ**. وينظر فيه إلىٰ الإبادة باعتبارها مجرد برامج تدار بطريقة بيروقراطية ترشيدية تهدف إلىٰ التخلص من الفائض السكاني الناجم عن الانفجار السكاني في العالم، ويرىٰ روبينشتاين أن يهود العالم محكوم عليهم بالاختفاء شاؤوا أم أبوا.ويتماديٰ روبينشتاين كغيره في تحليل

الإبادة فيصل إلىٰ موت الرب وإلىٰ تقديس دولة إسرائيل، والحقيقة أن هذه العقلية تحكم اليوم دولة إسرائيل، فهم يقدسون إسرائيل وكل ما يتعلق بشؤونها. فيقدسون المواطنة والإقامة في إسرائيل ويقدسون الدفاع عنها كواجب ديني بل يعتقد الكثير من يهود العالم بأن رئيس دولة الكيان هو الحاخام الأكبر والأعظم لليهود. ويعتبر روبينشتاين أحد مفكري لاهوت موت الإله.

أصبح حاخاماً محافظاً عام 1952 في كلية اللاهوت اليهودية. وحصل روبينشتاين علىٰ الدكتوراه عام 1960 حيث كانت رسالته عن الوجدان الديني تحليلاً نفسياً يوضح فيها مخاوف حاخامات اليهود من إشكالية العجز اليهودي بسبب انعدام السلطة والسيادة بعد هدم الهيكل. وهدم الهيكل عنده هو حدث الإبادة.

التفسير الديني للإبادة عند روبينشتاين

صاغ روبينشتاين مساهمته في لاهوت موت الإله في كتابه المسمىٰ: **آوشفيتز** الذي صدر عام 1966 والذي يطرح فيه السؤال التالي:

إذا كان إله التاريخ موجوداً، فكيف يستطيع المرء إذن أن يفسر إبادة ستة ملايين من شعبه المختار؟

ويرفض روبينشتاين الفكرة التي يذهب إليها بعض اليهود الأرثوذكس القائلة بأن الشعب هو أداة الإله، ومن ثم فإن إبادته ذات مغزىٰ إلهي، كما أنها قد تكون عقاباً للشعب علىٰ انحرافه عن الشريعة والوصايا والنواهي ولتفسير واقعة الإبادة، يستخدم روبينشتاين نموذجين تفسيريين

الإله أوهم شعبه

يفسّر روبينشتاين الإبادة اعتماداً علىٰ النموذج الديني الحلولي فيرىٰ أن الإله أوهم الشعب اليهودي بأنه شعب مختار، وهو ما ساهم في استسلام اليهود للأحداث من

حولهم، وولّد في نفوسهم اليقين بأن الإله سيحفظهم وسط الدمار. بل إن العذاب والشتات، حسب هذا التصور، هي علامات الاختيار والتفضيل، الأمر الذي زاد سلبية اليهود فنسوا المقاومة. إذ كانت آخر مرة قاوم فيها اليهود هي فترة التمرد الحشموني. وقد هُزم اليهود وأصبح الفريسيون قادة اليهود رغم أنهم من دعاة الاستسلام، وأصبح العجز وعدم المشاركة في السلطة سمة أساسية لليهودية الحاخامية. لقد بدأت حالة وجود اليهود في المنفىٰ بالهزيمة العسكرية واستمرت لأن اليهود طوروا ثقافة الاستسلام والخضوع واستوعبوها وعاشوا داخل نطاقها، أي أن سر استمرارهم يكمن في خضوعهم وخنوعهم. وعبر هذا التاريخ الطويل ظهرت شخصية الوسيط، الذي يقوم بالتوسط لدىٰ الحاكم باسم اليهود ويقدم له الالتماسات ويطلب منه استخدام الشفقة مع اليهود ويعطيه الرشاوىٰ نيابة عن اليهود ويقوم بجمع الضرائب نيابة عنه واستمرت هذه التقاليد حتىٰ العصر الحديث في المجالس اليهودية في أوربا التي كانت تقوم بدور الوسيط بين الجماعات اليهودية والسلطات النازية إبان الحرب العالمية الثانية. وقد تعاونت هذه المجالس مع النازيين ونفّذت أوامرهم وتولت قيادة الجماعات اليهودية وساهمت أيضاً في إخلاء اليهود وترحيلهم إلىٰ معسكرات الاعتقال. وكل ما فعله النازيون هو استخدام القيادة الموجودة بالفعل. وكان خضوع اليهود لهم رد فعل آلي لأن اليهود اعتادوا علىٰ الخضوع.

الآلة والتكنولوجيا حيّدت الإله

يذهب روبينشتاين إلىٰ أن الإله خلق آدم ليحكم الطبيعة، ولكن التاريخ الإنساني الذي بدأ بآدم تزايد فيه الترشيد البيروقراطي، وهو اتجاه يصل إلىٰ ذروته مع انتصار التكنولوجيا النازية والآلة التدميرية العسكرية التي تنزع السحر عن الطبيعة، ومع هيمنة البيروقراطية النازية التي تحيِّد العواطف الإنسانية، أي أن الطبيعة والإنسان يصبحان مادة محضة وهو ما يعني موت الإله الذي يحرك الطبيعة.

ويصل روبينشتاين في نهاية المطاف إلىٰ موت الفكر الديني والفكر العلماني أيضاً.

أي أنه لا يحصّن شيئاً من الموت إكراماً للمحرقة بحدّ ذاتها. ونلاحظ كيف يقوم بتسخير فلسفته لترسيخ المحرقة والإبادة في عقول البشرية، إذ يقوم بتعميم كل الأحداث. فعندما يقول بموت الفكر الديني يزعم بموت شامل للفكر الديني عند الإنسانية، وعندما يزعم بموت الإله تصبح المسيحية أيضاً بدون إله. وهو لم ينس أن يموّت الفكر العلماني الذي ترىٰ الصهيونية بأن بقاءه يهدد استمرارها، وأنه لابد من تسخير العقيدة المسيحية لخدمتها.وليتم ذلك باستمرار توجب إبقاء المسيحية وحمايتها من العلمانية، وتحويلها إلىٰ مسيحية دينية صهيونية، ومن هنا نشأت المسيحية الصهيونية والذي يبلغ عدد أتباعها في الولايات المتحدة وحدها حوالي أربعين مليوناً.

الإله يأكل شعبه عند روبينشتاين

ويطرح روبينشتاين فكرة الإله باعتبار أنه العدم المقدَّس؛ وأنه الأم التي تأكل لحم أولادها والتي تلد البشر لتلتهمهم كما تفعل القطط. وهنا يعود بنا روبينشتاين إلىٰ العقيدة التوراتية وإلىٰ طقوس تقديم القرابين البشرية. ويربط بوضوح بين تلك القرابين وهذه الآخيرة التي أبيدت في آوشفيتز. ويكشف عن اعتقاد اليهود بأنهم قدموا قرابين بشرية في المحرقة ليلتهمها الرب حسب طقوسهم. ومن الملاحظ أنه رغم تفسيراته المغايرة لغيره من اليهود فإن روبينشتاين يحصر فكره ضمن دائرة تدعم أسطورة الإبادة وتقدسها وتدعم الكيان الصهيوني ومركزيته اليهودية.

ويقول روبينشتاين:

التاريخ الإنساني دورات متكررة، لا بَعْث فيه ولا آخرة، فالحياة تقع بين قوسي النسيان، وما الماشيَّح سوىٰ الموت، وذروة التاريخ الإنساني العبثي هي انتصار التكنولوجيا والبيروقراطية النازية.

ويعتبر في النتيجة أن اليهودية الجديدة ليست نسقاً دينياً، وإنما هي تركيبة فكرية (أسطورية) ذات فاعلية نفسية تُمكِّن اليهود من عملية المواجهة هذه. وهنا يظهر اعتراف

يهودي بأن عقيدتهم قد خرجت عن إطار الديانة السماوية وأصبحت مجرد عقائد دينية وضعية تعتمد علىٰ الفكر الفلسفي الذي ينتجه أتباعها. فأصبحت مذهباً فكرياً علمانياً جديداً كالنازية أو الماركسية أو الوجودية. وأنّ السبب الوحيد الذي يجعل هؤلاء الذين خططوا لليهودية الجديدة، يبقون علىٰ مصطلح الديانة لمدرستهم اليهودية الجديدة هذه هو ذلك السبب العنصري والجانب المتعلق بسياسة البقاء والدفاع عن الكيان الصهيوني.

وتشكل اليهودية الجديدة عودة للطبيعة وللإيقاعات الكونية للوجود الطبيعي. ولذا يدعو روبينشتاين كل يهودي للعودة إلىٰ أولويات الطبيعة.

والخلاص النهائي لا يكون بغزو الطبيعة من خلال التاريخ وإنما غزو التاريخ من خلال الطبيعة والعودة إلىٰ الأصول الكونية، وعلىٰ الإنسان أن يُعيد اكتشاف قداسة حياته الجسدية ويرفض تماماً محاولة تجاوزها: فيجب عليه أن يستسلم لجسمانيته ويتمتع بها. والصهيونية والعودة للتربة هي بشائر عودة اليهودي الذي فصله اللاهوت اليهودي عن الأرض والطبيعة. والصهيونية بهذا المعنىٰ تشير إلىٰ تحرير اليهودي نهائياً من سلبية التاريخ وعودته إلىٰ حيوية التجدد الذاتي من خلال الطبيعة.

وبتحرير اليهودي من القيود الدينية والمحرمات يقوده روبينشتاين إلىٰ التشرد الذهني واللامبالاة والعدمية، وهذا ما يفسر انتشار المفاسد والرذائل عند اليهود قبل غيرهم من الشعوب.

ويجب الاحتفال بالطقوس اليهودية والاحتفاظ بأصالتها الطبيعية والكونية وقدمها ويجب أن تتناقل الأجيال التراث اليهودي دون تغيير أو تبديل، بل يجب تأكيد الجوانب القربانية في اليهودية علىٰ حساب الجوانب العقيدية التي يسميها روبينشتاين البنيوية لأن القرابين تُوجِّه عدوانية الشعب وتقلل من إحساسه بالذنب. وهذه عودة كاملة للحلولية الوثنية القديمة. بل هو تعبير عن الحلولية بدون إله حيث يقوم الإنسان بكل الشعائر بهدف العلاج النفسي ليس إلَّا. وبهذا يتحول المعالج النفسي إلىٰ كاهن عبادة جديدة يحل فيها محل الإله الذي تَوحَّد بالإنسان ومات.

ويرىٰ روبينشتاين أن الصهيونية هي أنقىٰ تعبير عن العقيدة اليهودية الجديدة، وأن جوهر الحلّ اليهودي هو دعم الصهيونية وتأييدها وتسخير كل العمل اليهودي لأجلها.

ورغم تطرُّف أطروحة روبينشتاين، فإنها تعبِّر عن النسق اليهودي السائد وخصوصاً اليهودية المحافظة التي تحكم إسرائيل. وأصبح من المؤكد لنا بأن روبينشتاين قام بتفصيل عقيدة يهودية جديدة معتمداً علىٰ مقاييس ومتطلبات الصهيونية ودولة إسرائيل.

الإشراك بالله والحلولية عند اليهود

يعتقد الكثير من المسلمين بأن اليهود يؤمنون بإله واحد وبأنهم موحدون لله كما هي الحالة عند المسلمين. لكن هذا الرأي خاطئ كل الخطأ. فاليهود يرون تعدد الآلهة ويرون حلول الإله بالشعب وبالأرض وبالأشياء، ولذلك فيهود هذا العصر ليسوا أصحاب ديانة سماوية علىٰ الإطلاق. بل هم وثنيون وملاحدة وكفار بكل معنىٰ الكلمة.

نلاحظ البعد الجماعي القومي في الآية التوراتية :« .. **الرب إلهنا..**»

وإن استخدام ضمير المتكلم بصيغة الجمع يعني حسب المفهوم اليهودي، أن الرب إله اليهود جميعاً بصفتهم كياناً واحداً. وهو ذو دلالة قومية جماعية عميقة، فهو يخصص الإله ويجعله مقصوراً علىٰ اليهود أو الشعب المختار الذي يحل فيه الإله. لكن تخصيص الإله لشعب معيَّن لا يفيد الوحدانية الخالصة ويجعلها تقترب من التغليبية وهي نوع من التوحيد البدائي وهذا يفيد إلىٰ الإيمان بعدد من الآلهة يترأسهم إله واحد. وهو ما يحمل معنىٰ الشرك بالإله.

«**وتعبدوا آلهة أخرىٰ وتسجدوا لها**».

«**أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من مصر ليكون لكم إلهاً. أنا الرب إلهكم**»

«**وتكونوا مقدَّسين لإلهكم**». وهذا ما يجعلهم جزء من الآلهة نفسها.

«**.. الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب..**» (تثنية 11/ 13 ـ 21)

وهنا يؤكد الرب علىٰ المكافأة المادية المباشرة التي سيمنحها الإله للشعب، لو أنه نفّذ الوصايا.

وبذا، تكتمل كل علامات الحلولية المتطرفة ، فثمة إله يحل في الشعب والأرض فيكتسب كلٌّ من الشعب والأرض قداسة.

وأن نص التوحيد اليهودي لا يشابه الشهادة الإسلامية، وهذا ينطبق أيضاً علىٰ كثير من الجوانب التي يُتصوَّر أنها مشتركة بين اليهودية والإسلام مثل الختان وقوانين الطعام.

وبعد إذاعة أسطورة الإبادة ازدادت قوة المفهوم الحلولي عند اليهود. وازداد مفهوم الشعب المقدس وأصبحت الصهيونية هي المرجع المركزي العقيدي فأصبحت الصهيونية نفسها تعبيراً عن الحلولية بدون وجود للرب نفسه.إذ تمت صهينة الديانة اليهودية عبر مجموعة من مفكريها الجدد.فأصبح التوحيد المنقول عن ما بقي في النصوص التوراتية يعني توحيد الشعب اليهودي نفسه.

نظرية نهاية التاريخ البشري

تحدثت نظرية نهاية التاريخ عن انتصار الليبرالية الرأسمالية علىٰ الاشتراكية واعتبرها الأمريكيون الأيديولوجية التي يتوقف معها جدل الإنسان والتاريخ. وإن هذه النظرية تعيد صياغة نظريات صهيونية تعود للقرن الـ19 وما قبله،عبّر عنه هيغل وماركس ونيتشه وغيرهم. وتتحدث عن أن مسار التاريخ هو مسار خطي متصاعد. وقد جاءت نظرية«نهاية التاريخ الجديدة التي أطلقها الباحث الأمريكي من أصل ياباني (فوكوياما) كصيغة جديدة للفلسفة الصهيونية التي اعتقدت بأن المحرقة النازية هي نهاية التاريخ، وبأن تاريخ ما قبل المحرقة قد توقف عندها. وعموماً فأطروحات «نظرية النهاية» هي ظاهرة من ظواهر العالم الغربي المتأثّر بالصهيونية وتكتسي ثوباً وجمالية عصرية، وثبت بأنها غير علمية علىٰ الإطلاق. وأنها تنحيز لرؤية تاريخ الجنس البشري من المنظور الصهيوني الذي تم منحه صفة الغربي وتتجاهل

المساهمات الحضارية الأخرىٰ، وهي وسيلة دفاعية للنسخة الحداثية الخاصة بالحضارة الغربية ضد التحديات التي تواجهها والتي يعتبرها الغرب تشكل تهديداً لسلامة وأمن الجنس البشري. ومن السمات الصهيونية لنظرية النهاية أنها تحاول نفي الدين وإعلان نهايته بينما الواقع البشري يشير إلىٰ عكس ذلك، فالعامل الديني يتصاعد عند المسلمين والمسيحيين في العقود الأخيرة. ونتج عن تلك النظرية محاولات تجديد للمسيحية بطريقة تخدم الصهيونية، إذ نكتشف بسهولة بأن دعوات تجديد المسيحية في الولايات المتحدة يعني ترجيح المسيحية الصهيونية علىٰ كافة الكنائس المسيحية الأخرىٰ. وتحت ذريعة العلمانية الحديثة يجري استقطاب المسيحية العربية. ويحمل تجديد المسيحية مبادئ التغلب علىٰ الفصل الثنائي بين الإله والطبيعة والعقل والوحي والأخلاق والنظم الاجتماعية. وحدث تقارب بين منظّري العلمانية والمرجعيات الدينية بحيث يدعم العلمانيون المناشط الدينية ويتبنىٰ رجال الدين«**لاهوتاً**» أكثر مرونة، وهذا اللاهوت المرن، ليس سوىٰ محاولة لتسطيح المسيحية الدينية، لتفسح المجال لسيطرة الصهيونية اليهودية. وهناك توجه جارف لبناء ما يسمىٰ «**لاهوت ما بعد الحداثة**» الذي لا يعادي العقل أو العلم أو المذاهب الأخرىٰ الدينية نظرياً،بل يعزل دورها ونفوذها في حقيقته. وإنّ لاهوت ما بعد الحداثة ليس سوىٰ نسخة أخيرة عن «**لاهوت مابعد آشويتز**» الذي ابتدعته الصهيونية اليهودية فيما سبق. وتجري في السنوات الأخيرة محاولات لنقل هذا المركز وهذه الفلسفة من الولايات المتحدة إلىٰ أوروبا مرة أخرىٰ عن طريق الوحدة الأوروبية.

ارتباط الأكذوبة بإعلان دولة إسرائيل

لقد ربط اليهود بين أمرين ، وكانا حدثين عالميين كبيرين، وهما:

1- إذاعة أكذوبة الإبادة،

2- هجرة اليهود إلىٰ فلسطين وإقامة دولة إسرائيل.

وقد تزامن ظهور هذين الحدثين في وقت واحد، وهذا التزامن الذي بينهما يدل

علىٰ وجود علاقة قوية ومتينة بين الأمرين وهي علاقة سياسية ودينية ، وهي أيضاً علاقة تحدد المصدر ، فلمّا كان مصدر الحدث الثاني توراتياً (ونقصد به قيام دولة إسرائيل) فانه لمن المؤكد أن يكون مصدر الحدث الأول توراتياً أيضاً. (ونقصد به الأكذوبة التي قامت علىٰ مصادر توراتية). وبالوقت نفسه فان الحدثين ارتبطا من حيث المنشأ، ومن حيث النتيجة. ويمكن شرح نتائج التحليل كما يلي:

- يوجد ارتباط مؤكد بين حدثين هما قيام دولة إسرائيل وإذاعة الأكذوبة
- قامت دولة إسرائيل بناء علىٰ مزاعم توراتية، والارتباط يعني أن إذاعة الأكذوبة جاء نتيجة مزاعم وعقائد توراتية.
- ارتبطت الأكذوبة مع قيام دولة إسرائيل من حيث النتيجة، وهذا يدل علىٰ أنه ثمة ارتباط بينهما من حيث نقطة البداية أيضاً، وهذا دليل آخر علىٰ أن للأكذوبة أصلاً توراتياً.
- كان مصدر الأكذوبة توراتياً لكن تمكن اليهود من تسخير الجانب السياسي في خدمة تلك الأكذوبة وفي إذاعتها وفرضها وفرض النتائج المترتبة عليها. وبالوقت نفسه فإن مبدأ العودة إلىٰ أرض الميعاد يحمل مصدراً دينياً وتوراتياً.
- كان مشروع تهجير اليهود قائم قبل اشتعال الحرب الثانية، وإن نجاحه واستمراره وتحقيقه من الناحية الدينية والعقيدية اليهودية كان يتطلب حدوث مبرر للرب ولليهود أنفسهم. فالعودة هي تحقيق يوم الميعاد اليهودي ولهذا اليوم شروط وأحداث وصفها ربهم في النصوص المقدسة كما يعتقدون .ولذلك توجب علىٰ اليهود إيجاد المبرر الديني وهو حدوث الإبادة.

وقد ابتدعوا هذا الحدث الأسطوري لأجلهم هم أنفسهم لالأجل الآخر . ولأنهم يعتقدون بأن الآخر بوهيمي وغويم وحيوان، فقد أوجبوا عليه طاعة أساطير ديانتهم التي يعتقدون بأنها الديانة الوحيدة الصحيحة والمتعلقة بالرب علىٰ وجه الأرض كلها. وتماشياً مع عقيدتهم يكون واجب الآخر الخضوع للأكذوبة والخضوع للشريعة الوحيدة التي ترتبط بالرب.

والنصوص التوراتية التالية تبين وعد الربّ لليهود بإعادتهم إلىٰ فلسطين وتمليكهم بلداناً عديدة:

«.. 10 ومتىٰ أتىٰ بك الرب إلهك إلىٰ الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك . إلىٰ مدن عظيمة جيدة لم تبنها. 11 وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها، وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها ..» عن سفر التثنية، الإصحاح السادس. وفي هذا النص يعد رب اليهود شعبه بأن يدخلهم إلىٰ بلدان ويملّكهم كل خيراتها. والنص يحمل عنصرية يهودية ووعداً ربانياً وتشجيعاً من ربهم بأن يأخذوا أملاك الآخرين وهذا ما فعلوه في فلسطين.ويقول نص آخر أيضاً: « ومتىٰ **أتيت إلىٰ الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً وامتلكتها وسكنت فيها»** عن سفر التثنية، الإصحاح السادس والعشرون.

ويستنكر الكثير من الحاخامات اليهود قيام دولة إسرائيل علىٰ أساس المحرقة النازية (53) فيقول الحاخام يسرائيل دوفيد فايس: «.. إننا نؤكد بأن الصهيونية العالمية تحاول استغلال دماء اليهود في تحقيق أهدافها العدوانية والخبيثة ضد الشعب الفلسطيني».

ويقول الحاخام موشية فريدمان: «.. إن إسرائيل دولة غير شرعية وندعو لإزالتها من الوجود...»

ويقول الحاخام البريطاني أهارون كوهين : «.. نحن اليهود الأورثوذوكس نؤمن بأن قيام دولة إسرائيل مخالف لتعاليم الدين اليهودي.. ولا يجوز استغلال الهولوكوست لتبرير تصرفات غير عادلة تجاه الشعب الفلسطيني..»

محكمة القيم الصهيونية

إن في العالم كله محكمة آداب وتأريخ وقيم وقوانين سياسية، تتمثل هذه المحكمة العليا بالحركة الصهيونية العالمية ، وبالمؤتمر الصهيوني وبدولة إسرائيل وبالماسونية العالمية. وهذه المحكمة بدأت تتدخل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتىٰ يومنا هذا

بكل سياسات وقرارات الدول العالمية. وقد أصبح دور هذه المحكمة فعّالاً بعد أن نجحت أسطورة المحرقة، فكانت حجّتها المعلنة هي الحفاظ علىٰ الكيان اليهودي من التصفية العرقية وما سمي باللاسامية.وقد تطورت هذه المحكمة عالمياً بطريق تصاعدي مستمر وكانت أهم أعمالها علىٰ التسلسل هي:

1. خلق أسطورة الإبادة والمحرقة
2. وبحجة الإبادة المزعومة ضغطت تلك المحكمة المتطرفة علىٰ قرارات الحكم في محاكمة نورنبيرغ فتم انتزاع أقوال وشهادات مزورة وتم الحكم علىٰ مئات من النازيين القدماء بالإعدام.
3. قامت دولة إسرائيل بفضل ضغوط تلك المحكمة الضاربة.
4. تمت معاقبة ألمانيا وتقسيمها وفرض شروط عديدة عليها ومن بينها منح إسرائيل تعويضات عن خسائرها المزعومة.
5. وبحجة منع تكرار عملية إبادة اليهود، صنعت المحكمة الصهيونية فرق القتل والإعدام والإرهاب،التي نشطت في كافة مناطق العالم، فقامت تلك الفرق بقتل واختطاف وملاحقة العلماء والمفكرين والسياسيين والضباط الألمان النازيين في كل مكان في العالم.
6. قامت تلك المحكمة بما يسمىٰ التطهير. ففي فرنسا وحدها، تم قتل 48 ألف شخص بين 1945 و 1946 أي خلال سنة واحدة تقريباً.وهؤلاء القتلىٰ كانت الصهيونية تتهمهم باللاسامية وبالمشاركة في اضطهاد اليهود وإبادتهم أثناء الحرب.
7. وفي أوروبا والولايات المتحدة قامت تلك المحكمة بما تسمّيه تطهير وسائل الإعلام من العنصرية واللاسامية، وتحت تلك الذرائع تم الاستيلاء علىٰ الصحف والمجلات والمسرح والسينما والتلفزة والإذاعة ودور النشر وغيرها. حتىٰ أضحت كل تلك الميديا صهيونية خالصة.

8. وبالطريقة نفسها استمر عصر الإرهاب الإسرائيلي الموجّه ضد العرب والمسلمين، وعلىٰ الأخص الفلسطينيين. ونلاحظ باستمرار كيف تتخذ الدول القوية قرارات شديدة التكلفة إرضاءً لإسرائيل. فإن الغزو الأمريكي للعراق ومنع إيران من إنتاج الوقود النووي، والنزاع الأمريكي الإيراني وكل ما نتج عن ذلك إنما جاء بهدف حماية دولة إسرائيل.
9. إن التطورات العصرية الجديدة وانكشاف الأباطيل الصهيونية، وتحرر الإعلام العالمي، وولادة أجيال بشرية حرة لا تقبل بالخضوع والذل، كل ذلك ينبئ بقرب نهاية العصر الصهيوني الخرافي.

قانون جيسو

استطاع الصهاينة أن ينتزعوا من حكام الغرب قانوناً يظلم أبناء الغرب ويحقق مصالح الصهيونية وحدها، وكان ذلك قانون جيسو ويحمل الرقم 43 وقد صدر في مايو 1990 ويُجرِّم هذا القانون أي تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية بإضافة المادة 24 مكرر إلىٰ قانون حرية الصحافة عام 1881، جاء فيها: «**يُعاقب بإحدىٰ العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة 24، كل من ينكر وجود أي من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة 6 من النظام الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في 8 أغسطس 1945**». وبسبب فرض هذا القانون فإن عدداً كبيراً من الدراسات والتساؤلات والتحقيقات المتعلقة بالإبادة لم يتم حسمها حتىٰ الآن من قبل دعاة الإبادة أنفسهم رغم مرور العقود عليها بل تم منع البحث فيها وتحريمه دولياً. ومن ذلك قضية حقيقة حدوث الإبادة وعدد الضحايا وكيفية الإبادة وقضية العلاقة الصهيونية بالنازية وغير ذلك. وبالوقت نفسه فهم لا يسمحون بإجراء أية دراسات جديدة تحقق في الإبادة وهذا ما يبرهن علىٰ قناعتهم بأكذوبة الإبادة نفسها. وظلّ الإعلام الغربي والصهيوني يُهاجم بشدة كلّ الكتابات والأبحاث ، العلمية وغير العلمية، ويشجبها بعصبية واضحة، ويهيج

ضدها بطريقة غوغائية، ويوجه الاتهام لكل من تسوّل له نفسه أن ينكر الإبادة أو يثير الشكوك حول موضوع الملايين الستة حتىٰ لو كان من العلماء المتخصصين، مع العلم بأن هناك دراسات كتبها علماء إسرائيليون يُعبِّرون فيها عن شكوكهم بخصوص رقم ستة ملايين. ونحن لا ندري لماذا يسمح لأولئك بإجراء أبحاث وشكوك وتحقيقات ولا يسمح لنا نحن بإجراء أي بحث في القضية. فبعد سقوط الاتحاد السوفييتي أصبحت وثائقه متاحة للدراسة. ولعل حالة ديمانجوك الذي - اتُّهم فيما مضىٰ بأنه إيفان الرهيب والذي اتُّهم بالإبادة - تدل علىٰ ضرورة كشف الحقائق وفتح كافة وثائق الحرب. فقد كانت كل الدلائل التي جمعها الأمريكيون والإسرائيليون تبيِّن أن ديمانجوك هو إيفان الرهيب . ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ظهرت وثائق تبيِّن بما لا يقبل الشك براءته.

وبناء علىٰ قانون جيسو أصبح المحظور الوحيد تقريباً في دول الغرب القوية، هو مناقشة تاريخ المحرقة، ولأسباب كثيرة وعديدة ومنها أعمال الإبادة التي قامت بها الصهيونية في أوروبا كلها بعد الحرب الثانية، أصبح المحظور الوحيد والمحصن والذي يخشىٰ المواطن الغربي تناوله هو موضوع الإبادة. كنّا جميعاً نعتقد بأن المواطن الغربي يتمتع بحرية التفكير والتعبير عن الرأي، لكنه في الحقيقة يمتلك كلَّ الحرية في إدانة حاكمه، وفي انتقاد المسيحية بل ونسفها إذا شاء، وفي التحدث بأية سياسات إذا شاء، لكنه ممنوع عليه الخوض في المحرقة وأبعاد تحريمها. واليوم وعندما تبادر أي مواطن غربي بالحديث عن المحرقة فإنه يتلعثم ويتملص ويحمرّ وجهه خوفاً ورهبة ورعباً. ولن يقدر علىٰ مناقشتها بحرية وسلاسة. وهذا الرعب الذي يتملكه، إنما هو عقدة الخوف من الصهيونية التي فتكت بالأوروبيين الذين اتهمتهم بالانحياز للنازية. وكان ذلك درساً كبيراً ومستمراً للأوروبيين جميعاً. ومن خلال مبادرات حوارية كثيرة أجريتها مع الأوروبيين توصلت إلىٰ نتيجة مفادها أننا إذا أردنا أن نخسر صداقة الغربي ونقطع علاقتنا معه إلىٰ الأبد فعلينا أن نبادره بحديث عن المحرقة.

لقد أصبح الغربي مقدساً للمحرقة، وأصبح تقديسها عنده أعظم شأناً من قداسة ديانته المسيحية وكافة معتقداتها وطقوسها. لأنه يجرؤ علىٰ التطاول علىٰ كافة أركان عقيدته وبالوقت نفسه لا يجرؤ حتىٰ علىٰ الخوض في عقيدة المحرقة.!!.

بعد انعقاد مؤتمر طهران الخاص بمناقشة المحرقة في نهاية العام 2006 ، وبفضل الضغوطات الصهيونية الكبيرة، قام العالم كله ضد إيران، وزحفت القوات الأمريكية إلىٰ الخليج العربي تهدد بضرب إيران وتدمير مفاعلها النووي. وبسبب تلك الضغوطات رأينا تراجعاً إعلامياً وتكتيكياً في الخطاب الإيراني الرسمي كله. فبعدما كانت إيران تنفي حدوث الإبادة أصبح خطابها الجديد لا يحمل نفياً للإبادة بل يرفض أن يدفع العرب الفلسطينيون ثمن تلك الإبادة لو أنها حصلت. ففي جنيف ألقىٰ وزير خارجية إيران مانوشهر متّقي كلمة بتاريخ 13 آذار قال فيها: «.. لماذا يدفع الفلسطينيون ثمن إبادة خمسة آلاف من اليهود في أوروبا؟. ولماذا تغتصب أرضهم بالذات ويتعرضون باستمرار للاضطهاد الصهيوني؟..» إن هذا التراجع الملموس في الخطاب الإيراني الرسمي يدلّ علىٰ قدرة ونفوذ الضغوط الصهيونية الواسعة النطاق التي مورست علىٰ طهران، وتدل أيضاً علىٰ استجابة حكام دول العالم لها.ولّما قامت الصهيونية بنشاطات شملت العالم كله للضغط علىٰ طهران فهذا يعكس أهمية ترسيخ الأكذوبة والإبادة بالنسبة للصهيونية نفسها، ويصبح قارئ هذا الكتاب بالنسبة لها أخطر مشروع ثقافي يهددها.

لقد فرض الصهاينة تقديس المحرقة ووضعوه فوق تقديس الإسلام والمسيحية، إذ تسمح القوانين الغربية بالإساءة إلىٰ الإسلام وإلىٰ النبي الكريم وإلىٰ مقدسات المسلمين جميعاً، ولا تسمح بأي بحث أو نقاش في قضية الهولوكوست. ومن هنا يصبح لزاماً علىٰ المسلمين محاربة تقديس المحرقة بكل أبعادها وفرض المقدسات الإسلامية في العالم كله.

وإن فرض الصهيونية قداسة عالمية علىٰ عقيدة المحرقة منذ اليوم الأول لتاريخها

لهو أكبر دليل علىٰ ما نسعىٰ لإثباته في هذا البحث وهو أنَ المحرقة عقيدة توراتية قديمة لا حدث تاريخي ولا جريمة نازية..!!..

ويزداد تقديس المحرقة تعسفاً في أوروبا فقد ذكر البروفسور روبير فوريسون في مؤتمر طهران بأن زميلاً له في السوربون لم يناقش المحرقة ولم ينكرها بل أبدىٰ برأيه في ضرورة السماح بمناقشتها، فأدىٰ ذلك إلىٰ فصله من الجامعة. وقال فوريسون: **«أنا فرنسي، هذا صحيح، وهنا أجرينا حوارات ومناقشات حرة وصريحة وعبّرنا عن آرائنا، لكن هناك في بلدي التي تسمىٰ مهد الحرية لا نستطيع أن نتحاور فيها بحرية»**.

تناقض الروايات الصهيونية للإبادة

حتىٰ إذا أخذنا بالرواية الصهيونية للإبادة وقمنا بتفحص عناصرها فإننا سنجد تناقضات كبيرة نضيفها إلىٰ هذا البحث:

بالنسبة للمسؤولية عن الجريمة: تُخضَع الإبادة النازية لعمليتين متناقضتين:

- يتم تضييق نطاق المسؤولية إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تصبح الإبادة النازية جريمة ارتكبها الألمان وحدهم ضد اليهود.
- وبالوقت نفسه وفي الروايات الصهيونية أيضاً يتم توسيع نطاق المسؤولية إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تختفي كل الحدود وتصبح الإبادة النازية ليهود أوربا جريمة كل الأغيار بشكل مطلق، أو جريمة كلٍّ من الألمان والأغيار، أو الألمان باعتبارهم أغياراً، أو الألمان بموافقة وممالأة الأغيار أو المسيحيين الغربيين ضد اليهود الضعفاء والأقلية. ولم يكتف الصهاينة بإدانة الألمان والغرب المسيحي وحده بل قام بعضهم بإدانة العرب والأتراك والمسلمين وتحميلهم بعضاً من المسؤولية. كما فعل ناتان ياهو، ولم تأت إدانة العرب إلَّا لهدف تعميق الكراهية اليهودية للعرب وتبرير مجازر إسرائيل ضدهم.

وفي النتاج الفلسفي يتم تعميم نتائج الإبادة علىٰ البشرية كلها وعلىٰ الكونية وعلىٰ

وجود الرب اليهودي نفسه. فتصبح الإبادة هي لحظة انقطاع الزمن الكوني ولحظة العدمية التاريخية، وتصبح هدماً لهيكل الرب ولقدسية الرب، بل وإبادة للرب نفسه.وتصبح البشرية بدون رب حسب روبينشتاين وغرينبيرغ وغيرهم.

وبالنسبة للضحية نفسها في الرواية الصهيونية:

تُخضَع الإبادة كذلك لعمليتين متناقضتين تماماً:

- يتم تضييق نطاق الجريمة إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم، لا ضد الملايين من الشعوب. فالصهيونية حتىٰ اليوم لا تعترف ولا تعير أية أهمية لخمسين مليون قتيل في الحرب العالمية الثانية. بل تعتبر أن الضحية الوحيدة فيها كانت اليهود.
- يتم تعميم الجريمة إلىٰ أقصىٰ حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد كل اليهود، وإضافة لهذه التناقضات الواضحة فإن الصهيونية تقرر ما يناسبها وما يناسب نزعتها كحركة عنصرية وككيان صهيوني في إسرائيل، فنلاحظ أن النقاط الأربعة السابقة قد تم تثبيتها لأنها تخدم الكيانين .وعندما يقال ليهود العالم أنهم مستهدفون من الغير وأنهم كانوا الضحية فذلك يربطهم بدولة الكيان. وبعد أن تم تعريف الإبادة بهذه الطريقة، وبعد أن تم التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية وضبطها بما يتفق مع مصلحة الغرب، قام الغرب بأيقنة الإبادة،

أيقنة الإبادة وعقدة الذنب عند الألمان

قال دان داينر:

- **إن آوشفيتز هي أرض لا يمتلكها أحد، هي فراغ يبتلع كل التفسيرات التاريخية.**

وتعليقاً عليه يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري:

أصبح آوشفيتز هو المعيار المطلق الذي يُحكَم من خلاله علىٰ التاريخ، ولا يمكن أن يصبح هو نفسه جزءاً من التاريخ (48) ولكن مثل هذا الكلام الأجوف له معنىٰ

داخل الخطاب الحضاري الغربي بسبب عملية الأيقنة التي سلّمت بالإبادة.

وأخطر ما في المشكلة أن الأيقنة ليست مقصورة علىٰ المفكرين اليهود وإنما تشمل أعداداً كبيرة من غير اليهود. وهم هؤلاء الذين تأثّروا بالفلسفة اليهودية الجديدة وصاغوا فكراً موازياً لها.

فالإبادة بهذا المعنىٰ أصبحت من المسلّمات، التي تُشكِّل فهْم الإنسان الغربي المسبق، شأنها في هذا شأن إحساس الغرب بمركزيته في القرن العشرين أو الإيمان بالتقدم المادي وتحقيق الذات باعتبارهما الغاية النهائية لوجود الإنسان في الأرض والمسلمات هي الركيزة الأساسية للنموذج، فهي التي تحدد حلاله وحرامه، وما هو مقدَّس وما هو مدنَّس. ومن ثم أصبح التساؤل بشأن الإبادة هو تساؤل بشأن إحدىٰ المسلمات أو المقدسات أو المطلقات، ولعلّ تثبيت التهمة علىٰ الألمان جعل الألمان خصوصاً والأوروبيين عموماً يحملون شعوراً دائماً ومتوارثاً بعقدة الذنب الكبير وعقدة قيامهم بالإبادة أي إتيانهم للمحرّمات وللأعمال اللا إنسانية علىٰ الإطلاق، وشعورهم بعدم تمكنهم من التكفير عن أخطائهم بأية طريقة كانت.

ومن نتائج هذه الفلسفة الوضعية التدميرية أننا نلاحظ بأن الألمان خصوصاً والغرب المسيحي عموماً يتجه مرغماً مبتعداً عن الطريق التي تصله بالله والدين واللاهوت. وهذا ما حصل فعلاً في المجتمع الغربي إبان انتهاء الحرب وتقسيم ألمانيا. (48) وهذا دليل علىٰ نجاح المشروع الفلسفي الصهيوني بتحقيق الأهداف التي ابتغاها، أو جزء منها.

تناقض في المحظورات والمسموحات

لقد جعلت الصهيونية من عقيدة الإبادة أيقونة مقدّسة وفرضت تقديم تقديسها علىٰ كافة المقدسات الأخرىٰ بما في ذلك المقدسات الإسلامية والمسيحية،واستجابت دول الغرب المسيحية لهذا الفرض الصهيوني الصارم والظالم. ففي الغرب لا يحاكم أي

مواطن ينتقد قداسات مسيحية أو إسلامية، وبالوقت نفسه يحاكم إذا انتقد قداسة المحرقة أو الإبادة. ونلاحظ هذا التناقض عند المواطنين الغربيين عموماً. فكل غربي تقريباً يسمح لنفسه بانتقاد كافة المقدسات المسيحية بما فيها عقيدة الصلب ونصوص الأناجيل وبالوقت نفسه فإنه هو بتكوينه يمتنع حتىٰ عن الخوض في موضوع الإبادة..!!. لكنه مسيحي وليس يهودياً ولا صهيونياً، فكيف تصبح الإبادة بالنسبة له أمراً مقدساً؟؟. ذلك هو ما فعلته الصهيونية بالمسيحيين الغربيين. ففي الغرب ينتجون أفلاماً تُعرِّض بالسيد المسيح عليه السلام مثل فيلم «سكورسيزيScorsese الإغواء الأخير للمسيح»، وأعمالاً فنية مثل لوحة الفنان «أندريه سيرانوAndre Serrano » الشهيرة بعنوان «لنتبول علىٰ المسيح (Piss Christ)حيث وَضَع الفنان صورة المسيح علىٰ الصليب في البول، وعرضها في معرض قامت الدولة بتمويله، إن كانوا يفعلون ذلك فلم لا يقبلون بفتح ملفات الإبادة؟ والرد علىٰ هذا هو أن السيد المسيح لم يعد ضمن المقدسات، أما الإبادة فقد أصبحت ضمن المقدسات بل هي قدس الأقداس.

فقد استطاعت الصهيونية أن تغزو العقل المسيحي الغربي في كافة أوساطه، حتىٰ الكنيسة البابوية.حتىٰ أصبح من أهم وظائفها تحصين المقدس الصهيوني، بل وتفضيله علىٰ المقدس المسيحي نفسه.ففي العام 2001 وعندما زار قداسة البابا القدس الشريف قام بوضع قصاصة ورقية في جدار المسجد الأقصىٰ والذي يعتبره اليهود حائط المبكىٰ، وكان فيها اعتذار بابوي تاريخي عن إبادة المسيحيين لليهود في ألمانيا. أي إنه اعتذار المسيحية لليهود. وبذلك الاعتذار كان البابا يوحنا بولس الثاني يقدّس الإبادة في عقيدته المسيحية.!.

ومن الناحية السياسية فإن الأحداث تدل علىٰ التمادي الكبير في أيقنة الإبادة. في إسرائيل نفسها. وفي دول الغرب يقدم إلىٰ المحاكمة وتنتقص من كرامة توني بلير وجيمي كارتر ويتعرض جورج بوش للمساءلة القانونية، ويحاكم صدام حسين ويعدم شنقاً، ويسمح بكل تلك المساءلات والتحقيقات في عالم سياسي هو نفسه

لا يتجرأ علىٰ البحث والمساءلة في قضية الإبادة.

وفي هذا العالم كادت الولايات المتحدة تبدأ حرباً ضروساً علىٰ إيران الإسلامية وذلك استجابة لرغبة إسرائيل بالانتقام من إيران التي أعلنت عن نكرانها للإبادة، والتي دعمت مشاريع البحث في أساطيرها المزعومة.

لماذا وافق حكام العالم على تلك الأكاذيب؟

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، كان حكّام الدول المنتصرة في موضع حرج، فهم يريدون طي صفحة الحرب ووضع حدّ لكل الأسباب التي قد تعيد الشعوب والأعراق إلىٰ أجواء الحرب وأهوالها. كما توجب عليهم أن يمسحوا من ذاكرة الشعوب كل الجرائم وأعمال الإبادة التي ارتكبوها أثناء الحرب وقبلها. فالولايات المتحدة أطلقت القنابل الذرية علىٰ المدن اليابانية وقتلت أعداداً كبيرة من المدنيين الأبرياء، وتلك جريمة إنسانية بشعة.

وقام الأمريكيون أنفسهم بقتل وإبادة مائتي ألف جندي ألماني كانوا متراجعين ومقهقرين في يوم 13 شباط 1945 وتمت إبادتهم بوحشية كبيرة باستخدام القنابل الفوسفورية. لكن اليهود الذين استوطنوا في أرض فلسطين تابعوا أعمال الإبادة العرقية في الأرض العربية، وارتكبوا عشرات المجازر الوحشية التي كانت تحمل طابع التطهير العرقي للأرض وإزاحة الشعب العربي ليستوطن مكانه الشعب اليهودي، وبذلك كان اليهود الصهاينة يكررون المجازر البشعة التي ارتكبتها الدول الغنية من قبل.

وقبل ذلك كان أبناء الغرب قد أبادوا ستين مليوناً من الهنود الحمر وهم الأبناء الأصليين للقارة الجديدة، وأبادوا حوالي مئة مليون من الزنوج في أفريقيا.

لقد أراد الحلفاء المنتصرون بإبادة الكثير من الألمان الأبرياء وإقناع العالم بأنهم فعلوا ذلك ليضعوا حداً نهائياً للعرقية الألمانية ويمنعوا النازية من الظهور مرة أخرىٰ؛ ولأن المنتصر يستطيع أن يفرض علىٰ المهزوم كل قراراته فقد فرض الحلفاء علىٰ ألمانيا

المهزومة قرارات عديدة كان أهمها تقسيم ألمانيا إلىٰ دولتين، واعترافها بأنها أبادت اليهود، وإجبارها علىٰ دفع تعويضات مالية لدولة إسرائيل. وإنّ هذا الضغط الكبير علىٰ الألمان عاد علىٰ الفرد الألماني بنتائج خطيرة جداً فأصبح أكثر الأوروبيين بعداً عن الإيمان بالله، وأكثرهم وداعة وخضوعاً للضغوط. ومن هنا نفسّر فوز حزب الخضر بانتخابات رئاسة الحكومة ونيله أغلبية الأصوات الألمانية، ذلك لأن أحزاب البيئة والنظريات المشابهة لها حلّت محل الفكر الديني. إذ لا يستطيع الفرد العيش بدون مبادئ سامية. فاتّخذ مبادئ بديلة عن الدين المسيحي والإسلامي. وبدأت ملامح الخضوع الألماني بالزوال في السنوات الأخيرة. إذ يستمر الحديث عن ظاهرة زيادة الأسلمة في ألمانيا وكثير من الأحيان يحدث ذلك دون وجود داعية أو ناشط إسلامي. فحسب إذاعة DW الألمانية الحكومية فإن عدد الذين اعتنقوا الإسلام عام 2005 هو ألف ألماني، وإن هذا العدد تصاعد بسرعة كبيرة في العام 2006 فبلغ أربعة آلاف معتنق للإسلام.

ومن جهة ثانية فقد رغب الحلفاء ضمناً بإتمام المشروع القديم . وهو مشروع هتلر نفسه الذي كان قد بدأه قبل الحرب العالمية الثانية. والذي كان أفضل حل أوروبي صهيوني لمشكلة اليهود الطويلة الأمد. حينما كان يهجّر يومياً 400 يهودي من ألمانيا إلىٰ فلسطين. المشروع الذي يهدف إلىٰ التخلص من يهود أوروبا ومن كونهم العثرة الدائمة ومولد المشاكل والعقبات الاجتماعية والسياسية في داخل المجتمعات الغربية. ولأنهم أيضاً كانوا وراء ظهور العنصرية الألمانية النازية. ولأن اليهود لا يقدرون علىٰ التمازج في المجتمعات الغربية أيضاً، فقد رغب الحلفاء بالتخلص منهم وتهجيرهم إلىٰ أرض فلسطين. لكن ذلك المشروع الغربي لم ينجح حتىٰ هذا العام 2007 .

فبعد أكثر من نصف قرن علىٰ قيام دولة إسرائيل، لم يستوطن فيها أكثر من خمس يهود العالم. ولم يعرف اليهود يوماً هادئاً وسلمياً طوال تلك العقود. وكذلك لم يرتح العالم كله من مشاكل اليهود المتطرفين، بل إنها ازدادت وكبر نفوذ الجماعات الصهيونية

المتطرفة، وكثرت أعمالها داخل دول الحلفاء نفسها. فكثيراً ما سمعنا عن اكتشاف جواسيس يهود في أمريكا وفرنسا وألمانيا وروسيا وغيرها من الدول.

ولأن الأكذوبة كانت عملاً يتعلّق بالعقيدة والشريعة اليهودية، ولأن كافة اللاعبين الأوائل كانوا يكتشفون تلك الحقيقة، فإن موافقة حكّام الدول المنتصرة علىٰ لعب دور ديني يتعلق بالعقيدة والشريعة اليهودية، يدلّ علىٰ ارتباطهم بتلك العقيدة بشكل من أشكال الارتباط. فإما أن يكون بعضهم يهوداً، أو أنهم أنفسهم مرتبطون باليهودية عبر منظمات ماسونية كانت ومازالت حاضرة وتلعب أدواراً كبيرة في خدمة الصهيونية المتطرفة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أغلبية زعماء الغرب يقومون بزيارات خاصة للمجمّعات الماسونية قبل خوضهم الانتخابات الرئاسية. ويتم إعلان ذلك في الصحف والإذاعات دون ضرورة للتسرّي به. وأثناء انتخابات الرئيس الفرنسي أعلنت إذاعة مونت كارلو بأنه قام بزيارة إلىٰ المحفل الماسوني في باريس لطلب الدعم منه ولكسب الجولة الانتخابية كما جرت عادة المرشحين للرئاسة.

ومن ضمن أسباب سكوت الغرب عن الأكاذيب الصهيونية ذلك أن الصهيونية نفسها استطاعت التغلغل داخل الكنيسة الغربية نفسها وداخل العقيدة المسيحية في أذهان الغربيين، وبفضل هذا التغلغل جعلت عقيدة الإبادة تعادل عقيدة الصلب المسيحي وشريعة البقاء (الصهيوني والإسرائيلي) شريعة دينية مقدسة ولا يمكن للمسيحيين تجاوزها. كما واستطاعت الفلسفة الصهيونية المخادعة أن ترسّخ نفسها كقيم مسيحية وعالمية، وكلّ ذلك كان يحدث في أثناء غياب الطرح الفكري الإسلامي في دول الغرب والولايات المتحدة.واليوم وبعد بروز الفكر الإسلامي ووصول معانيه إلىٰ أبناء تلك الشعوب نعتقد بأنه سيكون للبعض منهم بمثابة الحل والمنقذ من المتاهات الصهيونية الكثيرة. وهنا تبرز أهمية دور المسلمين جميعاً وأهمية نشاطاتهم في التعريف بالإسلام.

لماذا تم تقديس الإبادة في الغرب؟

إن ثمة خطاباً غربياً وصهيونياً موحداً فيما يتصل بالإبادة، ولا يختلف الخطاب الصهيوني عن الخطاب الغربي العام إلّا في التفاصيل، فهما يكادان يكونان وجهين لعملة واحدة.

وتتلخص خصوصية الخطاب الصهيوني في تعميق الجوانب اليهودية وفي إضافة ديباجات يهودية دينية وإثنية كثيفة علىٰ كافة الأحداث والمصطلحات والمفاهيم المسيحية. فالخطاب الصهيوني ينزع - هو الآخر - حادثة الإبادة من سياقها الحضاري والتاريخي الغربي، ويتلاعب بالمستوىٰ التعميمي والتخصيصي، فيُحوِّل واقعة الإبادة من جريمة ارتكبتها الحضارة الغربية ضد مجموعات بشرية داخلها إلىٰ جريمة ألمانية أو جريمة الأغيار ضد اليهود.

وانطلاقاً من مفهوم الشعب المختار والحلولية اليهودية التي تسبغ القداسة علىٰ اليهود وحدهم، تُعمِّق عملية التخصيص فتتحوَّل الإبادة من قضية اجتماعية تاريخية إنسانية إلىٰ إشكالية غير إنسانية تستعصي علىٰ الفهم الإنساني، وإلىٰ سر من الأسرار يتحدىٰ العقل، وإلىٰ نقطة نهائية ميتافيزيقية تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ. وبناء علىٰ هذا المفهوم المعقّد أصبح من غير الممكن في الخطاب السياسي الغربي والصهيوني معاً تشبيه إبادة أية أقلية بإبادة اليهود.

وأثناء كتابة هذه الأسطر أعلن في اسبانيا وفي حدث لم يسبق له مثيل أن إحدىٰ المدن الاسبانية حوّلت الاحتفال التقليدي من ذكرىٰ المحرقة اليهودية إلىٰ ذكرىٰ ضحايا الإبادة الصهيونية في فلسطين(49) وهذا دليل علىٰ بداية الانفلات الغربي الرسمي من الهيمنة الصهيونية عليه، وعلىٰ السير في طريق ونهج يرفض تقديس الإبادة.

أسباب أيقنة الإبادة

بداية لابد من الإشارة إلىٰ أن أيقنة الإبادة كان أخطر سلاح وتحدٍ تم توجيهه للعرب والمسلمين وخاصة الشعب الفلسطيني نفسه. وإنه لا يمكن الفصل بين هذين الأمرين المتلازمين في الأصل. وبالتالي فلايمكن أن يقول العربي أو المسلم بأن موضوع الإبادة يخص الصهيونية وحدها وينفصل عن قضيتنا نحن.وأن الربط بين الإبادة واغتصاب فلسطين هو حقيقة صهيونية. فإذا اعتقد العربي أو المسلم العالمي أو المسيحي العربي بأن الإبادة حدث تاريخي حقيقي فإنه بذلك يعطي إسرائيل حق اغتصاب فلسطين وحق إبادة العرب والمسلمين.

إن الغرب كله يمتلك عقيدة الإبادة ويمارسها، وقد مارسها هو نفسه منذ قرون ومارسها في الحرب الثانية . ويمكن إدانة الغرب كله بعدائه لليهود وبممارسة عدائية واضحة لا لبس فيها قبل الحرب وأثنائها.

وإن الفكر الصهيوني نفسه الذي ظهر قبل الحرب وأثناءها كان يحمل طابع العدائية والتدميرية والإبادة،في هذا الإطار يمكن اكتشاف تورط كثير من الشخصيات الفكرية الأساسية في الحضارة الغربية (مثل هايدجر) مع النازيين، ويمكن التحقيق في تصرف أيزنهاور الذي أمر بضرب القطارات التي كانت تقل اليهود إلىٰ معسكرات الاعتقال والسخرة، ورفض الدول الغربية فتح أبوابها للمهاجرين اليهود .فإبراز تورط هايدجر وغيره قد يشير إلىٰ تورط الحضارة بأسرها وقد يقوض المعنىٰ الغربي المفروض علىٰ الإبادة. والحقيقة هي أن الغرب كله والصهيونية كانوا أمام قضية يدركون هم جميعاً بأنها كاذبة ويريدون أيقنتها. فكان لهم ما يريدون لأنهم القادة الذين يقررون وليس لأي اعتبار آخر. وإن ضرورة الأيقنة إنما كان أمراً مفروضاً عليهم ليبرروا من خلاله كافة المجازر التي ارتكبوها والتي أصبحت إسرائيل آنذاك عازمة علىٰ ارتكابها. والمجازر الأخرىٰ التي ارتكبها الغرب بعد ذلك في لبنان وأفغانستان والبوسنة والعراق والصومال.وليكون هذا التبرير

خاصا بالتاريخ وبالشعوب فحسب.

وكانت الأيقنة تبرر جريمة تاريخية كبيرة يفعلها الغرب وهي منح الصهاينة أرضاً ليست لهم والسماح بطرد وإبادة شعبها. إذ أعطىٰ الحلفاء أرض فلسطين لليهود واعترفت الأمم المتحدة بدولة إسرائيل. ومنحت ألمانيا تعويضات لتمويل الدولة الفتية. وحتىٰ يومنا هذا لم تنتهِ قضية الشعب الفلسطيني والنضال الفلسطيني، وبالتالي فلا يستطيع الغرب الاعتراف بجريمته. وهذا يعني أنه لا يستطيع أن يرفع التقديس عن ذكرىٰ الإبادة. ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري:

إن فتح باب الاجتهاد بخصوص الإبادة يعني في واقع الأمر فتح باب الاجتهاد بخصوص الأساس الفلسفي الذي تستند إليه الحداثة الغربية بأسرها. ومن هذا السكوت المتعمّد عن جرائم الغرب نفسه اضطر الغرب للسكوت عن الإبادة.

وإن الغرب نفسه كان متورطاً في القضية اليهودية كلها، فالغرب كان يرفض استقبال اليهود الذين طردهم هتلر من ألمانيا، والغرب كان من قبل الحرب الثانية يعدّ مشاريع للتخلص من اليهود وتقضي تلك المشاريع بتهجيرهم عن أوروبا. وبعد نهاية الحرب منحتهم بريطانيا وعد بلفور لتوطينهم في فلسطين.

إن المشكلة التي لأجلها دعىٰ الغرب إلىٰ أيقنة الإبادة مازالت قائمة حتىٰ اليوم، بل وقد تولدت عنها مشكلات سياسية كبيرة، وتلك هي قيام دولة صهيونية في أرض فلسطين. وإن بقاء مشكلة قيام إسرائيل معلقة حتىٰ اليوم واستمرار النزاع بشأنها واستمرار المقاومة الفلسطينية والعربية والإسلامية كل ذلك يمنع الغرب من كشف الحقيقة، وهي جريمتهم بمساندة الصهاينة الذين ارتكبوا جرائم كبيرة في فلسطين.

وإن اعترف الغرب بأن الإبادة لم تكن سوىٰ أكذوبة فسينتج عن ذلك تورطه في كل الجرائم الصهيونية. وإن السياق السياسي للأحداث الأخيرة يدل علىٰ زيادة تورط الغرب في مساندة الصهاينة وارتكاب جرائم جديدة لأجلها. ومن ذلك غزو أفغانستان وغزو العراق، وتهديد إيران، وهذا يعني أن الغرب لن يمضي في طريق

كشف الحقائق بل يستمر في التورط بالجريمة.

والحقيقة أن كل المشكلات السياسية الأخيرة التي نشأت بين المسلمين والغرب بل إن قيام جماعة القاعدة في تدمير مبنىٰ التجارة العالمي في نيويورك، وتدمير قطارات في إسبانيا، وإن كل النزاعات الأخيرة بين أمريكا والعرب والمسلمين كانت نتيجة للتورط الغربي مع الكيان الصهيوني ولمساندته له.

اليهود حققوا أعلى المكاسب من الحرب العالمية الثانية

لعل من أغرب نتائج الحرب العالمية الثانية تلك التي حققها اليهود فخرجوا بمكاسب لا تضاهىٰ، مكاسب لم تحصل علىٰ ما يوازيها تلك الدول العظمىٰ التي صنعت السلاح وحاربت ودفعت مئات الآلاف من القتلىٰ، وتهدمت مدنها.

1. لقد حقق اليهود أقلّ وأدنىٰ الخسائر من الحرب العالمية الثانية، وبالوقت نفسه نالوا أعلىٰ المكاسب .
2. وقف اليهود موقف العداء لهتلر في زمن الحرب وتحالفوا مع الدول القوية التي كتب لها النصر.
3. خدع اليهود شعوب العالم كله بأكذوبة المحرقة
4. خدع اليهود رب اليهود بخديعة مفادها أن الشعب اليهودي قد أحرق وأبيد، ويتوجب علىٰ رب اليهود أن يعينه ويخلّصه ويقيم له دولة في أرض الميعاد. وسنثبت هذا الرأي في الصفحات التالية في هذا الكتاب.
5. لجم اليهود أفواه حكام العالم كله آنذاك فأجبروهم علىٰ تأييد حدوث المحرقة.
6. أخرجت اليهودية المتطرفة صورة أسطورية من التوراة لا يستطيع العقل الواعي في القرن العشرين أن يؤمن بها، وجعلتها حقيقة وفرضتها علىٰ أذهان وعقول البشر المعاصرين.وألزمت الجميع بترسيخها في الأذهان بل ومنعت بقوة أية محاولة للتفكير أو التشكيك بها.

7. أجبر اليهود حكام العالم منذ قيام دولة إسرائيل وحتىٰ اليوم بسنّ قوانين تمنع البحث في أكذوبة المحرقة وكشف الحقيقة وبمنع توجيه أي انتقاد للصهيونية.

8. كسبت إسرائيل موطناً لليهود، وقيام دولة إسرائيل.

9. كسبت الحركة الصهيونية تعويضات مالية كبيرة ساعدتها آنذاك في إنشاء دولة إسرائيل.

10. مارست الصهيونية سياسة التطهير العرقي والإبادة والطرد ضد الشعب الفلسطيني وأجبرت شعوب وحكام العالم علىٰ السكوت عن جرائمها الوحشية.

11. استطاعت الصهيونية أن تفرض في العالم كله (عدا دول المواجهة مع إسرائيل) قوانين تجعل كل ما هو يهودي فهو محصّن وكل ما هو صهيوني وإسرائيلي فهو محصّن من الانتقاد أو السخرية أو البحث ، هذا في زمن وفي مجتمعات لم تعد تحصّن شيئاً آخر من الانتقاد أو البحث.

الصهيونية ترفض تهجير اليهود الألمان:

انعقد مؤتمر ايفيان في سويسرا عام 1938 بناء علىٰ دعوة الرئيس الأمريكي روزفيلت، لتسهيل تهجير اليهود من ألمانيا. وحضرته ثلاثون دولة آنذاك. وقالت غولدا مائير ممثلة الوكالة اليهودية في المؤتمر: «. نطلب من جميع المؤتمرين عدم فتح أبواب دولهم أمام المهاجرين اليهود إليها فإما أن يهاجروا إلىٰ فلسطين أو أن يبقوا في معسكرات الاعتقال النازية..» ويثبت هذا التصريح أنه لم تكن هناك أية خشية علىٰ إبادة اليهود في المعتقلات والكانتونات النازية.وأنه لم تكن تحدث في تلك المعتقلات أية إبادة حسب رؤية كافة المؤتمرين في إيفيان.

وفي العام 1944 انعقدت اجتماعات سرية في إستانبول وفيها عرضت ألمانيا النازية إجلاء كافة اليهود من المعسكرات النازية مقابل تعويضات قدرها عشرة آلاف سيارة وعدة أطنان من الشاي والقهوة، فرفضت الحركة الصهيونية تلك المبادلة بحجة أنها تدعم المجهود الحربي الألماني. وهذا دليل آخر علىٰ عدم حدوث الإبادة.

تاريخ اليهود تاريخ الكذب

ليست هذه أول أكذوبة عالمية يبتدعها اليهود ويسوّقونها للعالم، بل إنهم ابتدعوا وسوّقوا أكاذيب تاريخية شديدة الخطورة،وفي هذا السياق لابد من التذكير بأن نصوص وتعليمات العهد القديم لا تمنع علىٰ اليهود الكذب والغش والاحتيال علىٰ شعوب العالم بل إنها تشجعهم علىٰ اتباع كافة الطرق الخبيثة بكل أنواعها للتغلب علىٰ الشعوب الأخرىٰ. ومن ذلك الكذب الذي أصبح أحد سمات الشخصية اليهودية. وإن تاريخ اليهود كله هو تاريخ الكذب، ولن نجد فيه شيئاً غير الكذب.

1. **الكذب اليومي:** في كل يوم يلاحظ المراقب أكاذيب جديدة تفتعلها الحكومة الصهيونية، وأصبح الكذب أحد ميزات الإعلام الصهيوني. فأحياناً تنشر الصحف أخباراً عن مفاوضات سلام سورية إسرائيلية سرية، وعلىٰ الفور يكذّب الصحيفة أطراف عديدون. كما وتنشر الإذاعة الصهيونية أخباراً كاذبة عن الدول العربية. وفي زمن الحرب اعتاد المواطن العربي علىٰ عدم تصديق الإعلام الصهيوني وكافة بياناته.
2. **الكذب علىٰ الأنبياء:** كان اليهود يكذبون علىٰ الأنبياء ويكذبون علىٰ الله، وتؤكد ذلك نصوص العهد القديم نفسها، والعديد من الآيات القرآنية الكريمة.
3. **أكذوبة اللغة العبرية:** يدّعي اليهود بأن لغتهم العبرية قد وجدت قبل دخولهم أرض فلسطين، (القرن الثالث عشر ق م) ويطلقون عليها عبرية التوراة، في حين أن العبرية التي كتبوا بها التوراة مشتقة من الآرامية وتلك لم تظهر إلّا بعد أكثر من ستمائة سنة علىٰ دخول اليهود أرض فلسطين.(41)
4. **تزوير القطع الأثرية:** في بحثهم عن هيكل سليمان الخرافي والذي لا وجود له قام الصهاينة منذ قيام الكيان الصهيوني بالبحث والتنقيب عن آثار عبرية تثبت وجود الهيكل فلم يحصلوا علىٰ شيء. فلجؤوا إلىٰ تزوير قطع أثرية وتوزيعها علىٰ متاحف عالمية ليثبتوا للشعوب وللتاريخ أحقيتهم بأرض فلسطين، وهم

بذلك يخدعون العالم والتاريخ والثقافة والفكر ويخدعون أنفسهم ويخدعون العقل اليهودي نفسه. وقامت لجان عالمية متخصصة بالآثار بفحص تلك القطع الأثرية التي توزعها الدولة العبرية وأثبتوا زيفها . كما وتحدث علماء آثار ومؤرخون يهود من داخل الكيان الصهيوني نفسه عن تلك القطع المزورة الكثيرة. وعن الخبث والخطر في تزويرها.(43)

5. **تزوير واسع للتاريخ**: قام اليهود بتزوير الكثير من الحقائق التاريخية طوال العصور الماضية، وجعلوها تتناسب مع مزاعمهم بالحق في استيطان أرض فلسطين. ومن ذلك تزوير نصوص العهد القديم التي تتعلق بأسماء المواقع والمدن وتواريخ الأحداث ونشاطات الشعوب ويقول الدكتور أحمد سوسة: (إن كذبة تاريخ اليهود هي أكبر كذبة في التاريخ البشري (42) وقد اعترف الباحث الفرنسي جان لويس برنارد بذلك وقال: ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الأقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايات فعبرنوا كل المعلومات ولكن لماذا كانت هذه اللصوصية من قبل اليهود؟ (41)
6. **الأكذوبة الفلسفية**: وهي تسخير نتاج فلسفي ضخم لخدمة المشروع الصهيوني، في أيقنة الإبادة على الصعيد العالمي كله، وفي تخريب العقيدة المسيحية وإزاحة عقائد الإيمان بالله وفي منح إسرائيل وكافة كياناتها قداسة إلهية تحلّ محل قداسة الرب اليهودي.
7. **نقض العهود**: ومن صفات الشخصية اليهودية نقض العهود والمواثيق، ونلاحظ ذلك في كافة أعمال المؤسسة الصهيونية، فبرغم صداقتهم المعلنة مع دول الغرب القوية، نجدهم ينشرون جواسيس داخل تلك الدول ويسرقون معلومات كبيرة، ولعلّ من أشهر ما سرقه الجواسيس الصهاينة: سرقة مخططات ومواصفات طائرة ميراج من مصانعها في فرنسا، وسرقة تقنيات نووية من دول غربية عديدة. ويصفهم الله سبحانه أفضل وصف في هذه الآية الكريمة:

﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة2/ 100].

8. **تزوير حديث لنصوص العهد القديم:** تابع اليهود في العصر الحديث تزوير نصوص العهد القديم بالشكل الذي يتناسب مع سياسة ومزاعم الدولة الصهيونية في استعمارها للأراضي العربية.والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جداً وقد درسها العديد من المختصين ، ولنأخذ بعضاً منها:

- « **14 فقال الله لموسىٰ أهية الذي أهية**» عن سفر الخروج، الإصحاح الثالث ، طبعة عام 1993 منشورات حول العالم.
- «**14 أهي أشر أهي**» طبعة عام 1625 وطبعة عام 1844
- «**فله الأزلي الذي لا يزال**» طبعة عام 1811.
- «**الأزلي الذي لا يزال**» طبعة أخرىٰ في عام 1811
- «**أهي الذي أهي**» طبعة عام 1970.

ونلاحظ الاختلافات في الآية نفسها ، تلك التي ينشأ عنها اختلاف في المعنىٰ، ويذكر بأن علاقة اليهود مع الشعوب الأخرىٰ تميزت طوال العصور بأعمال غش وخداع ونفاق ومراءاة من جانب اليهود.

فليس جديداً إذاً علىٰ اليهود أن يبتدعوا في القرن العشرين أكذوبة الإبادة النازية ويسوّقونها للعالم كله.

وفي كثير من النصوص التوراتية يعتبر الرب أن يهوده أفّاقون في الكذب ولذلك فهو لا يأخذ بكلّ أفعالهم وأقوالهم. وكثيراً ما يلحّ عليهم بفعل ما يأمرهم ويؤكدّ ذلك مرات عديدة لأنه يعرف كذبهم.وعلىٰ الدوام فرب اليهود لا يصدق شعبه ويطلب منهم البراهين. فيطلب منهم مثلاً أن يحرقوا الأضحية أمام الرب أي أمام ناظريه ، وألا يحرقوها داخل مبنىٰ المحرقة فهناك لا يرىٰ أفعالهم. وتقول النصوص : «**تحرقونه أمام الرب.**» لأنكم تكذبون فلا يصدق الرب إذا ما كذبتم عليه وقلتم بأنكم أحرقتم

الأضحية داخل مذبح المحرقة. ولاشك في أن هذه النصوص التي وضعها متخلفون يهود عززت فعل الكذب عند اليهود. ومن هنا ندرك أنهم ببساطة شديدة يمكنهم أن يؤمنوا وأن يعتقدوا بأنهم يخدعون الرب ويكذبون عليه عندما يبتدعون أساطير الإبادة النازية.

ونلاحظ باستمرار اعتياد الصهاينة اليهود علىٰ الكذب وإدراجهم الكذب في كافة تصريحاتهم اليومية بدون استثناء. فكلما تابعنا برنامجاً إعلامياً حوارياً، تتجلّىٰ لنا بوضوح أكاذيب المتحدث الصهيوني. وهم يجرؤون علىٰ الجهر بالكذب فتأتي الأكذوبة مخالفة لوقائع وشهود ونصوص وأحياناً لفيلم تسجيلي رآه العالم كله علىٰ شاشات التلفزة. ومن الأفلام التي كذّبها الصهاينة : فيلم يعرض قتل الأسرىٰ اليهود وعرض في مطلع آذار 2007، وفيلم يعرض استخدام العرب كدريئة في أعمالهم العدائية في الأراضي الفلسطينية.

الشخصية اليهودية عبر العصور

في القرآن الكريم يصف الله سبحانه اليهود أفضل وصف يستحقونه ويقول:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران3/ 113].

فمنذ عصر النبي موسىٰ (عليه السلام) كان اليهود ينكرون نعم الله عليهم ويكفرون برسالته السماوية ويحرّفونها، وكانوا يتحدّون موسىٰ ويتحدّون ربه كما يثبت ذلك القرآن الكريم وتثبته أيضاً نصوص العهد القديم المزورة التي بين أيدينا اليوم.

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة يصفهم الله حين تحدّوا شريعته ونبيه موسىٰ، فأنزل الله عليهم صاعقة، ثم لم يؤمنوا واتخذوا العجل.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [النساء4/ 153].

وداخل المجتمعات العالمية ظلّت الشخصية اليهودية عرضة للنقض والسخرية واللوم علىٰ الدوام. فعند توجيه انتقاد لشخص ما اعتاد الأوروبيون والعرب علىٰ وصفه أحياناً باليهودي. إذ يقول الأوروبيون والعرب لشخص غير مرغوب بوجوده: (اخرج إنك يهودي) أو يقولون عن شخص كذوب : (كاذب يهودي) وكان اليهود طوال العصور حجر عثرة في المجتمعات الغربية، وكانوا هم الفئة المكروهة والمغضوب عليها باستمرار في أوروبا.

وفي العصر الإسلامي الأوروبي، وفي ظلّ تسامح المسلمين مع الآخرين، وبفضل اعتبارهم لليهود أصحاب ديانة سماوية منح اليهود حريات وسلطات لم يعرفوها في أوروبا طوال فترة إقامتهم فيها، فازدهرت تجارتهم وكبرت أرصدتهم، وتمكنوا من السيطرة علىٰ الصناعة والتجارة والإنتاج الزراعي ونظام الإقراض، وبعد انهزام المسلمين واندحارهم عن أوروبا ظلّ اليهود محافظين علىٰ ثرواتهم التي مكّنتهم من التقرب إلىٰ السلطة والسلاطين.

اتسم **مسلمو** الأندلس بالانفتاح الحضاري الواسع علىٰ الآخر،وبالتسامح وبالقابلية للاندماج الاجتماعي والثقافي والفكري. وبفضل ذلك التسامح الإسلامي عرف يهود الأندلس أعظم ازدهار في تاريخ اليهودية كلّه. وللتعرف علىٰ ذلك الانفتاح نتصفح كتاب **ثقافة التسامح في إسبانيا الوسيطة** الذي صدر في العام 2002، لمؤلفته الكاتبة الإسبانية مينوكال التي تقول:

اختار اليهود الأندلسيون طريق الاندماج في الثقافة العربية الإسلامية، وانفتح الباب علىٰ مصراعيه أمام وجوههم، حتىٰ بلغوا أعلىٰ المراتب عن جدارة وكفاءة، وبرز منهم من وصل منصب وزير الخليفة. ويعتبر حسداي بن شبروت المزداد بقرطبة عام 915 نموذجا لثقافة الاندماج والتسامح، وهذا بعد أن كانوا يحتلون أسفل المراتب

الاجتماعية والثقافية في عهد القوط المسيحيين. ومع ذلك لم تؤاخذ العشيرة اليهودية حسداي علىٰ النجاح الذي حققه داخل الخلافة، بل بقي «ناصي» العشيرة وأميرها، وكان يرتفع شأنه في كل سنة، فعاش اليهود حالة التفتح والرخاء التامين. ومن مظاهر تأثير الاستعراب في الثقافة اليهودية والديانة اليهودية عودة الحياة للعبرية وخروجها للمرة الأولىٰ منذ آلاف السنين من المعابد لتصبح متعددة الاستعمال، وتنظيم شعر حي يفيض بالعذوبة والجمال.

تقول المؤلفة بهذا الخصوص «كان أقرب إلىٰ المعجزة أن تتمكن العبرية من جديد من نظم شعر حي، قد نقول عنه إنه عريق، وقد تأتّىٰ ذلك من أن العديد من اليهود الذين ازدهروا في الخلافة العربية التي كانوا يحسّون أنهم ينتمون إليها، وجدوا أنفسهم الآن في عالم مختلف تماماً عن السابق. في أرض الهجرة هذه، بعيداً عن خلافة قرطبة، اكتشفوا من جديد موروثهم الخاص الذي كان مستتراً منذ زمن، ورأوا أن لغة التوراة تستحق، مثل لغة المسلمين -التي اشتركوا معهم فيها منذ زمن- أن تتجاوز حدود الصلاة» فتجاوزت الصلاة إلىٰ الغزل والحب وغير ذلك.

وإنّ ظهور ما سمي بمشروع الحل النهائي للمشكلة اليهودية يدل علىٰ الاستياء الكبير من وجودهم داخل المجتمعات الأوروبية. وكان زعماء الصهيونية يدركون تلك الكراهية ويصرحون بوجودها، ويعترفون بها. ولذلك جاء المشروع الصهيوني بالهجرة إلىٰ فلسطين كحل لمشكلة نبذ اليهود داخل المجتمعات الغربية وذلك حسب وجهة نظر الصهاينة أنفسهم.

وفي العصر الحالي، مازالت المجتمعات الغربية تنبذ اليهودي المواطن داخلها، وتنظر إليه بعين السخرية والازدراء والاستخفاف. ويلاحظ العرب المغتربون وجود هذه الحالة.

وقد كنت في ساحة عامة في باريس أحضر عرضاً فنياً وكان عدد الحضور يزيد عن 500 شخص وهم سياح من كافة الجنسيَات العالمية، وكعادته اختار الفنان واحداً

من الحاضرين وجعله علىٰ منصة العرض وسأله من أية دولة أنت؟ فأجابه الآخر: من إسرائيل. فضحك جميع الحاضرين ضحكة سخرية واستخفاف. وأثناء الأداء أعاد الفنان عبارة إسرائيل عدة مرات وفي كل مرة كان يُضحِكُ المتفرجين جميعاً.

وفي الآداب الأوروبية، في الرواية والمسرح انتقد كثير من الأدباء الغربيين الشخصية اليهودية، ولعلّ أهم من عالج عيوبها كان الكاتب الانكليزي (وليم شيكسبير في مسرحيته تاجر البندقية) الشهيرة والتي ظهرت في القرن الخامس عشر، وقد جعل شيكسبير من شايلوك اليهودي بطل مسرحيته ووصفه بهذه الصفات:

- يعادي ويكره المواطنين المسيحيين وديانتهم.
- يأخذ الربا من المسيحيين وهو حرام.
- يمتلك رغبة كبيرة بأخذ دم المسيحي واقتطاع قلبه من صدره.
- يتصف بالغباء والتخلف والبلادة.
- يتصف بقلب قاس وجشع وحاقد وماكر.

ولنقرأ ما يقوله أنطونيوس في مسرحية تاجر البندقية في وصف اليهودي:

وإن عناده وبغضاءه لا يوصفان أبداً

وإنك بمحاورتك له ياباسانيو:

كأنك تقف علىٰ الشاطئ

وتأمر البحر بإيقاف المد والجزر

وكأنما تسأل الذئب عن سبب

افتراسه للدجاجة أو النعجة الباكية

بل وكأنك تسعىٰ لتليين أقسىٰ

مادة من بين المعادن والحجارة

وهي قلب يهودي.

فاصبر يا صديقي

ولن تقدر على فعل شيء لأجلي

وسيأكلني اليهودي بكرهه

وليرحمني الرب.

وهذا الوصف الذي يراه شيكسبير نجده في سورة البقرة، ومما لاشك فيه بأن شيكسبير قد اطلع على ترجمة لنصوص القرآن الكريم واعتمد عليها في فكره ونتاجه.

يصف الله سبحانه وتعالى قساوة القلب اليهودي، ويشبهها بأعتى من قساوة الحجارة، فالحجارة نفسها تلين وتتشقق وتتكسّر وتنفجر منها الأنهار، لكن قلب اليهودي لايلين مثلها.

يقول الله سبحانه في سورة البقرة: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة2/ 74].

وفي مسرحية شيكسبير يقول دوق البندقية وهو يرجو اليهودي شايلوك أن يعفو عن أنطونيوس المسيحي ويترك له لحم جسده فلا يذبحه ولا يقتطع قلبه من صدره:

الدوق: تفضل يا شايلوك اسمع ما أقوله لك:

نعتقد أنك ستتراجع في الدقائق الأخيرة

عن كرهك الأعمى لهذا الرجل الطيب

وأنك ممكن أن تشفق عليه

وأن تتحلى ببعض الإنسانية

وتترك له لحمه

وتعفيه من نصف دَينه

وإن قساة الترك والمغول والتتار

يلينون في مثل هذه الحالة

وإن الذين صنعت قلوبهم من نحاس مقسّى

يعطفون على هذا التاجر الذي خسر أملاكه.

فنرجو منك الموافقة والتسامح.

وفي مسرحية أنطونيوس وكليوباترا تخاطب الملكة رسولاً جاءها يحمل أخباراً تزعجها عن حبيبها أنطونيوس ، فقامت بضرب الرسول وهددته بالعقوبة الكبيرة لـه وتابعت الهزء به فاتهمته باليهودية كما نرىٰ في المقطع التالي: كليوباترا: **اهرب من أمامي**

أيها التاجر اليهودي.

فبضاعتك التي حملتها من روما.

باهظة الثمن بالنسبة لي.

ترىٰ المسيحية التقليدية أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح وتحقد عليهم تاريخياً. وقد تبدّل هذا المفهوم عند مسيحيي الغرب في العصور الوسطىٰ ، إذ اعتبر اليهود شهوداً علىٰ قدسية الإله.وفي أوروبا كان المجتمع الغربي طوال عصور يعتبر اليهود عالة ومتطفلين علىٰ الشعوب الغربية وكان يستمر السعي للتخلص منهم، وكان وضعهم في تلك الدول كوضع الغجر والأقليات الأخرىٰ المنبوذة. وكان بعض اليهود يرتكبون جرائم ذبح أطفال مسيحيين في أوروبا، ويصنعون من دماء الأطفال الذكور فطيراً يعتبرونه مقدساً وواجباً، ويقدّمونه للرب. ويعتبرون أن الرب هو الذي أمرهم بذلك. وقد حدثت عدة مرات في بلدان المشرق العربي سرقة أطفال ذكور بكر وقتلهم وانكشفت تلك الجرائم وعوقب اليهود عليها، وفي بلاد الشام سادت منذ مئات السنين عادة الخوف من خروج الطفل وحده وتغيبه عن البيت واعتاد الناس تحذير أولادهم من الخطف والذبح الذي يقوم به اليهود. وما تلك العادة إلّا نتيجة أعمال الخطف التي قام بها يهود سفاحون.

وإن أحداث خطف الأولاد تسببت في العديد من الدول الأوروبية بانتشار كراهية لليهود وذعر منهم. بل وقد صدرت قوانين عديدة تحدّ من تنقلاتهم ونشاطاتهم بسبب تلك الجرائم. ولنذكر الآن بعضاً منها:

1. ففي القرن الرابع الميلادي وفي عهد القيصر قسطنطين طرد اليهود من بعض المقاطعات الروسية لأنهم أقدموا علىٰ صلب طفل يوم الجمعة الحزينة.
2. في عام 1914 أقدم يهود سورية علىٰ صلب عدد من الأطفال المسيحيين ونفّذ بهم حكم الإعدام.
3. في القرن السابع الميلادي طرد اليهود من مدينة أنطاكية السورية لأنهم أقدموا علىٰ قتل الأسقف أنستاسي وعدد من الأطفال المسيحيين.
4. في العام 1067 ألقىٰ عدد من سكان مدينة براغ التشيكية ستة يهود لأنهم أقدموا علىٰ قتل طفل مسيحي.
5. في العام 1172 صلب اليهود طفلاً مسيحياً، وفي العام 1178 صلبوا طفلاً آخر فانكشفت الجريمة. حيث ألقي الطفلان في نهر لوار. وتم إحراق اليهود القتلة.
6. في العام 1175 قتل اليهود طفلاً مسيحياً آخر فأقدم الأهالي علىٰ حرق عدد من الحاخامات اليهود، وفي العام 1180 وبسبب تكرار الجرائم اليهودية صدر أمر ملكي يقضي بطرد جميع اليهود من فرنسا
7. في العام 1255 خطف اليهود طفلاً مسيحياً وعذبوه وصلبوه، ولمّا عثر علىٰ جثته تفجرت موجة غضب عارمة ضد اليهود، فسحل أحدهم علىٰ الفور واقتيد تسعون يهودياً إلىٰ لندن ونفذ فيهم حكم الإعدام. (وإن مئات من هذه الجرائم مثبتة ومعروفة، ويمكن الاطلاع عليها بدقة)

ولهذه الأسباب العديدة ظهرت في أوروبا فكرة التخلص من اليهود. وقبل الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة إرسالهم إلىٰ فلسطين، وبالفعل فقبل قيام الحرب العالمية الثانية وبالاتفاق مع حكومة الرايخ كانت المنظمات الصهيونية اليهودية تهجّر اليهود إلىٰ فلسطين باستمرار، وقد بلغ الرقم الأسبوعي للمهجرين اليهود إلىٰ 400 يهودي. ثم رأىٰ هتلر بأن يفرض عليهم الإقامة في مناطق أوروبا الشرقية. ثم ظهر مشروع إرسالهم إلىٰ مدغشقر. وبعد انتهاء الحرب وحين أعطت بريطانيا لهم وعد

بلفور، ورغم أنها كانت تقدم خدمة للصهيونية آنذاك. إنما كانت بريطانيا ودول الحلفاء يقومون بمشروع إبعاد اليهود عن بلدانهم والتخلص منهم.

وحين قامت المنظمات اليهودية الضاغطة بمنع انتقاد أسطورة المحرقة والتشكيك فيها وبسنّ قانون يتهم باللاسامية كل شخص ينتقد الشخصية اليهودية، إنما كانت تلك المنظمات تنتقم لأعمال السخرية والنقد التي كانت توجه للشخصية اليهودية طوال قرون، وترسم شخصية جديدة لليهودية ، شخصية يحرّم انتقادها في العالم كله. وتمحو كلّ المهانات التي ظلّت توجه لليهود طوال تاريخهم الطويل. لكن لأن الشخصية اليهودية لم تتطور ولم تتحسن في حد ذاتها، فإن تلك المهانات بقيت توجّه إليها.

لكن بالنتيجة وبقيام دولة إسرائيل فقد ظهرت شخصية صهيونية يهودية أكثر قتامة وزحشية من تلك الشخصيات اليهودية القديمة التي نسمع عنها. بل إنه بقيام هذه الدولة أصبح للشر دولة وللباطل دولة وأصبح لسفاكي الدماء دولة تبرر كل جرائمهم..وبالمقابل فقد ظلّت الانتقادات والعيوب توجّه للشخصية اليهودية حتىٰ يومنا هذا. وبهذا خسرت الشخصية اليهودية كل الأوراق. وزادت الجرائم الصهيونية وأصبحت عاراً علىٰ اليهودية. وسيبقىٰ هذا العار يلاصقها طوال العصور القادمة. ورغم أن الصهيونية كسبت قيام دولة هزيلة فإنها مازالت وستبقىٰ علىٰ الدوام مهددة بالزوال. وفي كل يوم نسمع تصريحات منْ الصهاينة أنفسهم تشكو من هذا التهديد القوي والحقيقي بالزوال.

يقول الكاتب الأمريكي مارك كوهين (51) :

عانىٰ اليهود علىٰ مر تاريخ المسيحية الأوروبية من الاضطهاد والعداء للسامية.

كانت المسيحية القديمة في منافسة مباشرة مع اليهودية التي كانت تعيش في اطمئنان في ظل الإمبراطورية الرومانية، ومنذ ذلك الوقت كان الصراع مع اليهودية يعتبر من خصائص التعريف الذاتي للمسيحية. وعلىٰ العكس من ذلك فقد كان اليهود في أوروبا المسيحية محسوبين علىٰ أمراء منفردين، وكانت هناك قوانين عنصرية خاصة

تفرض علىٰ اليهود كإجبارهم علىٰ الإقامة في مناطق خاصة بهم، وبناء عليها كانوا «خارج» المجتمع، وكان بإمكان الأمير إلغاء تلك القوانين في كل وقت. وكانت تلك خطوات وأعمالاً تؤدي إلىٰ فصلهم ونبذهم وإبعادهم عن المجتمع المسيحي ككل. وكانوا يتعرضون للمذابح الجماعية وللتشريد في مدد قصيرة نسبياً. ولأن المسيحية القديمة كانت لا تحبذ جمع الثروات ولا تهتم بمال الدنيا، في وقت كان اليهود فيه يجمعون الثروات باستمرار الأمر الذي جعلهم مشبوهين كتجار- وكانوا في الحقيقة مشبوهين. وعندما بدأ التجار النصارىٰ في الظهور بازدياد، كانوا ينظرون إلىٰ اليهود نظرة المنافسين. وبهذا كان الوضع الأمني لليهود يتدهور في زمن الرخاء الاقتصادي. أما في ظل الحكم الإسلامي فقد كان الرخاء والأمن بين اليهود يعكس وضع المجتمع كله. وكان اليهود مضطهدين في مسيحية العصور الوسطىٰ ، حيث إن المؤرخين – ابتداء من القرن الثاني عشر علىٰ وجه الخصوص – وصفوا تلك العصور بـ «مجتمع الاضطهاد ، أما في الحضارة الإسلامية فكانوا كبقية الأقليات التي كانت كثيرة ومتعايشة في ظل الإسلام. لقد وجد مارك كوهين أدلة علىٰ اختلاف مكانة اليهود في تاريخ الأدب أيضاً، ففي ذاكرة اليهود المدونة تاريخياً يوجد العديد من شواهد المحن في مسيحية العصور الوسطىٰ. أما في التراث الثقافي الإسلامي، وعلىٰ مدىٰ زمن طويل، فلم يكن الأمر كذلك، مما أدىٰ إلىٰ الإقرار بأن التعايش العربي-اليهودي خلال التاريخ الإسلامي كان يطغىٰ عليه الانسجام الكامل.وأن هذا الانسجام سيستمر مع تطور الأحداث.

إلَّا أنه ثمة توهماً معاكساً يقول أصحابه بأن اليهود كانوا ضحايا لاعتداءات مستمرة في المجتمعات العربية. ويدحض كوهين كلا التصورين الواهمين. ويرجع وجود هذين الاعتقادين إلىٰ أن معظم الكتّاب كانوا متأثرين بالماضي في قراءتهم للحاضر الجديد الذي تمثّل بقيام دولة إسرائيل. وفي النهاية يتوصل كوهين إلىٰ نتيجة مفادها أن الاعتداء الإسرائيلي علىٰ العرب المسلمين كان نكراناً لاحتوائهم لليهود طوال عصور خلت. وأنه هو الذي سبب نمو العداء الحديث لليهودية عندهم. لم

يعرف الإسلام هذا «الحب الممزوج بالكراهية» تجاه «أهل الكتاب» ومنهم اليهود، وكانت هناك ضغوطات بسبب فرض الجزية والأوامر الخاصة بالملابس في بعض الأماكن تلك التي يعتبرها الكاتب إهانات، إلّا أن العلاقة كانت مرتبة ترتيباً تدريجياً، حيث لعب اليهود والنصارىٰ دوراً واضحاً في الشريعة الإسلامية فكان دورهم «داخل المجتمع». وكان في المجتمعات الإسلامية كثير من الجماعات العرقية والدينية – مثل العرب والفرس والبربر والأكراد والأتراك واليهود والنصارىٰ والزرادشت – لدرجة أن الحدود بين تلك الجماعات كانت مألوفة جداً. فقد كان المسلمون تجاراً من قديم الزمان، ويقدّرون هذا النوع من العمل. وازدهرت المدن الإسلامية بفضل التجارة، حتىٰ أن اليهود– وكان أغلبهم يسكنون المدن – لم يلفتوا الأنظار إلىٰ أنفسهم. بينما كانت وسط أوروبا في العصور الوسطىٰ ذات طابع زراعي كبير، ولهذا كانوا ينظرون إلىٰ سكان المدن ، وكان بينهم تجار يهود نظرة تحفظية. إن العداء للسامية منتشر اليوم بين المسلمين انتشاراً واسعاً وذلك بسبب الصراع العربي الإسرائيلي. والخلفيات التاريخية قد تمكننا من الإجابة علىٰ الأسئلة الآتية: هل يمكن لمتغيرات سياسية أن تخفف من حدة هذا العداء كالوصول إلىٰ حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط، لأن العيش في تسامح ووئام محفور في الذاكرة التاريخية لكلا الشعبين.

أول مقال فاضح

منذ العام 1945 وحتىٰ العام 1960 ظلّت الأكذوبة مفروضة علىٰ أفراد شعوب العالم، ومحاطة بمنع البحث والتحقيق. وبتاريخ 19 آب 1960 نشر أول مقال يشكك بالتحقيقات حول حدوث الإبادة. كان ذلك في صحيفة (دي تزايت) الأسبوعية الألمانية الشهيرة. التي قالت:

«.. إنه لم يحدث أبداً لا في داش ولا في جميع المعتقلات الألمانية الموجودة ضمن حدود الرايخ القديم أي تعريض للغاز القاتل كما قيل» «ولم يحدث تعريض للغاز القاتل إلّا في الأرض البولونية التي كان يحتلها النازيون».

كان ذلك أول مقال فاضح لأضاليل الصهيونية، (وبناءً عليه سقطت حوالي مئة ألف شهادة كاذبة كانت قد قالت بوجود غرف الغاز في تلك المناطق، ونتج عنها وعلىٰ أساسها إعدام عدد كبير من الذين اتهموا بأعمال الإبادة وانتحار آخرين.) (23) ومنذ ذلك التاريخ بدأت تظهر في أطراف العالم كله شخصيات تمتعت بالجرأة، وبالشعور بالحرية، وراحت تحقق في تلك الأكاذيب. وبالطبع كانوا علىٰ الدوام يتعرضون لمضايقات واعتداءات وملاحقات ومحاكمات، وقد سجن أغلبهم. لكنهم ظلوا صامدين عنيدين يبحثون عن الحقيقة، ومنهم المهندس والباحث الفرنسي هنري روك، والبروفيسور الفرنسي روبير فوريسسون، والسياسي الفرنسي روجيه غارودي، والمؤرخ البريطاني ديفيد هيرفاين الذي علمت بخروجه من السجن أثناء كتابة هذه السطور،ونعوم سومسكي ، وهو يهودي أمريكي وعالم لغويات شهير. وبيير غييوم وهو فرنسي يساري وناشر دولي شهير، وبول راسينيه وهو أديب وكاتب فرنسي ويساري شهير وهو مقاوم قديم ضد النازية وقد كتب العديد من المؤلفات عن المعتقلات النازية التي اعتقل فيها عدة سنوات.ولعلّ أهم حدث عالمي يخص هذه الأبحاث هو انعقاد مؤتمر الأكذوبة في طهران في منتصف كانون الأول 2006 بعزيمة بطولية وثورية من الرئيس الإيراني أحمدي نجاد.

البحث عن الحقيقة

اعتقدت الصهيونية المتطرفة أنها حاكت الأكذوبة بكل الطرق وبأنها أغلقت كل الأبواب التي قد تنفتح عليها، فأمسكت بالإعلام، وأنشأت قوات ضاربة، وألجمت أفواه السياسيين والباحثين ، وفرضت قوانين تمنع البحث وتتهم من تريد باللاسامية. لكن التاريخ نفسه يرفض إلَّا أن تظهر الحقيقة. ونذكر فيما يلي أهم الأعمال البحثية والتاريخية ، ونتعرف علىٰ طرق اعتداء الصهيونية علىٰ الباحثين الأحرار.

ويذكر بأن أهم عمل بحثي عالمي حول قضية المحرقة كان مؤتمر طهران الدولي الذي انعقد في أواخر كانون أول 2006 وقد جمع المؤتمر أكبر عدد من الباحثين تم جمعه حتىٰ ذلك التاريخ في مؤتمر واحد.

ولأول مرة ينعقد مؤتمر من هذا النوع وتتبناه دولة عظيمة وذات شأن عالمي، ويرأسه رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية نفسه.

والحقيقة أن مؤتمر طهران كان صفعة كبيرة تواجهها دولة إسرائيل والمنظمات الصهيونية المتطرفة . وقد حضر المؤتمر وللمرة الأولىٰ عدد من حاخامات اليهود المعادين لدولة الكيان الصهيوني ولسياستها والرافضين لأكذوبة المحرقة.

وأعتقد بأن تسويق أكذوبة الإبادة لن يدوم أكثر من عقد من الزمن. بل إن كل الدلائل باتت تشير علىٰ نهاية تلك الأيقونة المزيفة، وتلك الخديعة الكبيرة. وبالنسبة لنا نحن الأفراد نستطيع أن نؤدي دوراً فاعلاً وكبيراً حينما نعلم أبناءنا ونضيف لأصدقائنا تلك الحقيقة. ونزيل حولنا كل اعتقاد بعقيدة الإبادة. وعندئذ نكون قد أدينا خدمة للقضية العربية والإسلامية، ومنعنا تغلغل الفكر الصهيوني داخل مجتمعاتنا.

مدرسة المراجعة التاريخية

نشطت مدرسة المراجعة التاريخية في الولايات المتحدة منذ عام 1928 وقد أسسها الأستاذ (هاري المر بارنر) وانصبّ اهتمامها آنذاك علىٰ كتابة التاريخ الحقيقي للحرب العالمية الأولىٰ، وأنتجت عدة مئات من الأبحاث الهامة، والخطيرة.فتطورت المدرسة وأسست معهد المراجعة التاريخية في كاليفورنيا ومجلة ودار نشر، كما أصبح لها فروع في لندن وميلبورن ولوس أنجلوس وغيرها.وبعد الحرب العالمية الثانية اهتمت بمسألة اليهود وأسطورة المحرقة.وانضم اليها روبير فوريسون وأصبح ممثلها في فرنسا، وأصبحت تضم كبار المؤرخين العالميين أمثال: أرثر بوتز من أميريكا و سيرج تيبون و بيير غييوم وهنري روك من فرنسا و زونديل من كندا.

وفي فرنسا نشرت المدرسة نتائج دراساتها حول الهولوكوست وجاء فيها:

«غرف الغاز لم تكن موجودة أبداً، وإنه لا يمكن من الناحية العلمية والتاريخية والواقعية أن تكون قد وجدت. وإنما هي جزء من أسطورة الوهم اليهودي».

وقد زار فوريسسون كل الأماكن التي قيل أنها محارق وغرف غاز وتفحصها وأجرىٰ عليها دراسات كاملة وأثبت بالوثائق استحالة حدوث الهولوكوست. وقد ساهم في ذلك البحث التاريخي كل من بيير غييوم و سيرج تيبون و بول راسينيه وبوتز و زونديل و ستاغليش وغيرهم ونشر البحث بعنوان: (**حقيقة تاريخية أم حقيقة سياسية**). وبعد صدوره هاجمته العديد من الصحف الفرنسية وأثيرت ضد الباحثين قضايا وتهم عديدة فتمّت محاكمة فوريسسون وفصله من عمله كأستاذ لمادة الأدب المقارن في جامعة ليون وأرغم علىٰ دفع غرامات مالية كبيرة. كما اعتدي عليه بالضرب عدة مرات،ونجا من محاولة لاغتياله بتاريخ 16 أيلول 1989 ، وقال المحامي سيرج كلاريسفيلد معلقاً علىٰ ذلك الاعتداء: (إن من استفز الجالية اليهودية طوال سنوات عديدة يتوجب عليه أن يتوقع الشيء نفسه الذي حصل له.)

الخطاب الحضاري الغربي

يستمر إنكار الإبادة والكشف عن الحقيقة في الغرب ويزداد يوماً بعد يوم وفي 29 كانون الثاني 2007 نشرت صحيفة هاآريتس الصهيونية مقالاً بعنوان (تزايد معدلات اللاسامية في أوروبا) جاء فيه أن نسبة العداء لليهود قد ازدادت في أوروبا في العام 2006 بنسبة 10 ٪ عن الأعوام السابقة وأن هذا الرقم خطير للغاية حسب المفهوم الصهيوني، وأن أشكال العدائية التي ظهرت تتمثل بالدرجة الأولىٰ في استنكار المحرقة والإبادة ثم في الموقف العام من الحروب الإسرائيلية في الشرق الأوسط. ومما لاشك فيه أن نسبة العداء للصهيونية ومشاريعها ستظل في ازدياد مستمر وأن الأكاذيب الصهيونية ستنكشف كاملة وتتعرىٰ إسرائيل تماماً في مواقف أبناء الغرب وسياسييه وحكّامه وعندئذ ستكون نهاية إسرائيل ولن يطول ذلك حسب تصورنا أكثر من عقد واحد من الزمن.

فمن خلال احتكاكنا مع أبناء المجتمع الغربي نلاحظ استنكارهم لمواقف حكوماتهم الغبية الخاضعة باستمرار لما تمليه عليهم الصهيونية. وهذا الاستنكار

سيترجم إلىٰ نتائج انتخابات وضغوط علىٰ الحكام المستقبليين في الغرب.

إنّ إنكار الإبادة مصطلح يتواتر في الصحف الغربية وفي بعض الأدبيات الخاصة بالإبادة النازية لليهود، وهو يشير إلىٰ أي كتاب أو مؤلف تجرَّأ صاحبه وكتب دراسة تطعن فيما ذهب إليه الكثيرون من أن عدد ضحايا النازية من اليهود ستة ملايين، أو تثير الشكوك بخصوص أفران الغاز وغاز زيكلون ب. وقد صدرت حتىٰ الآن الكثير من الدراسات التي تنكر حدوث الإبادة أو تشكك في الأرقام والأحداث المزعومة ونذكر هنا بعضاً منها.

بول راسينيه عاصر الأحداث

كتب بول راسينيه Paul Rassinier في الخمسينيات من القرن الماضي دراسة ضخمة بعنوان **أسطورة غرف الغاز**. وكان المؤلف قد عاصر الأحداث واعتقل علىٰ يد النازيين رُحِّل إلىٰ أحد معسكرات الاعتقال وجاءت دراسته تحمل شهاداته القيّمة. وفند في كتابه وجود مثل هذه الغرف أساساً وبيَّن أنها أكذوبة تاريخية وأورد إحصاءات ديموجرافية رسمية ومكثّفة ودقيقة عن عدد اليهود في كل أوربا قبل الحرب وبعدها، وعقب صدور كتابه حُوكم راسينيه وناشر الكتاب وعُوقب بالسجن مع إيقاف التنفيذ كما فُرضت عليه غرامة مالية فادحة اضطر لدفعها.

أكذوبة القرن العشرين

من أهم الكتب التي تستنكر الإبادة كتاب البروفسور آرثر باتس Arthur Butz الأستاذ بجامعة نورث ويسترن وقد ترجم كتابه إلىٰ اللغة العربية وظلّ انتشاره وتوزيعه محدوداً، وعنوانه **أكذوبة القرن العشرين** الذي يثير الشكوك حول عملية الإبادة نفسها. ولا يزال البروفسور باتس يُدرِّس في الجامعة في الولايات المتحدة.

دراسات فوريسسون

أصدر روبير فوريسسون أستاذ الأدب في جامعة ليون سلسلة مقالات ثم كتاباً كبيراً كتب مقدمته عالم اللسانيات الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي يثبت أنه لم تكن هناك أصلاً أفران غاز وكان عنوان الكتاب الأكذوبة، وقد اعتمدنا علىٰ بعض شهاداته في تحضير هذه الدراسة. ويذكر بأن فوريسسون قد حضر مؤتمر استنكار الإبادة في طهران عام 2006 ، وأن ناعوم شومسكي كاتب أميريكي يهودي يعادي الأيديولوجية الصهيونية وكافة أعمال الإبادة التي تمارسها إسرائيل ضد العرب والفلسطينيين. وأنه من ناحية أخرىٰ يعتبر أهم عالم لسانيات في العالم وأحد مبدعي نظريات اللسانيات التي تدرّس الآن في جامعات العالم.

تناقضات آوشفيتز

وأصدر ، أحد قضاة مدينة هامبورج وهو الباحث ستاجليش Staglish كتاباً بعنوان أسطورة آوشفيتز. والكتاب هو رسالة دكتوراه كان القاضي قد قدمها إلىٰ جامعة جوتينجن، وتوصّل فيها إلىٰ أن كثيراً من النصوص وشهادات الشهود بخصوص معسكر آوشفيتز أو عما كان يجري فيه غير صحيحة علىٰ الإطلاق ومليئة بالتناقضات. وحاز فيها علىٰ درجة الدكتوراه. وما إن صدر الكتاب حتىٰ قررت الجامعة سحب الدكتوراه من الرجل ومعاقبته. كما أصدرت السلطات القضائية قراراً بخصم 10٪ من راتبه.

قضية ديفيد ايرفاين

اعتقل المؤرخ والباحث البريطاني ديفيد هايرفاين في النمسا وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ،وذلك بسبب أبحاثه التاريخية التي تنكر حدوث المحرقة . وقد سجن منذ شباط 2006 وحتىٰ أواخر كانون الأول من السنة نفسها حيث أفرج

عنه القاضي بعد قضائه ثلث مدة الحكم، وطلب منه أن يغادر النمسا وأن لا يدخلها مرة أخرىٰ، وأن يتعهد بعدم نكران المحرقة.

وكان ديفيد إيرفين David Irving يتعرض للمطاردة منذ نهاية الثمانينيات من القرن الماضي لأنه ينكر الإبادة رغم أن مجلة (ذا نيويورك ريفيو أوف بوكس The New York Review of Books) وصفته بأنه «يعرف عن الاشتراكية الوطنية (أي النازية) أكثر من أي عالم آخر متخصص في هذا الحقل، وأشارت إلىٰ كتابه عن حرب هتلر بأنه أحسن دراسة عن الجانب الألماني في الحرب». ورغم كل هذا طُرد من كندا وبعد ذلك من أستراليا، ومُنع من إلقاء محاضراته فيهما. وأصدرت إحدىٰ المحاكم الألمانية حكماً بتغريمه عشرة آلاف مارك لمجرد أنه نفىٰ أن اليهود كانوا يموتون في غرف الغاز في معسكر آوشفيتز (45)

قضية روجيه غارودي

في مطلع العام 1983 نشر السياسي البارز والمؤرخ الفرنسي الشهير روجيه غارودي مقالاً في صحيفة لوموند الفرنسية استنكر فيه الغزو الإسرائيلي للبنان وقام بتشبيه ذلك الغزو بأعمال الارهاب الصهيوني في فلسطين في الأعوام 1948 و 1956 ، ودعا الفرنسيين إلىٰ اتخاذ موقف واع ضد الممارسات الصهيونية، كما وانتقد اللوبي الصهيوني العالمي وأعماله الإرهابية وسيطرته علىٰ المال والإعلام والقرار في الدول القوية.

فقامت قيامة الصحافة ضد غارودي الذي أعلن إسلامه وضد مدير صحيفة لوموند التي نشرت تقريره، ففقد مديرها السيد جاك فوفيه وظيفته، وبدأت الدعاوىٰ تحاك ضد غارودي.وفي أواخر العام 1996 قامت عصابات صهيونية متطرفة بالاعتداء علىٰ مكتب الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي، وبإلقاء المتفجرات عليه، فتم تدمير المكتب وتحطمت كل محتوياته. ولحسن حظه لم يكن غارودي موجوداً في مكتبه آنذاك. وبعدما نشر كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية) رفعت

شكاوىٰ صهيونية ضد غارودي وتم الحكم عليه ظلماً، و هوجم وتعرض للضرب في قصر العدل في باريس، كما هوجم محاموه ومؤيدوه.

قضية الدكتور ستاغليش

الدكتور ستاغليش يحمل دكتوراه دولة في الحقوق من جامعة غويتينغين الألمانية منذ العام 1951 . وفي الثمانينيات من القرن الماضي صدر كتابه بعنوان (أسطورة آوشفيتز : خرافة أم حقيقة ؟).

وبفضل انتقادات المنظمات الصهيونية الألمانية له حوكم الباحث وصودرت كافة نسخ كتابه وأتلفت وصدر قرار من جامعة غويتينغين بسحب شهادته وبحرمانه من التعليم وبطرده من عمله.

قضية هنري روك

هنري روك مهندس وباحث فرنسي، تقدم بأطروحة في جامعة نانت عنوانها: (دحض الأكذوبة الصهيونية الزاعمة إبادة اليهود في أفران الغاز)

وتقع الأطروحة في 371 صفحة. ونوقشت رسالته ونال عليها درجة الدكتوراه بتاريخ 15 حزيران / 1985 . وبعد ذلك بأيام انشغلت المؤسسات الصهيونية الفرنسية بالتآمر عليه فانطلقت القضية إلىٰ باريس، وأطلقتها هناك أهم صحفها المقرّبة من الصهاينة علىٰ أقل تقدير، ومن الحزب الاشتراكي الفرنسي المعروف بموالاته للمؤسسات الصهيونية. (لو نوفيل أوبسرفاتور، لو ماتان، ليبراسيون). ووجهت انتقادات حادة للحزب الديغولي ، واتهم بالتهاون مع من أطلق عليهم اسم (والنازيون الجدد). وفي أواخر حزيران 1986 صدر عن وزير البحث والتعليم العالي الفرنسي السيد ألان فاكيه قرار بإلغاء شهادة الدكتوراه وبإيقاف الأستاذ الذي أشرف عليها عن العمل، وهو جان كلود ريفيير. كما وصدرت قرارات بإيقاف الأساتذة المناقشين للأطروحة عن العمل وهم: (تيري بورون ، بيير زيند ، جاك فياران).وفي 30 تموز 1986 دعا روك الصحفيين

لمؤتمر أراد شرح آرائه فيه ، فسبقه اليه أعضاء جماعة SOS Rasisme وهي منظمة صـهيونية اشتراكية تحوي إلىٰ جانب اليهود أعضاء من العرب وخاصة جالية المغرب العربي.(27)

قضية برنار أنتوني

كان برنار أنتوني نائباً فرنـسياً في البرلمـان الأوروبي، وبتـاريخ 19 تـشرين الأول 1985 تحدث إلىٰ صحيفة لوموند الفرنسية وقال:

- ألا نستطيع أن نناقش ونتكلم عن المسألة اليهودية كما نناقش ونتكلم عن مـسألة الباسك مثلاً؟؟ إننا نلاحظ أو ننقل بعـض الملاحظـات ذات الطـابع الاجتماعـي: إن هناك قوة في فرنسا لا تقبل ولا تريد الاندماج في مجتمعنا.. وبالنسبة إليها فإن المـصالح اليهودية تأتي أولاً وقبل المصالح الفرنسية.

وبتاريخ 4 حزيران 1986 رفعت ضده الدعاوىٰ بتهم عنصرية وتحريضية ودعـي للمحاكمة والمساءلة عدة مرات، ثم وبتاريخ 4 حزيران 1986 حوكم النائب الفرنـسي للمرة الرابعة بتهمة التحريض علىٰ إثارة النعرة العنصرية وبتهمة العداء للسامية.

صحيفة نيو ستيم

في حزيران 1985 نشرت صحيفة نيو ستيم New Stimme التي تصدر في منطقة الألزاس اللورين في فرنسا مقـالاً ينتقـد اسـتخدام اليهـود لأكذوبـة غـرف الغـاز في دعاياتهم الصهيونية. وكالعادة حبكت المـنظمات الـصهيونية الـتهم والأزمـات لتلـك الصحيفة، وفي شهر أيار 1986 صدر حكم عليها بـدفع غرامـة قـدرها عـشرة آلاف فرنك فرنسي بتهمة التحريض ضد اليهود وإثارة النعرة العنصرية في المجتمع الفرنسي.

العصا الصهيونية المهاجمة

رابطة الدفاع اليهودية

في العام 1968 أسس الحاخام كاهانا مع بعض زملائه اليهود في الولايات المتحدة (رابطة الدفاع اليهودية) التي استخدمت شعارات مثيرة مثل:

«لن تعاد المحرقة أبداً» وشعار «لكل يهودي بندقيته المسلّطة»

وقامت الرابطة بجمع الأسلحة واجتذاب اليهود اليها، وارتكبت العديد من أعمال الاعتداء ضد من اتهمتهم باللاسامية وأولئك أعضاء مدرسة المراجعة التاريخية. وفي آب 1985 قامت الرابطة بإلقاء قنبلة علىٰ مكتب للمراجعة التاريخية فقتلت شخصاً وأصابت آخر بجراح، وهما السيد تشاريم سوبزوكوف والسيد مارسيز بروجرز.

اعتداءات على روبير فوريسسون

بتاريخ 16 أيلول 1989 حاول المتطرفون قتل روبير فوريسسون ، فقد هاجموه علىٰ مقربة من منزله وسلّطوا عليه الغاز، وأوسعوه ضرباً ولكماً، فكسر فكه وجرح ونزف رأسه ووجهه. وتبنت الهجوم مجموعة أطلقت علىٰ نفسها اسم: (أبناء الذاكرة اليهودية)، وفي اليوم التالي احتجّت الصحف الفرنسية علىٰ ذلك الاعتداء وأهمها لوموند في عدد 19 أيلول 1989.

وبتاريخ 17 آذار 1992 هوجم فوريسسون في أستوكهولم من قبل مجموعة يهودية نشطة ينتمي بعض أعضائها لمنظمة بيتار، فأصيب أحد مرافقيه وهو سويدي بجروح خطيرة.

وبتاريخ 21و22 آذار 1991 اعتدىٰ أعضاء من بيتار علىٰ روبير فوريسسون

ومرافقه الإنكليزي في قصر العدل في باريس أثناء محاكمة فوريسون. ولم تتدخل الشرطة في الاعتداء. وصرخ أحد عناصر بيتار قائلاً: «سوف نقتل فوريسون مهما كلف الأمر..»

هجوم على مؤتمر في أستوكهولم

بتاريخ 22 أيار 1992 هوجم مؤتمر حركة إعادة النظر في أستوكهولم،من قبل أعضاء من منظمة بيتار كانوا مسلحين بقضبان حديدية، وعازمين على اغتيال روبير فوريسون. وقد جرحوا شرطيين من الحراس، وتبين بعد التحقيق بأن ثلاثين من بيتار قدموا على متن طائرة من باريس إلى أستوكهولم لمنع انعقاد المؤتمر.

تدمير المكتبات

قامت الصهيونية المتطرفة عشرات المرات بالهجوم على مكتبات ودور نشر تهتم بكتب تنتقد الأسطورة، ففي 25 تشرين الثاني 1981 شنّ حوالي 15 إرهابياً هجوماً على مكتبة الدراسات والتوثيق الدولية الواقعة في شارع ديكارت في باريس. ودمروا وأتلفوا محتوياتها.

وفي ربيع 1991 هوجمت مكتبة العجوز المتمردة La Vieille Taupe وأتلفت الكتب والمحتويات فيها، وتقع المكتبة في شارع سانت جاك في باريس، ويديرها الباحث بيير غييوم، وتحدثت صحيفة 7 الباريسية بتاريخ 1 أيار 1991 عن تراجع نشاطات المكتبة وتقهقرها بعد ذلك الهجوم.

أعمال الهجوم تستمر في بلدان الديمقراطية

- هوجم السيد جورج أشيلي أستاذ التاريخ في التعليم العالي عدة مرات وأحرق منزله ونهب في آخر هجوم.
- هوجمت سيارة الدكتور تشارلز ويبر المحرر في مجلة المراجعة في نيسان 1985

- اعتدي علىٰ الدكتور رينهارت بوشيز وضرب عدة مرات في كندا واعتـدي علىٰ الناشر أرنيست زونديل في كانون الثاني 1983
- بتاريخ 22 نيسان هوجم عدد من الأشخاص كانوا يحتجون علىٰ إقامة معـرض المحرقة في واشنطن
- وفي 5 تشرين ثاني 1980 أحرقت مكاتـب ومطبعـة سوسـكس Sussex التـي نشرت كتاباً بعنوان (**هل أحرق ستة ملايين يهودي ؟**) لمؤلفه ريتشارد هورود
- بتاريخ 10 شباط 1988 أحرقت سيارة المؤرخ الألماني أرنيـست نولـت ، وهـو أستاذ في جامعة برلين.

يهود ضد الصهيونية

إن عدداً من الجماعات اليهودية المتدينة الموجودة في إسرائيـل والـدول الأخـرىٰ تعلن باستمرار عن عدائها لدولة إسرائيل وتتهمهـا بأنهـا دولـة لا شرعيـة ومغتـصبة لأرض الشعب الفلسطيني، وتتهم هذه الجماعات اليهودية المنظمات الـصهيونية بأنهـا ابتدعت أساطير المحرقة لإقامة كيان صهيوني وكـسبت الأمـوال الطائلـة مـن الـدول الغنية وأسكتت بواسطة تلك الأموال العديد من الأحزاب اليهوديـة التـي عارضـت الحركات الصهيونية بادئ الأمر.

وإن أفراد هذه الجماعة اليهودية المعارضة يرفضون الخدمة في الجـيش الإسرائـيلي لأنهم يرونـه جيـشاً عنـصرياً وإرهابيـاً، وهـم لا يقبـضون مـن الأمـوال الحكوميـة، ويصدرون علىٰ الدوام بيانات معادية وكاشفة لأكاذيب وأضاليل الصهيونية.

ومن بين هؤلاء المتدينين المعارضين جماعة ناتوري كارتـا الـدولي Neturei Karta International وجاء في بيانهم الصادر بتاريخ 29 / 4 / 2001: منذ نشوء الـصهيونية خرجت ضدهم الجمـوع اليهوديـة بقيـادة الحاخامـات بحـرب ضروس...الـصهاينة تحرشوا بالأمم ، وطلبوا سلطة سياسـية عـلىٰ الأرض المقدسـة... اسـتطاع الـصهاينة

التأثير علىٰ حكومة بريطانيا بالإعلان عن وعد بلفور(22).

ويذكر بأن الصهيونية المتطرفة ارتكبت في العام 1948 وما بعده جرائم قتل جماعي ليهود غير متطرفين ولا يمارسون العنصرية. ففي العام 1948 وكما هو معلوم تاريخياً وكما يعترف الصهاينة أنفسهم قامت الصهيونية المتطرفة بتدمير سفينتين عند الشواطئ الفلسطينية. كانتا تحملان يهوداً مهجّرين من بريطانيا وألمانيا.وبلغ عدد القتلىٰ اليهود فيهما 2500 يهودي. ثم قامت الحركات الصهيونية المتطرفة بأعمال قتل جماعي ليهود العراق.

جماعة شتيرن والنازية

جماعة شتيرن صهيونية مراجعة حاولت التعاون مع النازيين باعتبار أن ثمة فارقاً عميقاً بين ما سمته الجماعة «مضطهدي الشعب اليهودي» وأعدائه. فمضطهدو الشعب اليهوي أمثال هامان وهتلر موجودون في كل زمان (فالصهاينة يؤمنون بحتمية العداء لليهود واليهودية). ولكن الأمر جدُّ مختلف بالنسبة لأعداء اليهود، فهؤلاء هم الأجانب الذين يهيمنون علىٰ فلسطين ويمنعون اليهود من العودة إليها لينهوا حالة المنفىٰ ويؤسسوا وطنهم القومي فيها وبناءً علىٰ هذه الأطروحة الصهيونية الراديكالية لم يجد أعضاء شتيرن أية غضاضة في التفاوض مع النظم الشمولية بهدف التعاون الوثيق معها. فعقدوا اتفاقاً مع حكومة موسوليني تعترف بمقتضاه الحكومة الفاشية بالدولة الصهيونية علىٰ أن يقوم أعضاء شتيرن بالتنسيق مع القوات الإيطالية حين تقوم بغزو فلسطين.

ولكن التعاون مع النازيين كان هو الهدف الحقيقي. ولتحقيق هذا الغرض أرسل أعضاء شتيرن مندوباً إلىٰ بيروت (التي كانت تحت سيطرة حكومة فيشي الموالية للنازيين) للتفاوض مع قوات المحور وقد قابل هذا المندوب، في يناير 1941، مواطنين ألمانيين أحدهما هو أوتو فون هنتج، رئيس القسم الشرقي في وزارة الخارجية

الألمانية، والذي كان يشعر بالإعجاب العميق بالصهيونية.

وبعد الحرب اكتُشفت وثيقة (في أرشيف السفارة الألمانية في أنقرة) أرسلتها جماعة شتيرن للحكومة الألمانية تتصل بإيجاد حل للمسألة اليهودية في أوربا واشتراك أعضاء جماعة شتيرن إلىٰ جانب القوات النازية في الحرب ضد قوات الحلفاء. وتنص الوثيقة علىٰ أن إجلاء الجماهير اليهودية من أوربا هو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية. وقد عبَّر كاتب الوثيقة عن وجود نقط تماثل بين النازية والصهيونية. (وصفت شتيرن نفسها بأنها حركة تشبه الحركات الشمولية في أوربا في أيديولوجيتها وبنيتها). كما تذكر الوثيقة وجود مصالح مشتركة بين النازيين والصهيونية، وتُعبِّر عن تقدير جماعة شتيرن للرايخ الثالث لتشجيعه النشاط الصهيوني داخل ألمانيا وللهجرة الصهيونية إلىٰ فلسطين. وتؤكد الوثيقة ضرورة التعاون بين ألمانيا الجديدة والفولك العبري في المجال السياسي والعسكري. ولم يتلق الجانب الصهيوني رداً، ولذا أرسلت جماعة شتيرن مندوباً آخر في ديسمبر من العام نفسه إلىٰ تركيا (بعد احتلال البريطانيين للبنان) ولكن قُبض علىٰ هذا العميل. وكان إسحق شامير، رئيس وزراء إسرائيل السابق، عضواً في جماعة شتيرن وكان حليفاً قوياً للنازية. ويؤكد الباحث الإسرائيلي باروخ نادل أن شامير كان يعرف بخطة شتيرن للتعاون مع النازيين. وحينما عُيِّن وزيراً للخارجية ثار الرأي العام العالمي بسبب تعيين إرهابي مثله (قام بتدبير عملية اغتيال اللورد موين في القاهرة عام 1942 والكونت فولك برنادوت عام(1948 ، ولكن أحداً لم يتطرق إلىٰ ماضيه النازي.

عصبة الأشداء

عصبة الأشداء جماعة صهيونية مراجعة أسسها آبا أحيمئير (1898 ـ 1962) ومجموعة من المثقفين الصهاينة مثل الشاعر أوري غرينبرغ. وكان معظم مؤسسي الجمعية أعضاء في منظمات صهيونية عمالية ثم استقالوا منها. وقد تبنت الجماعة صياغة صهيونية لا تخفي إعجابها بالفكر النازي أو العنصرية النازية. وقال أحد كبار الصهاينة التصحيحيين:

- نحن التصحيحيون نكنّ الإعجاب الشديد لهتلر، فهو الذي أنقذ ألمانيا ولولاه لهلكت خلال أربعة أعوام، وستتبعه إن هو تخلىٰ عن معاداته لليهود.

وكانت مجلة عصبة الأشداء في فلسطين تزخر بالمقالات التي تمجد هتلر والهتلرية. وكان من بين هتافات أعضاء العصبة « ألمانيا لهتلر، وإيطاليا لموسوليني، وفلسطين لجابوتنسكي». كما مجّد أعضاء الجمعية الجوانب العسكرية في تاريخ العبرانيين، فكانوا يشبهون أنفسهم بجماعة حملة الخناجر،

وكان أتباع الجمعية يرون أن الاغتيال السياسي ليس جريمة وإنما هو فعل ذو هدف ومعنىٰ، وأن الدم والحديد هما الطريق الوحيد للتحرر. وكما قال أحميئير، فإن **الماشيّح لن يأتي راكباً علىٰ حمار .**

وكان يقصد أن الماشيَّح الصهيوني سيأتي راكباً دبابة، حاملاً القنابل العنقودية! وتعود أهمية الجمعية إلىٰ تأثيرها في حركة التصحيحيين ككل، فقد تحولت مجلتهم (التي صدرت ابتداءً من يناير 1932) إلىٰ لسان حال العمال التصحيحيين، وشنت حملات شعواء علىٰ المعسكر العمالي بأسره.

ألفريد نوسيج

هو أحد مؤسسي الحركة الصهيونية مع هرتزل، وأهم شخصية يهودية صهيونية كانت تتعاون مع النازيين، وهو فنان وشاعر وموسيقار من أصل بولندي وله خلفية ثقافية ألمانية، كانت مواهبه متعددة ومتنوعة عبَّر عنها من خلال الأدب والموسيقىٰ وقد بدأ حياته، شأنه شأن معظم الزعماء الصهاينة، خصوصاً الذين كانوا من أصل ثقافي ألماني، بالمطالبة بالاندماج الكامل لليهود، ثم أصبح محرراً في إحدىٰ الصحف البولندية. وفي عام 1887، نشر كتيبه **محاولة لحل المسألة اليهودية**. حيث اقترح إنشاء دولة يهودية في فلسطين والدول المجاورة. وقد ترك هذا الكتيب أثراً عميقاً علىٰ المثقفين اليهود في أوربا وخصوصاً في جاليسيا. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح نوسيج نشيطاً في المجال

الصهيوني فألّف الكتب ودبج المقالات عن موضوع الاستيطان وغيره وشارك نوسيج في المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، واصطدم مع هرتزل. وصوّت ضد مشروع شرق أفريقيا. وساهم (عام 1902) مع مارتن بوبر وحاييم وايزمان وليو موتسكين في تأسيس أول دار نشر صهيونية في برلين نشرت العديد من الكتب. ويُعتبَر نوسيج واضع أساس علم الإحصاء الخاص بين الجماعات اليهودية، فنشر أعمالاً بين عامي 1887 و1903 ووضع أساس إنشاء المعهد الإحصائي والسكاني (الديموجرافي اليهودي).

الفضاء الإسرائيلي:

وكان هدف الصهيونية (حسب تعريف معظم مؤسسيها) هو نقل اليهود من أوربا وإفراغها منهم لحل المسألة اليهودية، والصهيوني **نوسيج** ينتمي إلىٰ هذه المنظومة الفكرية التوطينية فكان معظم فكره يدور حول تهجير اليهود، وكان هذا يأخذ شكل محاولة زيادة وعيهم بهويتهم اليهودية العضوية حتىٰ يضمُر ويذوي إحساسهم بالانتماء إلىٰ أوربا فعمل كمخبر للسلطات النازية إبان الحرب العالمية الثانية، لكن في العقود الأخيرة وبعدما استخدمت الصهيونية كافة قوىٰ اليهود المقيمين خارج إسرائيل وحققت فوائد كبيرة منهم لا يمكنها أن تحققه لو أنهم أقاموا في إسرائيل نفسها، وبسبب ذلك توصّلت الصهيونية إلىٰ نتيجة منهجية وهي إبقاء أولئك اليهود خارج إسرائيل، والمحافظة علىٰ الاستفادة من نتاجهم وجهودهم. ولتكن بذلك تلك الأوطان هي إسرائيل الثانية. وفي الفلسفة الصهيونية عبّرت الأدبيات اليهودية عن هذه الرؤية بوضوح. واعتبرت أنّ الفضاء الكوني كله مناخ لأحقّية إقامة الصهيونية فيه، واعتبرت بأن الرب لا يقيم فحسب مع شعبه في صهيون بل يقيم في الكون كله حيث يوجد اليهودي. فوجود اليهودي هو دليل علىٰ وجود الرب في أي مكان مفترض؛ لأن الرب يكمن في شعبه ويحل في كل يهودي. ومن هنا تعتبر أية بقعة في العالم مباحة لإقامة اليهودي، بل هي مكانه المقّدس.

مردخاي رومكوفسكي

صهيوني بولندي ورئيس المجلس اليهودي في جيتو لودز خلال الحرب العالمية الثانية. وُلد في روسيا ثم استقر في مدينة لودز مع بداية القرن العشرين.. كان رومكوفسكي مؤمناً بأن التعاون مع الألمان سيُعزِّز وضع اليهود، خصوصاً إذا زادت مساهمتهم وأهميتهم بالنسبة للمجهود الحربي الألماني. ولهذا عُيِّن، بعد احتلال الألمان لمدينة لودز عام 1939، رئيساً للمجلس اليهودي فيها، ومنحه المسؤولون الألمان في جيتو لودز (الذي ضم 170 ألف يهودي) سلطات إدارية واسعة. وتَعزَّز موضعه القيادي بسبب مهارته التنظيمية، فكان مسؤولاً عن إقامة الورش التي أمر الألمان بإنشائها لاستغلال عمل اليهود، والتي بلغ عددها 120 ورشة. ويشير تسلسل تعامله مع الألمان إلىٰ عدم وجود مشاريع إبادة نازية آنذاك، ونشير إلىٰ أن هذا السرد التاريخي لحياته ولمسيرة أعمال اليهود الآخرين مثبّت في المراجع الصهيونية العالمية أي تعترف به الصهيونية.

ومع مرور الوقت، عمل رومكوفسكي علىٰ تركيز جميع السلطات في يده وأصبحت إدارته أكثر استبداداً. وعندما أمرت السلطات الألمانية الجيتو بإصدار عملة نقدية خاصة به (باعتباره كياناً يهودياً مستقلاً بدلاً من استخدام العملة البولندية أو الألمانية)، طُبعت علىٰ الأوراق المالية الجديدة صورته. اشترك رومكوفسكي في عمليات ترحيل ونقل يهود لودز إلىٰ معسكرات الاعتقال الألمانية، و ظل مؤمناً بأن التعاون مع الألمان هو أفضل سبيل لتخفيف وطأة هذه المأساة.

وحياته وموقفه من الألمان وخاصة مشاركته في أعمال الترحيل هذه يدل علىٰ عدم وجود أعمال إبادة نازية علىٰ الإطلاق، بل إن ترحيل اليهود كان يتم إلىٰ معسكرات ومدن إقامة لتجميعهم وتهجيرهم إلىٰ فلسطين.لقد أدّت النازية خدمة كبيرة للصهيونية. ورغم ذلك انتقم الصهاينة منها واتهموها بالإبادة وعاقبوا الشعب الألماني.

آدم تشرنياكوف

صهيوني بولندي ورئيس مجلس الجماعة اليهودية في وارسو خلال الحرب العالمية الثانية وأول رئيس للمجلس اليهودي في وارسو، والذي شكلته سلطات الاحتلال النازية.

كان تشرنياكوف من النشطين في مجال شؤون الجماعة اليهودية في بولندا عقب الحرب العالمية الأولىٰ، ثم عيَّنه عمدة وارسو بعد اندلاع الحرب رئيساً لمجلس الجماعة اليهودية. وبعد احتلال القوات الألمانية للمدينة، عينته السلطات النازية رئيساً للمجلس اليهودي، وأوكلت إليه مهمة تنظيم الجماعة اليهودية في جيتو خاص بها، وكان علىٰ اتصال وثيق بالسلطات النازية،

حاييم كابلان

معلم مدرسي بولندي صهيوني دوَّن يومياته في جيتو وارسو أثناء الاحتلال النازي لبولندا وكان كابلان من المؤمنين بالقومية اليهودية، أي الصهيونية، والتاريخ اليهودي الواحد، وتعود أهمية كابلان إلىٰ أنه دوَّن يومياته وهو في جيتو وارسو أثناء الاحتلال النازي لبولندا وتتضمن اليوميات إدراكاً كاملاً للتشابه البنيوي بين النازية والصهيونية، إذ يُعبِّر كابلان عن دهشته لاضطهاد النازيين لليهود رغم أن الحل النازي هو الحل الصهيوني نفسه:

الاعتراف باليهود كشعب عضوي منبوذ وطنه فلسطين ومن ثم يتعيَّن عليه أن يهاجر إليها.

كورت بلومنفلد

أحد الزعماء الصهاينة في ألمانيا، والقوة المحركة للمنظمة الصهيونية فيها. وهو يهودي ألماني وُلد لأسرة مندمجة، وأصبح رئيساً للمنظمة الصهيونية الألمانية عام

1924، وظل يشغل هذا المنصب حتىٰ عام 1933، أي عندما تـولىٰ هتلـر الـسلطة في ألمانيا. وهاجر إلىٰ فلسطين واستوطن فيها وأصبح الرئيس التنفيذي للصندوق القومي اليهودي في فلسطين وكان بلومنفلد وراء إصدار ما يُسمَّىٰ «قرار بوزن» الذي أصدرته المنظمة الصهيونية الألمانية عام 1912 وحدَّدت فيه الصهيونية كحركة قوميـة تُـترجم نفسها إلىٰ هجرة إلىٰ فلسطين الوطن القومي لليهود.

رودولـف كاسـتنر

أحد زعماء الحركة الصهيونية في المجر. ترأس عدداً من المنظمات الشبابية الصهيونية. وإن مسيرة حياته وعلاقته القوية بالنازية تكشف عن فضيحة للصهيونية، وتظهر أسراراً كبيرة عـن علاقـة الـصهاينة بالنازيـة وعـن وجـود لعبـة خفيـة كـان ضـحيتها الألمـان النازيون. **تعاون مع النازيين قبل وبعد احـتلالهم للمجـر** ولكـن في عـام 1952 أرسـل المواطن الإسرائيلي مايكل جرينوولد كتيبـاً لـبعض القيـــادات الـصهـيونية اتهـم فيهـا كاسـتنر بالتعاون مع النازيين، وأنه قام بالدفاع عن أحد ضباط الحرس الخامس (الإس. إس.) أثناء محاكمات نورمبرج الأمر الـذي أدَّىٰ إلىٰ تبرئتـه وإطـلاق سراحـه. وقـد قـام الحزب الحاكم في إسرائيل بمحاولات مضنية لإنقاذ كاستنر وتبرئتـه. كـما بـيَّن كاسـتنر أثناء محاكمته أنه لم يكن يسلك سلوكاً فردياً وإنما تَصرَّف بناءً علىٰ تفـويض مـن الوكالـة اليهودية (التي أصبحت الدولة الصهيونية عام 1948). ولم يكن كاستنر مبالغاً في قولـه فالمواطن الإسرائيلي جويل براند كان علىٰ علـم بـبعض خفايـا القـضية وبمـدىٰ تـورط النخبة الحاكمة في لعبة شيطانية صهيونية. وقد طُلب منه الإدلاء بشهادته، ولكنه آثر ألا يفعل وبدلاً من ذلك كتب كتاباً بعنوان **الشيطان والروح** يقول فيه:

« إن لديه حقائق تبعث علىٰ الرعب وتدمغ رؤوس الدولـة اليهوديـة الـذين كـانوا رؤساء الوكالة اليهودية ».

وأضاف قائلاً :

« إنه لو نشر مثل هذه الحقائق لسالت الدماء في تل أبيب ».

وقد قضت المحكمة الإسرائيلية بأن معظم ما جاء في كتيب جرينوولد يتطابق مع الواقع. وبعد إشكالات قضائية كثيرة، حُسمت المسألة (لحسن حظ الحزب الحاكم) حينما أطلق مجهول الرصاص علىٰ كاستنر وهو يسير في الشارع وقتله وأنهىٰ الفضيحة الكبيرة.. وقد سجل موشيه شاريت، رئيس الوزراء الإسرائيلي، هذه الكلمات في مذكراته: **« كاستنر. كابوس مرعب.»** ويشير براند في كتابه إلىٰ كاستنر ويقول: **«رجال السياسة الذين يتسمون بالحذر، كانوا لا يعرفون ماذا سيفعلون مع هذا الرجل بعد محاكمته»، وكانوا يفكرون في «إسكاته»** والحقيقة أن كاستنر كان يرفض كل الاتهامات التي ألصقها اليهود بالنازيين ومن بينها الاتهام بالإبادة.بل إنه كان يجرّم الصهيونية في الكثير من أعمالها ولهذه الأسباب تم القضاء عليه واستمرّت الصهيونية في خدعها وتضليلها للشعوب.

مشروع الحل النهائي للقضية اليهودية

إطعام الأفواه الجائعة

1. لو أنه كان عند النازيين مشروع حقيقي لتصفية يهود أوروبا لكانوا سيقدرون بالتأكيد علىٰ إبادة كافة اليهود المقيمين في مناطق النفوذ الألماني، علماً بأن اليهود ظلوا يعيشون كغيرهم في تلك المناطق حتىٰ بعدما انتهت الحرب.
2. وعندما دخلت جيوش الحلفاء إلىٰ معسكرات الاعتقال في نهاية الحرب وجدوا الكثير من اليهود داخل المعتقلات !!...فلو افترضنا وجود مشروع تصفية لليهود نتساءل ونقول: لماذا بقي هؤلاء اليهود معتقلين، ولماذا لم تتم تصفيتهم؟
3. إن بين المعتقلين والذين ظلّوا في معسكرات الاعتقال مئات من اليهود تحدّث بعضهم عن وجود محرقات وغرف غاز وتصفية وإبادة لليهود وأثبتوا بالوقت نفسه بأنهم بقوا في المعتقلات مدة تزيد عن سنة واحدة وبعضهم سنتين وبعضهم

أربع سنوات. وتحدث بعضهم عن نقله من معسكر إلىٰ آخر عدة مرات. وهنا نتساءل لماذا لم تتم تصفية هؤلاء أنفسهم طوال تلك المدة الطويلة التي قضوها في المعتقلات؟ وإن كل واحد منهم يقول بأنه نجا بأعجوبة لكن الجواب القاطع هو بالطبع أنهم لم يقتلوا لأنه لم تكن هناك تصفية لليهود كمشروع ألماني.

4. إن القسم الذي فقد من يهود أوروبا أثناء الحرب يمثل رقماً صغيراً جداً ولا يدل علىٰ حدوث أية إبادة، وان من مات منهم في المعتقلات أو معسكرات الإقامة الجبرية إنما مات بسبب الحالة السيئة أو انتشار الأمراض والأوبئة كغيره من المعتقلين الآخرين. ويؤكد ذلك عدد من المؤرخين الأوروبيين. ويقول روبير فوريسسون عن هذا الموضوع:

« إن كل يهودي ما يزال علىٰ قيد الحياة هو البرهان الساطع علىٰ عدم وجود الإبادة. وهؤلاء الباقون علىٰ قيد الحياة قد عرفوا وتنقلوا علىٰ التوالي من معسكر إلىٰ آخر. وأكثرهم دخلها في طفولته، ولم يجبر الأطفال علىٰ العمل. لقد كانوا إذا صح القول أفواهاً يجب إشباعها دون فائدة»،

تشغيل اليهود قبل تهجيرهم

تفيد كافة الوثائق التاريخية المحفوظة في متاحف آشويتز بأن هتلر كان يسعىٰ لتشغيل اليهود في معتقلات إقامة جبرية، قبل تهجيرهم وإجلائهم عن أوروبا كلها، وإن مشروع تهجير اليهود نحو مدغشقر أو فلسطين كان الحل النهائي لقضية اليهود عند هتلر. وقد كان بالاتفاق مع اليهود أنفسهم، بل وبرغبة ملحّة منهم. تقول الوثيقة الرسمية المحفوظة في متحف آشويتز برقم / حزيران 1962 صفحة 78: «.. في أيار 1944 أمر هتلر باستخدام مائتي ألف يهودي كعمال في برنامج البناء المسمىٰ بالألمانية وفي 18 تشرين الثاني 1943 صدر عن قيادة الصاعقة الألمانية أمر يعطي جائزة للسجناء، حتىٰ اليهود منهم، الذين سوف يتميزون بالعمل...» وتقول الوثيقة الثانية التي تحمل الرقم

No 20 – a : «... **بين العامين 1942 و1944 كان 31 معسكراً نازياً من بين 39 معسكراً تابعاً لآشويتز تستخدم السجناء كيد عاملة، وكان 19 منها يستخدم أغلبية من اليهود .**» وفي 25 كانون الثاني 1942 وجّه هيملر إلىٰ المفتش العام لمعسكرات الاعتقال الكتاب التالي الذي يقول فيه: «**تهيؤوا لاستقبال مئة ألف يهودي . إن مهمات اقتصادية هامة سيعهد بها إلىٰ المعسكرات في الأسابيع المقبلة...**» وإن معسكر الاعتقال نفسه كانت عند مدخله عبارة كبيرة تتصدر الباب الرئيس تقول: (الحرية هي العمل) وهي مازالت موجودة حتىٰ يومنا هذا وتدل علىٰ صحة مشروع تشغيل اليهود. كما وتحوي موسوعة الحرب الأخيرة العديد من الصور التي تظهر تشغيل اليهود كيد عاملة في مناطق عديدة.(24) كان النازيون في حاجة ماسة للأيدي العاملة، وقد أرسل هملر مذكرة إلىٰ أحد رؤساء معسكرات الإبادة (بتاريخ 25 يناير 1942) يخبره فيها أن يستعد لاستقبال 200 ألف يهودي حيث ستسند للمعسكر مهام اقتصادية مهمة. وفي مايو 1944 أصدر هتلر أمراً باستخدام 200 ألف يهودي كعمال في أحد المشاريع الإنسانية. وقد أصدرت قيادة الإس. إس .S. S أمراً بمنح مكافأة لكل السجناء (ومنهم اليهود) الذين أبلوا بلاءً حسناً في العمل. كما وفرت المؤسسات النازية لهؤلاء العاملين كل الأنشطة الترفيهية، وضمنها بيت دعارة اعتبرته لزيادة الإنتاجية.

الوثائق الألمانية

الحقيقة أنه حتىٰ اليوم لم يسمح بكشف كافة وثائق الحرب لعموم الباحثين والمؤرخين، لكن تم الكشف عن بعض الوثائق القليلة ، وفي الوثائق الألمانية التي مازالت محفوظة حتىٰ الآن، تم العثور علىٰ أوامر ومراسلات تستخدم مصطلحي (**الحل النهائي و المسألة اليهودية**). وكانت هذه المصطلحات تدل علىٰ المشروع الألماني المرتبط باليهود ، وهو تهجيرهم وإبعادهم عن أوروبا. وكان المشروع الأول الذي قرره هتلر يتضمن إبعاد اليهود عن أوروبا الغربية ونقلهم إلىٰ أقاليم أوروبا الشرقية.وتجميعهم هناك بغية نقلهم بعد الحرب إلىٰ موطن بعيد وهو مدغشقر.

تقول المذكّرة التي تم توزيعها في آذار 1942 :

«... أعلم الوزراء بأن يهود أوروبا يجب تركيزهم في الشرق، بانتظار أن نستطيع إرسالهم بعد الحرب إلىٰ إقليم بعيد، كـإقليم مدغشقر، وسيكون وطنهم القومي في المستقبل..» (25)

وتقول الوثيقة الثانية وهي رسالة مرسلة من هيدريش إلىٰ غورينغ قال فيها:

«... أعطيتني في العام 1939 أمراً باتخاذ تدابير تتصل بالمسألة اليهودية، فهل يتوجب عليّ الآن أن أتوسع بهذه المهمة التي عهدت بها إليّ آنذاك إلىٰ الأقاليم التي استولينا عليها في روسيا؟ ...» (25)

ومن بين الوثائق تلك الرسالة التي وجهها هملر إلىٰ هتلر ويقول فيها:

«.. آمل أن أرىٰ المسألة اليهودية محلولة نهائياً بفضل هجرة كل اليهود إلىٰ أفريقيا أو إلىٰ مستعمرة أخرىٰ..»

وتحمل الوثيقة التالية قرار هتلر الواضح بهذا الموضوع، فقد كتب السيد أديماشير وهو مسؤول ألمانيا 111 في وزارة الخارجية وبتاريخ 15 شباط 1942 رسالة رسمية محفوظة حتىٰ اليوم وتقول:

«.. إن الفوهرر قد اتخذ قراراً بنقل اليهود نحو الشرق وليس نحو مدغشقر، وهكذا لم تعد حاجة لتصور مدغشقر كهدف لمشروع الحل النهائي...»

اعتماد مذكرات كاذبة

وفي مجال توظيف الإبادة يلجأ الصهاينة أحياناً لاختلاق القصص أو تزييف الحقائق كما حدث في حادثة آن فرانك (1929 ـ 1945)، وهي فتاة ألمانية هاجرت إلىٰ هولندا مع أسرتها بعد وصول هتلر إلىٰ السلطة في عام 1933. وحينها قرر النازيون إرسال أختها إلىٰ معسكرات العمل، اضطرت هي وأسرتها إلىٰ الاختباء، فعاشوا في

مخبئهم ما يزيد علىٰ عام، ثم أُلقي القبض عليهم ورُحِّلوا إلىٰ معسكرات الاعتقال حيث لقيت آن وأختها حتفهما بسبب المرض.

ويُقال إن آن فرانك كتبت، أثناء فترة اختبائها، مذكراتها التي نُشرت بعد الحرب وتُرجمت إلىٰ الإنجليزية. وهناك الكثير من الشكوك التي تحيط بهذه المذكرات إذ يُقال إنها لم تكتبها بنفسها بل كتبها أبوها (أو بعض من حوله) بعد موتها بطريقة مثيرة ليحقق من ورائها ربحاً مالياً. ولهذا فهي لا تُعتبَر وثيقة تاريخية يُعتد بها. ومع أنها ليست ذات قيمة أدبية كبيرة، إلَّا أنها أصبحت مصدراً لعدة أفلام ومسرحيات. كما غدت آن فرانك إحدىٰ الأساطير التي تُستخدَم للتحدث عن إبادة نازية إجرامية مرعبة. بل وأصبح المنزل الذي اختبأت فيه أسرة فرانك متحفاً يزوره السياح والتلاميذ.

معسكرات الاعتقال

أُقيمت معسكرات الاعتقال في ألمانيا عام 1933 بعد استيلاء النازيين علىٰ الحكم، فكان البوليس السري الألماني (جستابو) يقوم بالقبض علىٰ خصوم الحكومة النازية واحتجازهم في هذه المعسكرات. وحين عظم نفوذ الجستابو وأُعطي الحرية المطلقة في التصرف، أصبحت عمليات القبض تتم علىٰ نطاق واسع، فقُبض علىٰ جماعات بأكملها ثم أُرسلت إلىٰ معسكرات الاعتقال. ولم تكن هذه العمليات موجهة ضد اليهود بالذات، وإنما كان يُعتقل كل من يشكل خطراً علىٰ الدولة الجديدة بغض النظر عن دينه أو جنسيته. وقد وقعت أول حادثة موجهة ضد اليهود في نوفمبر 1938 عندما وُضع عشرون ألف يهودي في هذه المعسكرات في داخاو وبوخنوالد. من معسكرات الاعتقال الشهيرة الأخرىٰ، معسكر برجن بلسن وقد أُقيمت ستة معسكرات للاعتقال في بولندا، هي: كلمنو - بيلزك - سوبيبور - ماغدانيك - تروبلينكا - آوشفيتز ـ بيركناو ولم تكن معسكرات الاعتقال مخصصة لليهود وحدهم وإنما كانت أداة من أدوات النظام النازي تُستخدَم لتحقيق أهدافه القومية، بل إن عدد ضحاياها من غير اليهود يفوق عدد ضحاياها من اليهود. ومن

المهم بمكان أن نضع معسكرات الاعتقال والإبادة في سياقها الحضاري والمعرفي العام. فمنذ بداية التشكيل الحضاري الغربي الحديث أصبحت معسكرات الاعتقال والإبادة نمطاً متكرراً، حيث تم نقل سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر) إلىٰ معسكرات اعتقال منعزلة كان يُطلَق علىٰ كل واحد منها اسم Reservation تمهيداً لإبادتهم بشكل مباشر أو غير مباشر. وكانت عملية النقل ذات طابع إبادي. وكان السود، الذين يجري اصطيادهم في أفريقيا ونقلهم إلىٰ أمريكا، يتم وضعهم في معسكرات أيضاً ويسكنون في مساكن هي أقرب ما تكون إلىٰ معسكرات السخرة. وفي الحرب العالمية الثانية، وضعت الولايات المتحدة الغالبية الساحقة من المواطنين الأمريكيين من أصل ياباني في معسكرات مماثلة. وفي جنوب أفريقيا قامت حكومة التفرقة العنصرية بوضع المواطنين الأصليين في معازل جماعية يُقال لها «البانتوستان». وفي عصرنا هذا أنشأت الولايات المتحدة معتقلاً إبادياً لمن تتهمهم بالانتماء إلىٰ القاعدة في غوانتانامو والدليل علىٰ أنه معتقل إبادي ذلك ما نسمعه عن انتحار العديد من المعتقلين. رغم أننا نتصورهم مؤمنين مسلمين وأن إيمانهم يمنعهم من الانتحار. وكانت معسكرات الاعتقال النازية معسكرات سخرة، ولذا نجد أن العدد الأكبر من المحتجزين كان يُستخدَم في أعمال السخرة. وقد أُسِّس بجوار آوشفيتز، علىٰ سبيل المثال، ثلاثة مصانع كبرىٰ لإنتاج بعض المواد اللازمة للعمليات العسكرية. وإنه ثمة أفلام وصور مازالت تعرض وتبين تشغيل المعتقلين في تلك المصانع وغيرها. وكانت بعض الشركات الألمانية تستأجر المعتقلين عشر ساعات يومياً للعمل لديها، ونظراً لحرصها الشديد علىٰ الأيدي العاملة الرخيصة فقد كانت توفر لهم بعض الأنشطة الترفيهية وكان من ضمنها ممارسة الرياضة والاستحمام هذا إضافة لوجود بيت دعارة خاص بالمعتقلين.

وكانت المعسكرات تدار بطريقة تتسم بنوع من الإدارة الذاتية، فكان يتم اختيار بعض العناصر من بين المساجين يشكلون نخبة داخل هذه المعسكرات،وتكون بمنزلة

حلقة الوصل بين المساجين والألمان. ويُطلَق عليهم اسم كابو ،وكان بعضهم من اليهود بطبيعة الحال. وكان كثير من هؤلاء يحرصون علىٰ إظهار القسوة نحو المساجين حتىٰ يحظوا برضا الألمان.ومن المعروف أن المساجين الألمان كانوا يُعاملون غالباً بقسوة تفوق ما يعامل به الآخرون ومن ضمنهم اليهود لأنهم كانوا يُعتبَرون خونة .

واتسمت معسكرات الاعتقال بكفاءتها الشديدة وتحكُّمها الكامل في المادة البشرية التي كانت تُصنَّف بعناية وتُوظَّف علىٰ أحسن وجه. وقد حققت هذه المعسكرات عائداً كبيراً للاقتصاد الوطني الألماني. وهذه الصور لاتدلّ إطلاقاً علىٰ أي وجود لمشروع إبادة لليهود، علماً بأن عشرات الآلاف من الشهود تشير إلىٰ أعمال التشغيل والسخرة وتؤكدها.

معسكر آوشفيتز

يُعَدُّ معسكر آوشفيتز أشهر وأهم معسكرات الاعتقال النازية. وكان يُقال دائماً إن عدد ضحايا آوشفيتز هو أربعة ملايين، منهم مليون ونصف مليون يهودي، والباقون غير يهود. والسند الأساسي لأسطورة إبادة هذه الملايين في آوشفيتز هي اعترافات رودولف هس أثناء محاكمات نورمبرج. وقد ثبت أن كثيراً من أدلة الاتهامات في محاكمات نورمبرج هي في معظمها اعترافات منتزعة بالقوة وبالتعنيف. بحيث يدين خلالها المتهمون أنفسهم، بعد أن ظلوا في الأسر عامين أو يزيد تعرضوا فيها للتعذيب والامتهان. ورغم ذلك فقد أخفي عدد كبير من الوثائق والشهادات التي كان من شأنها تحطيم الأساطير التي حاول الحلفاء نسجها. وهناك من البحوث ما يشير إلىٰ أن العدد الإجمالي لا يمكن أن يزيد علىٰ 1.6 مليون، وأنهم قضوا حتفهم لا من خلال أفران الغاز وإنما بسبب الجوع والمرض، والموت أثناء التعذيب، والانتحار.

وفي عام 1994 تم تغيير اللافتة الموضوعة علىٰ المعسكر، فبعد أن كانت اللافتة القديمة تتحدث عن مقتل أربعة ملايين رجل وامرأة وطفل أصبحت اللافتة الجديدة

تتحدث عن مليون ونصف فقط . ولعلّ هـذا التراجـع الإعلامـي في تفخـيم مـسلّمة الإبادة يعتبر خطوة صـغيرة نحـو الحقيقـة. واعترافـاً غريبـاً بجريمـة تزويـر التـاريخ والإدانة وقد أصبح معسكر آوشفيتز (في الخطاب السياسي والحضاري الغـربي) رمـزاً دالاً علىٰ عدة مدلولات:

- فهو رمز مباشر علىٰ الإبادة النازية لليهود بمعنىٰ التصفية الجسدية المتعمدة .
- كما أصبح معسكر آوشفيتز دالاً يشير إلىٰ كل جـرائم الإبـادة التـي تـتم بـشكل منهجي لا شخصي بيروقراطي (ولكن الصهاينة يرفضون استخدام الاسم عـلىٰ هذا النحو حتىٰ يحتفظ معسكر آوشفيتز بقداسته اليهودية التي أضفيت عليه.

ويقـول تيودور أدورنو (أحـد مفكري مدرسة فرانكفورت):

«**لا شعر بعـد آوشـفيتز**»، أي لا يمكـن لأي إنـسان أن يقـرض الـشعر بعـد أن كشفت الإنسانية عن وجهها القبـيح في آوشـفيتز - أمـا في التفكـير الـديني المـسيحي واليهودي في الغرب، فقد أصبح معسكر آوشفيتز رمزاً للعالم المادي الذي لا معنىٰ لـه والذي لا هدف له ولا غاية، فهو عالم انسحب منه الإله، ولذا يُقـال لاهـوت مـا بعـد آوشفيتز ويقصد به «لاهوت موت الإله». ويذهب الـبعض إلىٰ أن معـسكر آوشـفيتز أصبح مدلولاً (متجـاوزاً) لا يمكـن لأي دال أن يـدل عليـه. ويقولـون: إن التجربـة اليهودية في آوشفيتز لا يمكن فهمها أو تفسيرها وإنما يمكن تجربتها وحسب. ومـن لم يعش التجربة لن يفهم ما حدث، وصرح **ناحوم جولـدمان** بـأن إسرائيـل هـي كارثـة تاريخية كبرىٰ، تفوق ما حـدث في آوشـفيتز، ومـن ثـم تحـل الدولـة الـصهيونية محـل آوشفيتز باعتبارها أكبر كارثة حاقت بالجماعات اليهودية في العالم وقد أصبح معـسكر آوشفيتز موضع جدل كبير بين المسيحية واليهودية فقد أُقيم دير للراهبات الكرمليات في بقعة يقال أن الألمان أبادوا فيها كثيراً من البولنديين من المسيحيين واليهـود ،وتقـرر أن تُقام الصلوات يومياً من أجل الجميع.

ولكن بعض القيادات اليهودية في الولايات المتحـدة احتجـت عـلىٰ مـا رأتـه أن

يتحول آوشفيتز إلىٰ إبادة مسيحية، وأصرت علىٰ ضرورة أن يُزال هذا الدير حتىٰ تظل آوشفيتز رمزاً يهودياً خالصاً. وقد أذعنت القيادة الكاثوليكية في نهاية الأمر لهذا المطلب وأزيل الدير. وهنا تعلن الصهيونية صراحة بأنها تريد احتكار الإبادة لنفسها، وتمنع بالوقت نفسه الآخرين من الاستفادة منها. ولنا أيضاً أن نتلمس مقدرة الصهيونية علىٰ الضغط علىٰ المسيحية الكاثوليكية في عقر دارها.

وثيقة الإدانة الوحيدة

إن وثيقة الإدانة الوحيد التي استطاعت الصهيونية أن تنتزعها بالضغط والتحايل هي قرارات ونتائج وأحكام محكمة نورنبيرغ. واعترافات المتهمين بارتكاب جرائم الإبادة، وبوجود غرف غاز وأفران الإبادة.

لكن تلك التهم كانت قد صدرت وأذيعت في العالم قبل بدء المحاكمات والاستجوابات وقبل القبض علىٰ المتهمين أنفسهم، كما وتؤكّد الوثائق الكثيرة بأن أولئك المتهمين قد تعرضوا للتعذيب الكبير وللضغط الشديد وأن أقوالهم قد انتزعت منهم انتزاعاً وفرضت عليهم فرضاً.

يقول أهم شاهد ومتهم بالإبادة رودولف هيس في مذكراته في الصفحة 174 وقد كان قائد معسكر آشويتز النازي:

«... في أول استجواب لي، تم الحصول علىٰ اعترافاتي بالضغط والضرب ، وقد أرغمت علىٰ التوقيع علىٰ محضر استجوابي دون أن أعرف محتواه...»

«.. اعتقلوني في الساعة 11 ليلاً واقتادوني إلىٰ ثكنة في هايدين، وهناك ظلّوا يعاملونني بوحشية، وقدّموا لي مقادير كبيرة من الكحول وضربوني بالسوط كثيراً ، وعندما خارت كل قواي أجبروني علىٰ التوقيع علىٰ محضر استجوابي الأولي...»

وفي عام 1983 كشف (روبيرت بيتلر) في كتابه الفاضح والمعنون فرق الموت عن

التعذيب الذي مورس علىٰ رودولف هيس، وقد استمدّ الكاتب تلك المعلومات من العميل (برنارد كلارك) الذي اعتقل هيس فيقول:

«.. استمر تعذيب رودولف هيس ثلاثة أيام لانتزاع اعترافه الخطير..»

« لقد استمر تعذيب وضرب هيس إلىٰ حدّ تدخل فيه ضابط الصحة بإلحاح لدىٰ النقيب المحقق وقال له متوسلاً: - إذا لم تتوقف عن تعذيبه فسيصبح جثة هامدة».

وفي العام 1948 أرسلت من الولايات المتحدة إلىٰ ألمانيا لجنة قضاة للتحقق من المحاكمات الخاصة بالنازيين، فعادت بتقرير يقول:

«... تمت محاكمة 15000 ألماني نازي وحكم علىٰ 420 منهم بالإعدام، وقد أخضع كافة المتهمين للضرب والتعذيب وانتزاع الأقوال والاعترافات التي تريدها المحكمة. وفي 139 حالة تم فحصها تبين أن 37 حالة منها تمتلك جروحاً وآفات لا تشفىٰ بسبب الضربات العنيفة التي تلقاها هؤلاء علىٰ خصيهم..».

تنشيط اليهود أم إبادتهم؟

قيل بأن اليهود خرجوا من الحرب بأكبر الخسائر، لكن الواقع يدل علىٰ عكس ذلك تماماً. وهنا يتوجب علينا أن نطرح هذه التساؤلات:

ترىٰ هل كانت الحرب العالمية الثانية موجهة ضد اليهود بالدرجة الأولىٰ حتىٰ يخرجون بأكثر الخسائر؟ وهل كانوا هم موضوع الحرب وهدفها وسبب قيامها؟ وهل كان همّ هتلر الوحيد هو التخلص من اليهود وإبادتهم.؟

لم يكن اليهود بالطبع لا الهدف ولا السبب ولا الضحية ولو كان الأمر كذلك لكان الألمان سيلجؤون إلىٰ تصفية اليهود بسهولة واختصار المعارك الواسعة الكبيرة.

إن ما نتج عن الحرب العالمية الثانية هو تنشيط لا مثيل له ليهود العالم، وليس إبادتهم، فبعد ثلاث سنوات من انتهاء الحرب منح المنتصرون لليهود حق إقامة دولة إسرائيل في العام 1948 .

لقد كانت خسائر الحرب كبيرة جداً بالنسبة لكل الذين خاضوها عدا اليهود. فقد بلغ عدد مجموع القتلىٰ خمسين مليوناً، منهم 17 مليون سوفييتي وتسعة ملايين ألماني وعشرات الملايين من بولونيا ودول أوروبا. وعدة ملايين أخرىٰ من المجندين للحرب الذين اقتيدوا من إفريقيا وآسيا والدول الفقيرة. وعلىٰ هذا كان يمكن للاتحاد السوفييتي الذي خسر 17 مليون قتيل أن يطالب هو بالتعويضات من ألمانيا المهزومة. لا أن تطالب بها إسرائيل وتحصل عليها.

عدد الضحايا حسب الأساطير المختلفة

تباينت الأرقام التقديرية لعدد الضحايا اليهود الذين زعمت الأساطير بأنهم أبيدوا علىٰ أيدي النازيين الألمان، وهذا التباين في الأرقام التقديرية، وغياب الدقة في حصر الأرقام الحقيقية ليس سوىٰ دليل آخر علىٰ الأكذوبة نفسها. وهذه بعض الأرقام:

- كان عدد الضحايا اليهود في ثلاث معسكرات 2.5 مليون ضحية حسب تقرير جيرشتاين.
- 8 مليون ضحية في معسكر آشويتز وحده حسب فيلم ليل الضباب
- 8 مليون ضحية في الحرب كلها حسب وثائق لخدمة تاريخ الحرب.
- 6 مليون حسب وثائق محاكمة أدولف آيخمان
- 5 مليون في معسكر آوشفيتز وحده حسب وثائق يهودية عديدة.
- 4 مليون ضحية بموجب التقرير السوفييتي الذي منحته محكمة نورنبيرغ قيمة دليل رسمي.
- 2 مليون ضحية حسب المؤرخ ليون بولياكوف.
- 1 مليون ونصف المليون حسب لوسي دافيدوفيتش
- 1 مليون ومئتان وخمسون ألفاً حسب المؤرخ راوول هيلبيرغ.
- 1 مليون يهودي فقط حسب راوول هيلبيرغ في مرجع آخر له.

يهود فرنسا لم يختفوا

في كانون الأول 1978 أصدر سيرج كلارسفيلد (33) مذكرة نهائية عن أرقام المعتقلين والمقتولين اليهود في فرنسا خلال أربع سنوات في ظل الاحتلال الألماني لفرنسا. ودام التحقيق عشرين سنة، وقامت به لجنة تاريخ الحرب العالمية الثانية. وبعدما صدر التقرير النهائي أخفي في المكتبة الوطنية في فرنسا وتم منع كشفه للباحثين. وإن أهم ما أعلنته اللجنة عن هذا التقرير هو أن ربع اليهود الفرنسيين قد تم اعتقالهم.ولا يعطي التقرير رقماً دقيقاً ، وقد ظهرت في فرنسا بعض الأرقام المتناقضة عن عدد اليهود المفقودين في زمن الحرب. فكتاب التاريخ في منهاج الباكالوريا قسم ثاني يعطي الرقم 200 ألف معتقل يهودي، وسيرج كلارسفيلد نفسه تحدث عن الرقم 76 ألف معتقل، ويعطي هنري ميشيل الرقم 28 ألف ، ويعلق فوريسسون علىٰ تلك الأرقام فيقول:

«.. إن الفارق بين ما هو في التقرير وما يعتقده الجمهور لهو كبير جداً جداً ، وإن الرقم الحقيقي قد أخفي بسبب هذا الفارق، انظروا إلىٰ أصدقائكم اليهود الذين تعرفونهم، سترون أنهم جميعاً معكم ولم يختفِ منهم أحد أثناء الاحتلال الألماني ،، انه لم تكن هناك إبادة ليهود فرنسا علىٰ الإطلاق..» (34)

ناثان ياهو يحمّل الجميع المسؤوليةعن الهولوكوست

في العام 1996 وعندما كان رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني، أصدر ناثان ياهو كتابه المسمىٰ مكان تحت الشمس وتحدث فيه عن الهولوكوست ، واتهم أطرافا عربية بالمسؤولية عن إبادة اليهود. كما اتهم البريطانيين بتصفية اليهود. واتهم الحلفاء بغضّ النظر عن إحراق اليهود في الأفران. فقال:

«.. كان الجيستابو يرسل إلىٰ البحر سفناً محمّلة بيهود ألمانيا، لكي يثبت بأن أحداً لا يريدهم ، وكان البريطانيون يطلقون النار عليها ويعيدونها إلىٰ حيث أتت.» (28)

لكنه يكذب في هذه المقولة ، والحقيقة هي أن البريطانيين، دعموا إقامة الكيان الصهيوني، منذ إذاعة الأكذوبة وحتىٰ وعد بلفور. وإن الصهاينة المتطرفين هم أنفسهم الذين كانوا يدمّرون السفن التي تحمل يهوداً قادمين من بريطانيا، لأن أولئك اليهود لم يكونوا آنئذ ينتمون لنفس الجماعات والأحزاب اليهودية المتطرفة التي استولت علىٰ أرض فلسطين، ويقول ناثان ياهو أيضاً:

«في زمن الحرب العالمية انتشرت في الشارع العربي أهزوجة تقول:

لا مسيو ولا مستر

الله في السماء

وفي الأرض هتلر (29)

«قال ايتر فيليتسكاني نائب أدولف أيخمان أن الحسيني كان له دور في اتخاذ قرار بإبادة يهود أوروبا، فيجب عدم تجاهل دوره هذا ، فقد اقترح المفتي أكثر من مرة علىٰ النازيين إبادة يهود أوروبا. وكان يرىٰ في ذلك حلا مناسباً للقضية الفلسطينية.« (30)

« في أعقاب الحرب اكتشف مجرمو الحرب النازيون وقدموا للمحاكمة، لكن هذا لن يحصل في العالم العربي.» (31)وهنا يكذب ناثان ياهو لأن الإبادة كلها لم تحصل علىٰ الإطلاق ولأن خير دليل علىٰ موقف العرب من اليهود هو أن اليهود المواطنين في الدول العربية مازالوا يعيشون حتىٰ يومنا هذا في أحيائهم الخاصة بهم في المدن العربية، وأنهم لم يتعرضوا، لأي تهديد أو خوف. ويقوم ناثان ياهو بهذا الادعاء لهدف آخر يريده. فهو يريد تثبيت أسطورة الأكذوبة في الأذهان ، واستخدامها كذريعة ليحقق بواسطتها تثبيت الحقد اليهودي في أذهان اليهود،علىٰ العرب والمسلمين.

ثم يقول:« **لقد كان في الإمكان وقف العمل في ذلك المسلخ معسكر الإبادة من خلال طلعة جوية واحدة يقوم بها سرب من القاذفات، ولم تكن هناك حاجة سوىٰ لإعطاء أمر بسيط واحد لإحدىٰ الطائرات لكي تنحرف قليلاً وتوقف تلك المجزرة، لكن ذلك الأمر لم يعط أبداً.»** (32)

ومن كلام ناثان ياهو نلاحظ كيف تستمر الصهيونية بمحاولات تحقيق المكاسب من أسطورة المحرقة، ورغم أن الحلفاء قد أهدوا الصهيونية أعظم العطاءات عندما وضعوا أنفسهم في مكان المدافع عن خديعة الأسطورة، وأنهم كانوا المؤيد القوي لأكذوبة الإبادة بل والناشرين لها، ورغم أن حكام تلك الدول خدعوا أنفسهم وشعوبهم وشعوب العالم كله بتلك الأسطورة، جاء ناثان ياهو ينكر لكل تلك العطاءات التي قامت إسرائيل علىٰ أساسها، ويتّهم الحلفاء بأنهم تخاذلوا عن منع حدوث الإبادة وبأنهم كانوا يغضّون النظر عن أعمال الإبادة..ونلمس مكر ناثان ياهو في تصريحاته تلك ومكر اليهود كعادتهم، وصدق الله العظيم في وصفهم ووصف كفرهم.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ في سورة البقرة : ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة2/ 100].

تطور المصطلحات العالمية المتعلقة بالإبادة

ومن ضمن المنظومة الفكرية الجديدة التي استحدثتها الصهيونية اعتماداً علىٰ مزاعم الإبادة كانت انتشار مصطلحات عالمية جديدة في مجالات عديدة، وتنطلق هذه من كلمة الهولوكوست وكلمة الإبادة:

الإبادة: يُستخدَم مصطلح الإبادة في العصر الحديث ليدل علىٰ محاولة القضاء علىٰ أقلية أو طائفة أو شعب قضاء كاملاً.

إبادة اليهود: The Jews of extermination يُطلَق مصطلح إبادة اليهود في الخطاب السياسي الغربي للتعبير عن محاولة النازيين التخلص من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوربية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) عن طريق تصفيتهم جسدياً (من خلال أفران الغاز والمحارق).

جينوسايد genocide: وهي كلمة تتألف من مقطعين «جينو» من الكلمة اللاتينية genus بمعنىٰ «نوع» و caedes بمعنىٰ «مذبحة» وتستخدم كلمة جينوسيد للاشارة

إلىٰ محارق عنصرية ضد اليهود.

الحل النهائي: وهذا مصطلح ألماني نازي كان يقصد به التخلص من اليهود وذلك بنقلهم إلىٰ دولة أخرىٰ واقترحت لذلك سورية ومدغشقر وفلسطين ودول شرق أوروبا، وقد حرّف المتطرفون الصهاينة هذا المصطلح وأصبح في الوثائق اليهودية والغربية الرسمية يدل علىٰ مشروع نازي لإبادة اليهود.

الهولوكوست الصامت: Silent Holocaust يستخدم الصهاينة هذا المصطلح في مناسبات عديدة، وهم يشيرون ، علىٰ سبيل المثال، إلىٰ «الزواج المختلط» بين اليهود بأنه «الهولوكوست الصامت وحينما يُصعِّد العرب من مقاومتهم للمستوطنين الصهاينة فإنهم ـ حسب المصطلح الصهيوني ـ يهددونهم بالهولوكوست. واستخدمت إحدىٰ الصحف هذا المصطلح للإشارة إلىٰ إحدىٰ صفقات أسلحة الميراج بين ليبيا وفرنسا.

هولوكوستي Holocausty: وهي اسم صفة مشتق من هولوكوست. استخدم أحد المتحدثين الصهاينة كلمة «هولوكوستي، فأشار إلىٰ أحد الأفلام بأنه ليس «هولوكوستي Holocausty» بما فيه الكفاية.

هولوكيتش Holokitsch: ويتم في الوقت الحاضر الاتجار بالهولوكوست وتوظيفها لخدمة الأهداف الصهيونية والتجارية. وقد ظهرت مجموعة من المصطلحات المشتقة من كلمة «هولوكوست» والتي تُعبِّر عن الاستياء العميق من عملية التوظيف هذه. فنحت أحد الكُتَّاب كلمة «هولوكيتش Holokitsch» لوصف الكُتب والأفلام عن موضوع الهولوكوست والتي تُنتَج وتُنشَر بهدف تحقيق الربح، حيث إنها تحاول إثارة العواطف واستغلالها علىٰ أسوأ وجه. وكلمة «كيتش» في اللغة الألمانية تعني الأعمال الفنية الشعبية الرديئة.

هولوكوست بوزنيس: كما ظهرت عبارة «هولوكوست بيزنس» «Holocaust business» أي «مشروع الهولوكوست التجاري»، بمعنىٰ توظيف الهولوكوست تجارياً لتحقيق الأرباح العالية.

مصطلحات أدت إلى تشويه قيمة الإنسانية

إن علم الاجتماع الغربي يمتلك اليوم مصطلحات جديدة تربط مصطلحي «الإبادة» extermination و«التفكيك» deconstruction بمجموعة من المصطلحات الأخرىٰ التي استخدمها لوصف بعض الجوانب السلبية للحداثة الغربية، decentering man أي إزاحة الإنسان عن المركز ، بمعنىٰ إفقاد الإنسان مركزيته في الكون

- depersonalization . إسقاط السمات الشخصية للإنسان

- disenchantment of the world أي تحرير العالم من سحره وجلاله ،بمعنىٰ أن يصبح العالم مادة محضة لا أسرار فيها، يمكن للعقل الإحاطة بها ومعرفة قوانينها والتحكم فيها.

- desanctification desacralization أي «نزع القداسة عن الظواهر كافة ومنها الإنسان بحيث تصبح لا حرمة لها وينظر لها نظرة مادية لا علاقة لها بما وراء الطبيعة.

- demystification نزع السر عن الظواهر بما في ذلك الإنسان .

- denuding أي تعرية كل الظواهر من أية مثاليات ومنها الإنسان حتىٰ تظهر علىٰ حقيقتها المادية .

- dehumanization أي تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية .

وهذه المصطلحات تشوه الفكر الإنساني والعلوم بأنواعها، وإن نفوذ الصهيونية في المؤسسات العلمية العالمية وفي المؤسسات الإعلامية مكّنها من تثبيت هذه المصطلحات،وبواسطتها تبدأ عملية العلمنة الشاملة بعد المرحلة الإنسانية الهيومانية الأولىٰ أي بإزاحة الإنسان عن المركز ثم نزع الجوانب الشخصية عنه بحيث يصبح شيئاً ليست له خصوصية أو تفرُّد. ثم يُحرَّر العالم من سحره وجماله فيصبح الإنسان

والطبيعة مادة محضة، ثم تنزع عنه كل قداسة وتُهتَك كل أسراره، ويُعرَّىٰ من أية مثاليات لنصل إلىٰ نوع من أنواع الإباحية الأخلاقية المعرفية. ولعل من الضروري أن نربط كل هذه المصطلحات وغيرها بالمصطلح الذي أطلقه الصهاينة علىٰ الهولوكوست وهو «نهاية التاريخ» باعتبار أن نهاية التاريخ هي النقطة التي يتم التحكم فيها في كل شيء وينتهي الإنسان كما نعرفه، أي الإنسان الذي يشغل مركز الكون متجاوزاً النظام الطبيعي. ومفهوم نهاية التاريخ.

وقد صدر مصطلح نهاية التاريخ عن بعض اليهود المتطرفين الذين رأوا بأن المحرقة النازية كانت نهاية التاريخ ونهاية الرب اليهودي. ونهاية العصور اللاهوتية وبداية الإنسان المادي. وبذلك يكون اليهود قد شوّهوا القيم الإنسانية الهيومانية، وصبغوا الإنسان بالقيمة المادية البحتة. وإن العالم الغربي قد تأثر بشدة في هذه النظريات الهدّامة لكن الشرق المسلم حصّنه إسلامه وحماه منها. بل من الملاحظ أنه كلما ازدادت علمانية العالم الغربي وازداد ابتعاده عن الإيمان الديني. تزايد العمق الديني عند المسلمين وزاد تشبثهم بالمفهوم الإيماني.

تطور معنى الهولوكوست

يتعمّد الصهاينة إذاعة عبارة الهولوكوست والتذكير بها باستمرار للتأكيد علىٰ تثبيتها وترسيخها في أذهان الشعوب العالمية كلها، والشعب اليهودي خصوصاً. وذلك كله لأنها كمصطلح يقال أفادت الصهيونية أكبر إفادة حققه شعب من إشاعة كاذبة عبر التاريخ كله.

ومن هنا فلم يكتف اليهود بالمصطلح المعروف وحده بل وجاءت منه اشتقاقات لغوية عديدة.

وإن العقيدة اليهودية احتكارية؛ أي تحتكر الرب لليهود وحدهم وتحتكر لنفسها مزاعم صفاء العنصر والشعب الذي اختاره الرب والدين الذي اختاره الرب، ومن

هذا الاحتكار اليهودي لكل الأدوات المتاحة جاء احتكارها لمصطلح الإبادة ولكل ما نتج عنه.

يُشار إلىٰ الإبادة في معظم الأحيان بكلمة «هولوكوست» وهي كلمة يونانية تعني «حرق القربان الكامل» وتُترجم إلىٰ العبرية بكلمة «شواه»، وتُترجم إلىٰ العربية أحياناً بكلمة المحرقة.

وكانت كلمة هولوكوست في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلىٰ القربان الذي يُضحَّىٰ به للرب، وكان القربان بشرياً أحياناً وحيوانياً أيضاً، ومن الواجب أن يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص علىٰ المذبح، ولا يُترك أي جزء منه لمن قدَّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون علىٰ بعض القرابين المقدمة للرب.

ويعتقد اليهود بأن للرب حصة طعام يتناولها من اليهودي. وبفناء القربان يكون الرب قد تناوله وأكله. ولذلك، كان الهولوكوست يُعَدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء.

ارتباط الأكذوبة بالعقيدة اليهودية

بعد انتشار الأكذوبة طرأت تطويرات وتحديثات في العقيدة اليهودية وفي الشريعة وفي تحديد صفات الرب وفي طرق العبادة وفي تحديد مفاهيم ومصطلحات الديانة اليهودية، بل واعتبر ذلك اليوم هو نقطة تحول كبيرة في التاريخ والعقيدة اليهودية. وقد تطور معنىٰ مصطلح الهولوكوست، واعتبر اليهود بأن الإبادة هي هدم الهيكل. وأشير إلىٰ أن الرب حقق إرادته وسكن مع اليهود في صهيون. وقال بعض المتفلسفين بأن الرب قد اختفىٰ بعدما انتهىٰ دوره.

الإبادة كمصطلح تاريخي وعقيدي يهودي

لم تكن فكرة الإبادة الشاملة وليدة لحظة عند الصهاينة الذين أذاعوا الأكذوبة بل هي فكرة وصورة راسخة في الذهن والتاريخ اليهودي منذ أن كانت اليهودية، فقد وردت في العهد القديم أوامر عديدة بإبادة سكان أرض كنعان وطردهم. كما وردت أوامر بإبادة المصريين وشعوب أخرىٰ. ولكن من الثابت تاريخياً أن العبرانيين والكنعانيين تزاوجوا، وأن معظم ادعاءات الإبادة التي تتحدث عنها النصوص اليهودية إنما كانت تعبّر عن رغبات العقل اليهودي وعن كره اليهود للشعوب الأخرىٰ.

ولا يمكن الأخذ بادعاءات اليهود بأنهم قاموا بإبادة تامة للكنعانيين كما ورد في التوراة، كما أن استيطان العبرانيين لم يتم عن طريق الغزو دفعة واحدة وإنما كان يحدث عن طريق التسلل الخبيث والاستيطان علىٰ دفعات بشرية يهودية، تماماً كما يحصل الاستيطان في فلسطين.وإن ادّعاء اليهود بأنهم كانوا قد أبادوا الكنعانيين إبادة تامة وإيمانهم بحدوث تلك الإبادة فذاك يدل علىٰ وجود أدبيات ومفاهيم إبادية جاهزة في الذهن اليهودي الحديث.ومن هذا الذهن انتشرت عدوىٰ الأداء الإبادي إلىٰ العقل الغربي ، فقام الأخير بأعمال إبادة كثيرة، ومن الذهن اليهودي نفسه أيضاً تم ابتداع الإبادة علىٰ أيدي النازيين.

ولا يقتصر مفهوم الإبادة عند اليهود علىٰ التاريخ وحده بل انه طقس ديني يتم فيه إبادة القربان المقدس.أو إبادة البشر كأضاحي حية تقدم للرب.

الإبادة هي هدم الهيكل

وفي الأدبيات الصهيونية يستخدم اليهود كلمة «حُربان» للدلالة علىٰ الإبادة.وهي كلمة عبرية تُستخدَم للإشارة إلىٰ «هدم الهيكل»، فكأن الشعب اليهودي الذي يزعم إبادته علىٰ أيدي النازيين هو هيكل الرب، أو البيت الذي يحل فيه الإله، والإبادة هي تهديم بيت الرب. فيصبح اليهود هم الهيكل وهم بيت الرب.وكلمة حربان ودلالاتها

تُدخل حادثة الإبادة في التاريخ اليهودي المقدَّس.

وإن اليهود هم الذين يقومون بهذا الربط بين المعنيين، وهنا يرتبط معنىٰ الإبادة ربطاً كبيراً بالعقيدة والنص اليهودي المقدس، ويضطر اليهود للكشف عن هذا الربط ليحققوا من خلاله أهدافاً دينية ومكاسب عنصرية، لكنهم بذلك يفصحون عن المقصد والهدف والدافع الذي جعلهم يبتدعون الأكذوبة.

يعتبر المتطرفون اليهود أنفسهم هيكل الرب والمحرقة التي تصنع للرب. ويعتقدون بأن الإبادة قد دمّرت هيكل الرب ، وإن هذا الربط التام بين حدث مزعوم وبين المبدأ العقيدي يدّل بقوة علىٰ أن الأكذوبة كلها إنما تولدت من ذلك الفكر اليهودي المتطرف نفسه.

وبهذا التشبيه والتعبير يقوم اليهود باحتكار مصطلح وتصميم الإبادة والمحرقة لأنفسهم كعنصر ديني يهودي. إذ أن الهيكل هو هيكل الرب اليهودي الذي يعتقد به اليهود وحدهم، فلا يمكن للمسيحية علىٰ سبيل المثال أن تحقق أي نفع أو أية شكوىٰ من الإبادة. وبالتالي لا يحق لها مناقشة الإبادة نفسها لأنها لا تمتلك في عقيدتها هيكلاً للرب. ولأن الأخلاق العامة تمنع مناقشة اليهود في أمور عقيدتهم الخاصة بهم. واعتماداً علىٰ كل هذا اتخذت قوانين صارمة تمنع مناقشة الإبادة والمحرقة انطلاقاً من المبدأ نفسه وهو أنها قضية عقيدية يهودية خالصة.

إن ربط الإبادة بالهيكل اليهودي المقدس أمر لا يمكن تمثيله في ذهن المسلم المتنور. وهذا يدل علىٰ تحرر أفكارنا من الخرافات والأساطير وعلىٰ عظمة إسلامنا.

نقل المبدأ الإبادي للشعوب العالمية

لم يعرف تاريخ شعوب العالم كلها فكراً ومبدأً إبادياً مثلما عرفه اليهود. فهم وحدهم الذين اختصّوا بالاعتقاد بالإبادة والتحدث بها، فلأنهم كشعب وعرق يحملون هذا المبدأ وهم كيهود يثبتونه في نصوصهم التوراتية. ولأنهم يحرقون الأضحية ويقومون

بإبادتها وتحويلها إلىٰ رماد، ويعتقدون بأن الرب أمرهم بذلك فهم يسحبون مبدأ الإبادة علىٰ الغير ليصبح ممكناً تحقيقه علىٰ البشر جميعاً. هذا إضافة إلىٰ أنهم يعتقدون بأن الرب أمرهم بإبادة شعوب كثيرة في نصوص العهد القديم. فهم يمارسون طرق إبادة مستمرة علىٰ الشعوب الكثيرة دون رادع أخلاقي أو حضاري. ففي جنوب لبنان قامت قوات إسرائيلية عدة مرات بتدمير مراكز وآليات وبقتل جنود تابعين للأمم المتحدة. رغم أنّ هؤلاء لا يشتركون في الحروب معها. وفي فلسطين المحتلة قتلت إسرائيل عدة مرات مراسلين وغربيين رغم حيادهم الواضح. كما أنّ نشر الفكر الصهيوني وفلسفة الإبادة علىٰ حساب المسيحية ما هو إلَّا مشروع لإبادة المسيحية نفسها.

وكانت صورة الإبادة تتجلىٰ باستمرار في كافة النتاجات اليهودية اليومية. ومنهم انتقلت إلىٰ المجتمع السياسي الغربي، وكان ذلك بفضل الاحتكاك الكبير بين يهود أوروبا وأبناء الغرب المسيحيين. كما وساهم المفكرون والفلاسفة اليهود في نشر مصطلحات ومفاهيم الإبادة في الذهن الغربي المسيحي. وفي القرون الأخيرة تشرب الغرب هذه المبادئ، وتبناها واعتمد عليها كمبرر في تنفيذ أعمال إبادة إجرامية عديدة رغم أنها تخالف عقيدته المسيحية السمحة. وتخالف قيمه الحضارية التي ينادي بها.وبسبب ذلك المدّ الفكري الصهيوني أصبح الغربي يمارس الإبادة تلقائياً وبدون أيّ رادع أخلاقي أو ديني أو حضاري، ومن هنا نفسّر جرائم الإبادة الحقيقية التي يقوم بها جنود أمريكيون في العراق وأفغانستان. ففي هذا اليوم بالذات20 آذار 2007 أعلن عن محاكمة جندي أمريكي لقتله عشرة مواطنين سجناء عراقيين دون سبب. وعندما أصبحت الإبادة ممارسة يومية في العراق كان لابدّ من انتقال عدواها إلىٰ العراقيين أنفسهم، فأصبح الجندي العراقي الذي يحضر أعمال الإبادة علىٰ يد الأمريكيين أصبح يقوم بها وأيضاً بدون رادع ديني أو وطني، لأن الأمريكي برر للعراقي القتل بدون وجود للرادع.ثم انتقلت تلك الحمّىٰ إلىٰ الميليشيات والأفراد وإلىٰ الجماعات التي تحمل أيديولوجيات دينية إسلامية، فرغم أنّ الإسلام يحرم عليهم

اغتيال المسجد بكلّ من فيه وما فيه، رأيناهم يجدون مبررات للإبادة، وهذا السياق الذي بدأ في الذهن الصهيوني والذي امتدّ ليصل في النهاية إلىٰ الجماعات الإسلامية، يعكس الخطر الصهيوني علىٰ البشرية كلها.ويوجب علينا أن نحذر منه باستمرار.

ويستند الاستعمار الاستيطاني الغربي أيضاً إلىٰ الإبادة، فهذا ما فعله سكان أمريكا الشمالية البيض بالسكان الأصليين، وهي عملية استمرت حتىٰ أواخر القرن التاسع عشر ، فقد استخدم المستوطنون الجدد كافة طرق الإبادة البشعة في القارة الجديدة. كما أبادوا عشرات الملايين في قارة أفريقيا. كما ومارس اليهود أنفسهم عمليات إبادة كثيرة في الأراضي الفلسطينية التي اغتصبوها وفي لبنان .

ومن سمات مفهوم الإبادة الحديثة الذي أنتجته اليهودية، أنها ارتبطت بأيديولوجيات فكرية وسياسية منهجية، وأرادت تحييد الواقع كله (الإنسان والطبيعة) وتحويله إلىٰ مادة استعمالية ليست لها قداسة خاصة، وذلك حتىٰ يمكن التحكم (الإمبريالي) فيه وإخضاعه للتجريب بلا تمييز بين الإنسان والحيوان ، وهذه المفاهيم تبيح تحويل كل شيء ضمن ذلك الإنسان، إلىٰ وسيلة. ومن ثم فهناك فارق ضخم بين الإبادة (الحديثة) وبين المذابح وأعمال الجنود في المجتمعات التقليدية القديمة.

توظيف الإبادة

تتسم المجتمعات اليهودية بمقدرتها الفائقة علىٰ الاستفادة من كل شيء، دون أي اعتبار لأي قداسة أو محرمات، وحدث الشيء نفسه بالنسبة لأكذوبة الإبادة. وتبدأ عملية توظيف الإبادة علىٰ يد الصهاينة بمحاولتهم فرض معنىٰ صهيوني ضيق عليها باعتبارها جريمة العصر التي ارتكبها الألمان والأغيار ضد اليهود فحسب. ثم تُعطي واقعة الإبادة مكانة محورية في تاريخ أوربا وتاريخ العالم كله. ولذا صدرت عشرات الأفلام والدراسات والأعمال الفنية لحفر الإبادة في الذاكرة باعتبارها واقعة حدثت لليهود وحدهم، وبالوقت نفسه ترفض الصهيونية الاعتراف بكل ضحايا الحرب

العالمية الخمسين مليوناً. لأن التحدث في شأن أولئك الضحايا سوف يؤدي إلىٰ فقدان الصهيونية للورقة الرابحة الوحيدة التي امتلكتها بطريقة تلاعبية واحتيالية. وإلىٰ الكشف عن حقيقة أنها ورقة رابحة كان امتلاكها بفضل أكذوبة كبيرة.

وقد دخلت دراسة الهولوكوست عشرات الجامعات والكليات الأمريكية، وأُقيمت نصب تذكارية للإبادة بالعبرية والإنجليزية في واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس وغيرها. وأنشأت الحكومة الأمريكية المجلس الأمريكي للتذكير بالإبادة، وتم إنشاء متحف تُخلَّد فيه ذكرىٰ الإبادة النازية في واشنطن بجوار المتاحف القومية الأمريكية. وباسم الإبادة، حاولت المؤسسة الصهيونية التدخل (دون نجاح كبير) في انتخابات الرئاسة في النمسا عام 1986، واعترضت بشدة (دون نجاح مرة أخرىٰ) علىٰ زيارة الرئيس الأمريكي ريجان لمقبرة بتبرج الألمانية التذكارية لمجرد أن بعض المدفونين فيها من رجال قوات الصاعقة النازية.

وفي الستينيات من القرن الماضي قامت إسرائيل بملاحقة العلماء الألمان المتعاملين مع مصر عبد الناصر، وقامت باغتيال بعضهم، وربطت تعاملهم مع المصريين بأسطورة الإبادة بل واعتبرت أن الألمان جاؤوا إلىٰ المنطقة لإبادة اليهود مرة ثانية. وفي محكمة أوروبية أقيمت للحكم بالشكوىٰ التي رفعتها إسرائيل قال المدافع عنها بأن الألمان يقومون في مصر بصناعة قنابل غازية سامة تكفي لتغطية سماء إسرائيل تماماً وإبادة كافة سكانها.

ومن أهم أشكال توظيف الإبادة لصالح الصهيونية هو استخدامها كسحابة كثيفة لتبرير الفظائع التي ارتكبتها وترتكبها الدولة الصهيونية ضد الفلسطينيين. كما تُوظَّف الإبادة في جمع التعويضات التي تمول الكيان الاستيطاني الصهيوني (بلغ حجم التعويضات الألمانية وحدها 70 بليوناً من الدولارات في 35 عاماً). ومن المعروف أن هذه التعويضات التي تلقتها الدولة الصهيونية أنعشت الاقتصاد الإسرائيلي، ومكنت الدولة الصهيونية من شراء مزيد من الأسلحة وبناء المستوطنات. التعويضات تعني في

واقع الأمر، حصول إسرائيل (وبعض أعضاء الجماعات اليهودية) علىٰ مقابل مالي تعويضاً عن الآلام التي لحقت بهم ففي موقف مماثل أظهرت الصين موقفاً أخلاقياً وحضارياً حين رفضت أن تتقاضىٰ تعويضات مالية من اليابان علىٰ جرائمها ضد الصينيين باعتبار أن قبول التعويضات فيه تنازل عن الحق الأدبي، وفيه تخلٍّ عن المنظور الأخلاقي (المطلق) حيث تتحول القضية إلىٰ ما يشبه المقايضة . وهنا وبالمقارنة مع الموقف الصيني نكتشف لا أخلاقية ولا إنسانية الكيان الصهيوني.(46)

حالات استثنائية تكشف الأكذوبة

وإن وجود الحالات الاستثنائية والانتقائية في اختيار المتعامل معه عند الصهاينة يكشف عن زيف الادّعاء اليهودي بأن المحرقة قدس يهودي لا يمكن غض النظر عنه. ويكشف بوضوح بأنه ليس في العقيدة السياسية اليهودية تابو مقدس اسمه هولوكوست بل توجد مصلحة تسمح بكل الممنوعات. فإسرائيل جنّ جنونها عندما قام كورت فالدهايم بترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية في النمسا، وبالوقت نفسه أقامت علاقات قوية ومميزة مع رئيس وزراء جنوب أفريقيا الذي يعترف بعلاقاته القوية السابقة مع النازيين. وفي هذا التناقض الصهيوني دليل علىٰ اقتناع الساسة الصهاينة أنفسهم بأنهم صنعوا أكذوبة وخديعة ليستفيدوا منها لا لأن يخسروا فرص الاستفادة من ظروف تناقض مبدأ الأكذوبة. ففي موقفهم من فالدهايم كانت حجة ارتباطه بالنازية ذريعة وكان عملهم ضده يهدف منع العرب من تحقيق الاستفادة من علاقتهم مع رئيس نمساوي مقبل أعلن عن تعاطفه مع العرب وعن استنكاره لسياسة الإرهاب الصهيوني. وفي موقفهم من بلثازا فولستر كانوا يريدون مكاسب لا تعوض من دولة متطورة في الصناعات الحربية، وقد غضّوا النظر عن علاقاته بالنازية لأنهم هم أنفسهم كانوا أصدقاء حميمين للنازية نفسها.

فإن عملية توظيف الإبادة تتم من منظور نفعي مادي انتقائي محض لا علاقة له

بالقيم الأخلاقية. وفي هذا الإطار تطرح قضية علاقة الدولة الصهيونية مع بعض الشخصيات والدول التي كانت لها علاقة بالنظام النازي. إذ لا تُمانع إسرائيل البتة في توثيق علاقتها مع بعض حكومات دول أمريكا اللاتينية التي تأوي مجرمي الحرب النازيين (الذين تزعم إسرائيل أنها تطاردهم في كل زمان ومكان!) مادام هذا يخدم مصلحتها.

وقد تعاونت إسرائيل مع حكومة جنوب أفريقيا العنصرية التي كانت معروفة بتعاطفها الكامل مع النظام النازي. وقامت باستضافة رئيس وزراء جنوب أفريقيا، بلثازا فورستر، وهو جنرال سابق في الحركة الوطنية في جنوب أفريقيا الموالية للنازيين والتي كانت تقاوم المجهود الحربي للحلفاء، وقد اعتُقل لمدة عشرين شهراً بسبب اشتراكه في المقاومة.

ورغم مرور عشرات السنين إلَّا أنه لم يُنكر موقفه الموالي للنازية. وقد سمحت له الحكومة الصهيونية بوضع إكليل من الزهور علىٰ ياد فاشيم وهو النصب التذكاري المقام لضحايا الإبادة النازية لليهود، الأمر الذي دفع جريدة الجيروساليم بوست (الصهيونية) إلىٰ الاحتجاج وإلىٰ الإشارة إلىٰ الحقيقة البدهية التي تغاضت عنها إسرائيل وهي أن اليهود ينبغي عليهم ألا يرتبطوا بأحد المؤيدين السابقين للنازية ويذكر أن الكيان الصهيوني أقام آنذاك تعاوناً عسكرياً واتفاقيات تبادل خبرة في الصناعات العسكرية، إضافة لتبادل صفقات السلاح بين البلدين. وأغرب ما في الأمر أن إسرائيل كانت في وقت من الأوقات الدولة الوحيدة الصديقة لحكومة جنوب أفريقيا العنصرية المنبوذة في العالم كله.

تناقض صهيوني بشأن تكرار الإبادة

تحاول الدعاية الصهيونية توظيف واقعة الإبادة في تعبئة أعضاء الجماعات اليهودية (باعتبارهم الضحية الوحيدة) . ولتحقيق هذا يحاول الصهاينة أن يجعلوا من الإبادة حجر الزاوية الذي تستند إليه الوحدة بين يهود العالم في إسرائيل وخارجها.

فالإبادة، بعد فرض المعنىٰ الصهيوني عليها، تنهض دليلاً علىٰ رفض العالم لليهود، وعلىٰ أن الأغيار يتربصون دائماً بالضحية وهي اليهود جميعاً، ومنهم الأحياء ومنهم أولئك الذين قدّموا قرباناً علىٰ المحرقة. وهذا تأكيد للمقولة الصهيونية الخاصة بأزلية معاداة الأغيار لليهود وحتميتها، ومن ثم يتعيَّن علىٰ يهود العالم الهجرة إلىٰ الوطن القومي.ومن بقي منهم خارجها فتوجب عليه وفق هذا المفهوم أن ينضم بجهوده وقدراته كلها إلىٰ الكيان الصهيوني لأنه مستهدف حسب أدبيات الإبادة، ولأنه الضحية التي يريد العالم كله أن يحرقها ويبيدها.

ولكن يهود العالم مع هذا، يتصرفون علىٰ أساس أن الإبادة أمر مستحيل الوقوع مرة أخرىٰ، وهم يستندون علىٰ اعتقادهم هذا بإسناد الحادثة إلىٰ التوراة وإلىٰ وعود الرب لهم. فعندما اعتبروا أن الإبادة هي نهاية التاريخ اليهودي وأنها هدم هيكل الرب وأنها تحقيق وعد الرب بإعادتهم إلىٰ فلسطين وعندما تمادىٰ آخرون بتصريحهم بأن دور الرب قد انتهىٰ بعدما أعاد شعبه المقدس إلىٰ أرضه المقدسة، إن تلك الاعتقادات تعني أن الإبادة حدث توافق مع النصوص والعقيدة التوراتية، وبالوقت نفسه فإن تلك النصوص والعقائد تعتبر ذلك هو يوم الميعاد الذي قطعه الرب لشعبه، والذي يعادل يوم القيامة عند المسلمين.إذاً فلا يمكن أن يكون هناك يوم ميعاد ثانٍ ولا يمكن أن تتكرر كل الأحداث الموعودة ولذلك فالعقيدة اليهودية تقر بأن الإبادة لن تتكرر.

وبالوقت نفسه تكشف السياسة الإسرائيلية والتصريحات الصهيونية السياسية المستمرة عن خشية دائمة عند اليهود من تكرار الإبادة علىٰ أيدي العديد من شعوب العالم. وكان آخرها إعلان خشيتهم من إيران ومحاولاتهم التي لا تتوقف في تحريض دول العالم عليها. فقد زعم شيمون بيريس بأن إيران تحضّر إلىٰ هولوكوست جديد. وهنا تتلاعب إسرائيل بالمفاهيم وتحاول الاستفادة من أكذوبة المحرقة والإبادة في السرّاء والضرّاء، ففي كل سنة تقريباً نسمع عن إطلاق الصهاينة لاسم شعب وحكومة تتربص بهم وتسعىٰ لإبادتهم. وقد اتهمت بذلك الفلسطينيين واللبنانيين

والمصريين في عهد عبد الناصر وثم العراقيين في زمن حكم صدام حسين حين قامت بتدمير مفاعله النووي. وهي علىٰ الدوام تتهم السوريين بامتلاك أسلحة متطورة. وبعد العام 1995 بدأت تتهم جماعة القاعدة بالعمل علىٰ إبادة إسرائيل. وفي العام 2006 بدأت تتهم الإيرانيين. واستجابة لرغبات إسرائيل، حشدت الولايات المتحدة بوارجها وعتادها حول إيران وكادت تشعل حرباً كبيرة لا نهاية لها.

وتربط إسرائيل اتهاماتها دوماً بذكرىٰ الإبادة النازية، وكل ذلك يكشف عن سياسة هدفها الإفادة من فكرة الإبادة، وكأن الصهيونية تقول (نحن صنعنا الإبادة لنحقق منها الفائدة لأنفسنا ولن نسمح لغيرنا بالإفادة منها. وبالوقت نفسه فلن نفوّت علىٰ أنفسنا فرصة تحقيق أية فائدة إذا اضطرنا ذلك لمخالفة القيود الصارمة لموضوع الإبادة) فقد وضعت إسرائيل والمنظمات الصهيونية العالمية قيوداً صارمة تمنع بموجبها مناقشة أو مخالفة معايير فكرة الإبادة، لكن كما يتضح لنا فإن تلك المعايير تلزم الآخرين التقيد بها ولا تلزم إسرائيل نفسها.

قبل الإبادة وبعد الإبادة

ويحاول الصهاينة تقديم قراءة كاملة لما يسمونه «التاريخ اليهودي» بحيث تصبح الإبادة أهم معلم فيه، **فيُقال «قبل الإبادة «و«بعد الإبادة»**، تماماً مثل استخدام مصطلح قبل التاريخ وبعد التاريخ، أو المصطلح التوراتي قبل الخروج وبعد الخروج أو «قبل هدم الهيكل» و«بعد هدم الهيكل». وعندما يُشار للإبادة بأنها «حُربان» وهي كلمة عبرية تستخدم للإشارة إلىٰ «هدم الهيكل» تأخذ الإبادة معنىٰ آخر وهو هدم الهيكل للمرة الثالثة حسب الاعتقاد اليهودي، الأمر الذي يدخل اليهود في دورة جديدة من أدوار التاريخ اليهودي المقدَّس.

لاهوت الإبادة حدث مطلق

إن كافة اليهود المؤيدين لحدوث الإبادة يعتبرونها حدثاً دينياً يأخذ بعداً توراتياً، ويتعلق بوعود الرب ليهوده وبأعماله التي يعجز البشر عن فهمها. وان تأطير أكذوبة الإبادة ضمن العقائد اليهودية الخاصة بهم جعلتهم يفرضون علىٰ الآخر المسيحي والمسلم عدم التدخل بأمور عقيدية مقدسة عند اليهود وبالتالي عدم مناقشة الإبادة والمحرقة، ويذهب بعض المفكرين الدينيين اليهود إلىٰ ما هو أبعد من ذلك؛ فيعتقدون أن الإبادة غيَّرت من النسق الديني اليهودي ذاته. ولذا، فإنه من الضروري، حسب رأيهم، الحديث عن لاهوت ما بعد آوشفيتز ، أو لاهوت الإبادة. ولاهوت الإبادة هذا يرىٰ حادثة الإبادة باعتبارها حدثاً مطلقاً لا يمكن فهمه، ويتعلق هذا الحدث بأسرار الرب وأعماله. ولأنه سرّ رباني فيجب أن تكون أكثر الحوادث أهمية وقداسة عند اليهود، ويصبح الشعب اليهودي هو المسيح المصلوب.وينادي هؤلاء المفكرون بحتمية أن تصبح الإبادة هي المرجعية الأساسية لليهود، وهذا ماحدث بالفعل. ومن ثم ضرورة مناقشة مدىٰ عدالة الرب أو عدم عدالة الرب الذي سمح بحدوثها، ثم مناقشة الرب نفسه. وطرح التساؤلات حوله: وهل هو رب خيِّر أم شرير؟، وهل يتدخل في التاريخ بمنحه الغرض والغاية أم يترك التاريخ في حالة فوضىٰ كاملة؟ وعندما اتهمه بعضهم بالتغاضي عن إبادة اليهود قاموا بعزله وتحييده، فأصبحت اليهودية بدون رب في هذه المرحلة،ولم تعد بحاجة لوجوده في المستقبل عند المنظّرين الآخرين.

كما أن البقاء؛ أي بقاء الشعب اليهودي يصبح هو المطلق الوحيد الذي يَجُبُّ سائر الاعتبارات الأخلاقية الأخرىٰ ويصبح النقطة المرجعية النهائية الوحيدة عند الصهيونية. وبذلك يصبح بقاء إسرائيل ضرورة تسمح للصهيونية بقتل نصف البشرية مقابلها. فبقاء إسرائيل وتقديسها لا يعني إمكانية إبادة الفلسطينيين أو العرب فحسب بل يعني أيضاً إمكانية إبادة الصين أو روسيا أو إيران أو أية دولة غربية إذا اقتضت الضرورة. لأن بقاء إسرائيل مقدس عند اليهودية، ولأنه هو المطلق الوحيد

في هذا الكون.ويساعد التركيب الجيولوجي لليهودية علىٰ السماح بإفراز مثل هذه الأفكار وإعطائها قسطاً من الشرعية. فاليهودية تستهين بصفات الرب وتجعله مشابهاً للإنسان. ثم تجعله هو نفسه الشعب اليهودي وهو نفسه دولة إسرائيل، وبقاء إسرائيل هو بقاء الرب. ولذلك حرصت إسرائيل علىٰ امتلاك السلاح النووي. وهي جادة جداً في استخدامه في أية لحظة تاريخية.بل إنها الدولة العالمية الوحيدة التي تسمح لنفسها باستخدامه حين تتعرض مصالحها للخطر وهذا ما يفسّر لنا أحداثاً تاريخية كثيرة تتعلق بالحروب العربية الإسرائيلية.

ومما يجدر ذكره أن الجماعات الأصولية ذات التوجه الصهيوني المسيحي الواضح ترىٰ أن الإبادة هي بالفعل دليل علىٰ أن الرب قد هجر اليهود بسبب الذنوب التي اقترفوها ويذهب بعض المفكرين الدينيين اليهود (الأرثوذكس) إلىٰ أن الإبادة ذات مغزىٰ ديني عميق، فيرىٰ بعضهم أن إبادة اليهود هي هدم الهيكل الثالث وأن هتلر هو ذراع الخالق وأداته في حرق اليهود، كما يذهبون إلىٰ أنهم بمثابة الماشيَّح المذبوح الذي سيُولَد العالم من جديد بعد ذبحه.

ويطرح آخرون رأياً مغايراً لهذا، إذ يذهب بعض الحاخامات مثل مناحم هارتوم وإليعازر شاخ، الأب الروحي لحزبي شاس و ديجيل هاتورا إلىٰ أن الإبادة لها حقاً مغزىٰ ديني ولكنها عقاب علىٰ خطيئة اليهود لابتعادهم عن تنفيذ الأوامر والنواهي، وسوف يقوم الإله بتدميرهم مرة أخرىٰ إن لم يندموا ويعودوا عن طريق المعصية.

وإن كل تلك التفسيرات تفرض حصر مناقشة الإبادة ضمن حدود العقيدة اليهودية وبالتالي فلن تسمح للآخرين بمناقشتها وإلّا فسوف يعتبر الأمر تدخلاً في شؤون العقيدة اليهودية، أي جعله عملاً طائفياً ولا سامياً وقد جعلت المؤسسة العسكرية الخوف من الإبادة أحد أسس الإستراتيجية الصهيونية، فقد أشار كل من أبا إيبان ورابين إلىٰ حدود إسرائيل قبل عام 1967 بأنها حدود آوشفيتز .

وهناك قدر كبير من الادعاء في هذه التشبيهات وصل إلىٰ قمته حينما قال مناحيم بيجين:

ياسر عرفات حينما كان مُحاصَراً في بيروت يشبه هتلر في مخبئه،

وفي هذا تزييف كامل للحقائق وتمسّح بالمحرقة، وهذه هي عقلية العنصري الفاشي الذي يشعر دائماً بأنه مكروه ومضطهد، حتىٰ حينما يقوم بتدمير الآخرين. وفي هذا الصدد يذكر بأن اغتيال ياسر عرفات وتضليل التحقيق الطبي في سرّ موته هو واحد من سلسلة أعمال الإبادة الصهيونية. إذ قام الصهاينة بتهديده بالقتل علناً وبوضوح، وجاء بعدها تسميمه لإزاحة عقبة كبيرة في طريق إسرائيل.

الاستثمار التام للإبادة

الاستثمار التام للأضحية التي يقدمها اليهود للرب هو حقيقة وعقيدة، فالرب يأمرهم بأن تحرق الأضحية حرقاً تاماً بحيث لا يبقَ منها إلّا الرماد الحيواني. ولا تتحقق الإبادة إلّا عندما يخرج الرماد، أي عندما يتم استثمار الإبادة تماماً. وبالعقيدة نفسها وبالطريقة نفسها قام الصهاينة باستثمار أسطورة الإبادة النازية تماماً وكلياً، ولم يتركوا مجالاً واحداً لم يستثمرونه من خلالها. فقد استفادوا من الإبادة في كافة المجالات كما رأينا. وإن كل ما صدر من مصطلحات تتعلق بالإبادة ومفاهيم ومعتقدات إبادية كل ذلك كان استثماراً تاماً للأكذوبة الصهيونية، وقد حصر الصهاينة كل تلك الاستثمارات لنفسهم ولذاتهم الصهيونية فحسب، لأنهم هم أصحاب تلك الصناعة التاريخية. وذلك المصطلح التدميري الهائل. ولم يحصد أبناء الغرب والشعوب الأخرىٰ من تلك الأكذوبة إلّا المآسي والأضرار الكبيرة في كافة المجالات: (البشرية والإنسانية والنفسية والاجتماعية والسياسية والدينية والمالية وغيرها.)

ويحاول الصهاينة باستمرار احتكار دور الضحية لليهود وحدهم دون غيرهم من الجماعات أو الأقليات أو الشعوب، بحيث تُصوَّر الإبادة النازية المزعومة باعتبارها جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم. ولهذا يرفض الصهاينة والمدافعون المسيحيون عن الموقف الصهيوني أية محاولة لرؤية الإبادة النازية باعتبارها تعبيراً عن

نمط تاريخي عام يتجاوز الحالة النازية والحالة اليهودية. كما يرفض الصهاينة تماماً محاولة مقارنتهم بالمسيحيين البولنديين الذين قتلوا علىٰ أيدي النازيين علىٰ سبيل المثال، أو بسكان أمريكا الأصليين الذين أبيدوا علىٰ يد الإنسان الأبيض أو ما يحدث للفلسطينيين واللبنانيين علىٰ أيديهم هم أنفسهم.

إن عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية من جميع الشعوب الأوربية بلغ خمسين مليوناً. وأظهر معرض لحكومة بولندا كان يطوف أمريكا عام 1986 أن أكبر معسكرات الاعتقال هو آوشفيتز. وأن التركيز النازي كان أساساً علىٰ البولنديين والاشتراكيين واليهود والغجر (بهذا الترتيب التصاعدي حسب المعرض المؤيد للإبادة)

ويذهب الصهاينة أبعد من ذلك إذ توحي الأدبيات الصهيونية بأن العالم كله تجاهل اليهود وتركهم يلاقون حتفهم ومصيرهم وحدهم. وهذا ما قاله بنيامين ناتان ياهو وكثير من الصهاينة.

بل إن الصهيونية تتجاهل الكثير من الشواهد التاريخية التي تبرئ الألمان وتركز علىٰ ما تعتبره جرائم إبادة.

ولكن التاريخ يثبت بأن البعض كان قد ساعد اليهود وأواهم كما حدث في بلغاريا (خصوصاً بين أعضاء الجماعة الإسلامية) وفي الدانمارك وفنلندا ورومانيا وإيطاليا وهولندا. وهذا ما تتجاهله الصهيونية تماماً. كما وتتجاهل العلاقة الفكرية والفعلية بين النازية والصهيونية والزعامات الصهيونية التي تعاونت مع النازيين قبل الحرب وخلالها.

وتكاد لا تذكر أبداً حقيقة أن جنوداً يهوداً كانوا يخدمون في الجيش النازي طوال أيام الحرب العالمية.

والحقيقة أن كل الدلائل تشير إلىٰ اليد الصهيونية في ابتداع أكذوبة الإبادة، فاحتكار الإبادة لنفسها دون غيرها وعدم اكتراثها بكافة ضحايا الحرب العالمية يعني أنها تمكنت من اختراع أكذوبة نشبهها هنا بأداة نافعة لها وأنها احتكرت تلك الأداة النافعة وتلك

الصناعة لنفسها، ولن تسمح لأحد بأن يستفيد من إنتاج أداة مماثلة لها أيضاً.

وبالوقت نفسه فإن تجاهل الصهيونية لحقائق تاريخية شديدة الأهمية يأتي من خشيتها بأن يؤدي البحث في تلك الحقائق إلىٰ كشف الأكذوبة المزعومة. وبالتالي تفقد إسرائيل عالمياً ويهودياً شرعيتها كدولة. وتفقد الديانة اليهودية كلها وجودها. وسوف يؤدي ذلك إلىٰ تشتت اليهود واضمحلالهم نهائياً وذوبان قوميتهم إلىٰ الأبد.

أوروبيون يرفضون احتكار الهولوكوست

بدأ تحدي الاحتكار الصهيوني للإبادة من الكنيسة الكاثوليكية التي أعلنت المواجهة حين قامت بتنصيب الأخت تريزا بنديكتا قديسةً. والأخت تريزا هي إيديث شتاين سكرتيرة الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر، وكانت يهودية. وتنصرت وتكثلكت ثم ترهبنت، وقد قتلت في ظروف غامضة. ويُصر الصهاينة علىٰ أن سبب قتلها هو كونها يهودية بينما تتحدىٰ الكنيسة القرار اليهودي، وترىٰ الكنيسة أنها راهبة كاثوليكية استُشهدت من أجل عقيدتها المسيحية فحسب. وخلف تلك التصريحات كمنت اتهامات غير معلنة لليهود أنفسهم ، إذ كان من الممكن قيامهم بقتلها بسبب تنصرها وتخليها عن الديانة اليهودية وانتقاداتها المعلنة للسلوك اليهودي وللقيادات الصهيونية في ألمانيا. والحادثة الثانية هي الخاصة بدير الراهبات الكرمليات في آوشفيتز، الذي طالب اليهود بإزالته وتمسكت المؤسسة الكاثوليكية في بولندا بالإبقاء عليه. وقد قامت معركة إعلامية ساخنة بين الطرفين. وحول هذه الأزمة كتب **باتريك بيوكانان** وهو الصحفي والمرشح الجمهوري في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1996 احتجاجاً علىٰ هذا الموقف في مقال بعنوان: **الكاثوليك ليسوا بحاجة إلىٰ محاضرات في الأخلاق من سفاح عصابة شتيرن السابق** جاء فيه: **وفي متحف المذبحة النازية، هناك ثلاثة ملايين يهودي بولندي سيظلون في الذاكرة، ولكن ماذا عن ثلاثة ملايين تقريباً من الأوكرانيين والصرب والليتوانيين والمجريين واللاتفيين**

والإستونيين، نُحروا في ساحات القتل علىٰ أيدي الوثنيين العنصريين في برلين وعلىٰ أيدي الملحدين المتعاونين معهم في موسكو؟ وما الذي يتطلبه الأمر حتىٰ يكون المرء ضحية من الدرجة الأولىٰ؟ فإذا كانت ذكرىٰ الضباط اليهود الذين ماتوا إلىٰ جانب إخوانهم الكاثوليك في كاتين قد خُلدت بنجمة داود، فلماذا لا يتم تخليد ذكرىٰ المليون كاثوليكي الذين أفنُوا في آوشفيتز بصليب؟ وإذا كان التذكار حيوياً، فلماذا يُستثنىٰ المسيحيون؟. (48) ومن ثم، فإن احتكار الصهاينة للهولوكوست ليس له ما يبرره في الواقع التاريخي. والسياسي بل انه شاهد علىٰ تسخير حدث مزعوم لفائدة اليهود وحدهم.

اليهود والكنيسة الغربية

لم تكن المسيحية الغربية تمتلك مفهوماً واضحاً خاصاً بالأقليات في المجتمع الغربي ولم تُشرِّع لهم ولم تحدد وضعهم القانوني، بل اكتفت بمفهوم المحبة إطاراً عاماً للتعامل معهم. وقد صنَّفت الكاثوليكية الغربية اليهود باعتبارهم شعباً شاهداً، يقف في تدنيه وضِعَته « شاهداً » علىٰ عظمة الكنيسة وانتصارها. ولم يكن الأمر مختلفاً كثيراً علىٰ المستويين الاجتماعي والاقتصادي، حيث تحوَّل اليهود إلىٰ جماعة وظيفية، وهي جماعة تُعرَّف في ضوء وظيفتها وفائدتها ونفعها،وتصبح مادة استعمالية لا قداسة لها.

وهذه الرؤية تعني احتواء اليهود، ولكنها في الوقت نفسه تعني ضرورة الحفاظ عليهم وحمايتهم من الهجمات الشعبية. فالكنيسة الكاثوليكية كانت تحتاج إلىٰ هذا الشاهد الأزلي علىٰ عظمتها. كما أن الطبقات الحاكمة (النبلاء الإقطاعيون والملوك) كانت في حاجة إلىٰ اليهود كأداة طيعة من أدوات الاستغلال وامتصاص فائض القيمة من الجماهير.

وكان يُطلَق علىٰ اليهود كلمة الإسفنجة ، لأنهم يمتصون فائض القيمة من الجماهير ثم يقوم الحاكم الإقطاعي باعتصار ما جمعوه من ثروة من خلال الضرائب .

ولذا، وعلىٰ عكس ما يتصور البعض، كان العداء لليهود حركة شعبية موجهة ضد الطبقات الحاكمة وضد الكنيسة الذين هم رمز اليهود ودعامته وحاميه ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية ومعها النبلاء هم حماة اليهودية بل والمدافع عنها من تحديات المواطنين المسيحيين.

هذه هي حالة اليهود في الغرب، ومنها يمكن تفسير سبب العداء الغربي لليهود، وسبب تصميم الغرب علىٰ تهجير اليهود والتخلص منهم. ولم تكن مشاريع النازية التهجيرية إلَّا تعبيراً عن رغبة الأوروبيين عموماً في التخلص من اليهود.

البروتستانتية تنادي بترحيل اليهود

ومع ظهور عصر النهضة وبداية التشكيل الحضاري الغربي الحديث بشكل جوهري وظهور البروتستانتية التي رفضت فكرة الشعب الشاهد تغير الموقف من اليهود. إذ تبنت البروتستانتية بدلاً من عقيدة الشاهد، العقيدة الألفية الاسترجاعية التي ترىٰ أن المسيح سيعود مرة أخرىٰ للأرض ويؤسس مملكته علىٰ الأرض لمدة ألف عام، وكان كل هذا مشروطاً بعودة اليهود إلىٰ أرض الميعاد وتنصيرهم.

وفي هذه البدعة الجديدة ظلّ اليهودي مجرد أداة في يد المسيحية كما هو الحال في الرؤية الكاثوليكية ، وبالوقت نفسه تولّد الرابط الكبير والمتين بين الديانتين اليهودية والمسيحية. وهذه هي اللحظة التاريخية الحاسمة التي استطاع اليهود فيها غزو الكنيسة والعقل الديني المسيحي.

وهذه الأداة اليهودية التي تم اكتشافها آنذاك لا يتم الحفاظ عليها وإبقاؤها داخل المجتمع المسيحي الغربي. وإنما لابد من نقلها إلىٰ فلسطين أرض الميعاد التوراتية. وكان هذا النداء الديني يتوافق مع البدعة البروتستانتية الجديدة ومع الحلم اليهودي القديم. ولذلك فقد كان مشروعاً يهودياً بحتاً توافق عليه الكنيسة الغربية لأنه يخلصها من أعباء اليهود الكبيرة، وقد استطاع اليهود الذين يمتلكون نفوذاً كبيراً

لدىٰ السلطة الحاكمة ولدىٰ الكنيسة، استطاعوا آنـذاك تحميلهم المشروع اليهـودي، والمسألة اليهودية والدفاع عنها.

ترحيل اليهود عن أوروبا

تزامنت المطالب بترحيـل اليهـود مـع ظهـور البورجوازيـات المحليـة والدولـة القومية التي اضطلعت بكثير من وظائف الجماعة الوظيفية اليهوديـة التـي لم يعـد لهـا نفع. ولذا، كانت المسألة اليهودية في أوربا عموماً تُناقش في إطـار مـدىٰ نفـع اليهـود، فكان أعداء اليهود يبيّنون بأن لا فائدة لهـم في أوطـان الغـرب، أمـا المـدافعون عـنهم ومنهم المتحدثون باسم اليهود فكانوا يركّزون علىٰ فائدة اليهود ونفعهم. كـان هـذا في أوروبا عموماً وكان مشروع التخلص من اليهود مشروعاً أوروبياً ينـاقش داخـل كـل دولة في نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية القرن العشرين.

ولم يكن ذلك المشروع مقتصراً علىٰ ألمانيا وحدها. وهذا مـايبرر وجـود الوثـائق الحكومية النازية التي تتحدث عن مشروع الحل النهائي لليهـود . وقـد عمـل الحلفـاء بمقتضىٰ المشروع نفسه عنـدما دعمـوا تهجـير اليهـود وإقامـة دولـة إسرائيـل.ومـنح الصهاينة وعد بلفور. وبمقدار ما كان هذا الوعد الشهير قاسياً وجريمة بحق العـرب الفلسطينيين فقـد كـان يعنـي بالنـسبة للأوروبيـين إيجـاد حـل نهـائي لمـشكلة أبديـة ومستعصية هي مشكلة المواطن اليهودي.

وفي ألمانيا النازية طُرح تصور مفاده أنه يجب زيادة حقوق اليهود زيادة طردية مع زيادة نفعهم، فإن زاد الواحد زاد الآخر (وهو ما يعني أن تَناقُص نفعهم يعنـي تفـاقم مشاكلهم). وقد قُسِّم اليهود إلىٰ أقسام مختلفة تم تنظيمها بـشكل هرمـي. ففـي أعـلىٰ الهرم كان يوجد أكثر اليهود نفعاً، وهؤلاء كانوا يتمتعون بكافة الحقوق التي يتمتع بهـا أي مواطن ألماني، وفي قاعدة الهرم كان يوجـد اليهـود غـير النـافعين الـذين يُـصنَّفون ضمن من يجب التخلص منهم بترحيلهم عن ألمانيا كلها.

تسميم العقل الغربي بعقيدة الإبادة

بعد دراسة كافة الملابسات المرتبطة بالإبادة بات واضحاً لنا أن الإبادة كعقيدة ومفهوم وواقع ديني وعقيدي كانت ماثلة في الذهن اليهودي منذ بداية القرن التاسع عشر علىٰ الأقل. وإن اليهود أنفسهم كانوا يحضّرون وبالوقت نفسه ينتظرون حدوث أمر كبير لا يقلّ شأناً عن الإبادة التي تصوّروا حدوثها. لأنهم يتصورون بأن حادثة عظيمة كهذه ترتبط بيوم الميعاد اليهودي وبأفعال الرب ووعوده لشعبه، وأن تلك الأحداث هي الوحيدة القادرة علىٰ انتشالهم من حوثلتهم. ومن المقام الركامي الذي ظلّوا فيه طوال أربعة آلاف سنة علىٰ الأقل. وقد تنبأ الفلاسفة اليهود بمثل ذلك الحدث الرهيب وجرىٰ التحضير لطرحه بلا شك داخل الأوساط اليهودية، ومن المؤكد بأن هتلر كان قد اعتبر اليهود أحد المسببن لقيام الحرب العالمية الثانية، لقد كان النشاط الصهيوني في ألمانيا كبيراً، وعندما ظهر هتلر ساهم اليهود في توليد النزعة العرقية الألمانية، وتلك النزعة جعلته يخطط لتطهير العالم من الأعراق الفاسدة، فكانت الحرب الجحيم. وأراد اليهود الاستفادة من كل تلك الأحداث ومن ظروف الحرب. فاختاروا أن يكونوا الضحية الفائزة، والضحية المنتصرة، فكانت الأكذوبة المناسبة في الوقت المناسب. فقد ظهرت في أوروبا نزعة إبادية عامة علىٰ أيدي مفكرين وفلاسفة يهود. وكانت تلك النزعة تحمل عقائد تدميرية إبادية تتفق مع تصور اليهود للكون والمجتمعات وتختلف مع التصور المسيحي المتسامح. وقد ساهمت الظروف العامة في نشر تلك الأفكار والتصورات وشيوعها في أوروبا. ولكن العنصر الحاسم في ظهور النزعة الإبادية هو الرؤية الغربية الحديثة للكون. وقد اتسع نطاقها وازدادت هيمنتها إلىٰ أن أصبحت هي النموذج التفسيري الحاكم مع منتصف القرن التاسع عشر، عصر الإمبريالية والداروينية والعنصرية. ونلاحظ أن سمات ذلك القرن كلها تتفق مع الصورة اليهودية للكون والمجتمع، وفي الوقت نفسه فقد كانت كلها ذات مصدر يهودي بحت. فالعنصرية من نتاج اليهود والداروينية فلسفة يهودية

للوجود والامبريالية الاستعمارية وقد نتجت عن الاعتقاد اليهودي بضرورة السيطرة علىٰ الغير وإبادته واغتنام ثرواته.

فلسفة الإبادة

لقد بدأت هذه الرؤية بمرحلة إنسانية هيومانية وضعت الإنسان في مركز الكون وتبنت منظومات أخلاقية مطلقة، تنبع من الإيمان بالإنسان باعتباره كائناً مختلفاً عن الطبيعة/ المادة، وأنه سابقاً عليها، وله معياريته ومرجعيته وغائيته الإنسانية المستقلة عنها (وهذا شكل من أشكال العلمانية الجزئية). وإن هذه الفلسفة المرحلية تتفق مع المفاهيم اليهودية لعقيدتهم. ولذلك فقد تبنتها الصهيونية ظاهرياً.

ولكن هذه الرؤية الإنسانية المادية تطورت من خلال منطق النسق المادي الذي يساوي بين الإنسان والطبيعة ومن خلال تَصاعُد معدلات الحلولية والعلمنة وانفصال كثير من مجالات النشاط الإنساني (الاقتصاد ـ السياسة ـ الفلسفة ـ العلم) عن المعيارية والمرجعية والغائية الإنسانية إلىٰ أن فقد الإنسان مركزيته ومطلقيته وأسبقيته علىٰ الطبيعة/ المادة وتحوَّل إلىٰ جزء لا يتجزأ منها وأصبح هو الآخر مادة، منفصلة عن المرجعية والغائية والمعيارية الإنسانية وهذه هي العلمانية الشاملة. وفي هذا الإطار ظهرت الأخلاق النفعية المادية التي تُعفي الإنسان من المسؤولية الأخلاقية، فهي مستمدة من الطبيعة/ المادة ومن قوانينها المتجاوزة للعواطف والغائيات والأخلاقيات الإنسانية. ومن ثم تَحَرَّر الإنسان الغربي من أية مفاهيم متجاوزة مثل مفهوم «الإنسان ككل» أو «الإنسانية جمعاء» أو «صالح الإنسانية»، كما تحرر من القيم المطلقة مثل «مستقبل البشرية» و «المساواة» و«العدل»، وجعل من نفسه المركز والمطلق المنفصل تماماً عن كل القيم والغائيات الإنسانية العامة، وأصبح هو نفسه تجسيداً لقانون الطبيعة ولحركة المادة وتحول إلىٰ مرجعية ذاته، وقانون ذاته، ومعيارية ذاته، وغائية ذاته، ومن ثم أصبح من حقه أن يحول العالم كله وجميع شعوب الأرض لخدمة صالحه كما عرَّفه هو. وبذا تحوَّلت الإنسانية (الهيومانية) الغربية إلىٰ

إمبريالية وأداتية ثم إلىٰ عنصرية، وثـم جـاء تقسيم البـشر إلىٰ نـوعين وهمـا الإنـسان المسيطر والمهيمن والآخر المسيطر عليه :

- **سوبرمان Supermen** وهو الإنسان المسيطر والمستبد والإمبريالي الذي يحق لـه أن يتحكم في كل البشر والطبيعة.
- **سبرمان Subermen** وهذا الإنسان فرض عليه أن يبقىٰ دون البشر وهو أداتي ومن المفروض أن يذعن لإرادة السوبرمان ولقوانين الطبيعـة والمـادة. وهـذا مـايلخص نظرية النفعـية الداروينية وهي المنظومة التي تذهب إلىٰ أنه من يمتلك القوة له الحق في أن يوظِّف الآخرين لخدمة مـصالحه، فكـان يُـشار إلىٰ البـشر باعتبـارهم «مـادة بشرية» يمكن توظيفها، أما من لا يمكن توظيفه فكـان يُـشار إليـه باعتبـاره «مـادة بشرية فائضة غير نافعة» وتـرد هـذه المـصطلحات (وغيرهـا) في كتابـات مفكـري العنصرية الغربية مثل الصهيوني **مـاكس نـوردو وفي الأدبيـات الـصهيونية (كتـاب هيرتزل دولة اليهود).**

وقد استمد كل من ماكس نوردو وهيرتزيل فلسفة الانتقائية والإبادة من العقيدة اليهودية نفسها بل إنهما لم ينتجا إلَّا شروحاً حديثة للنصوص التوراتية وفلسفة حديثـة مبنية علىٰ الأسس العقيدية اليهودية. فكان نتاجهما في الحقيقة نوعاً من الرؤية اليهودية الحديثة للمجتمع والكون.

وكان يتوجب علىٰ الغرب المسيحي ألا ينجرّ وراء تلك الفلسفة الإباديـة لأنهـا لم تكن تتماشىٰ مع عقيدته المسيحية الإنسانية.

وبالمقارنة مع ما أنتجه ابن رشد من فلسفة شارحة للإسلام ومتوافقة مع الإسـلام والمسيحية مستفيداً من نتاج الفكر اليوناني الغزير، نكتشف البون الواسـع بـين هـذين النتاجين. فقد ساهم ابن رشد في تطوير الفلسفة والمجتمع المسيحي وساهم في تعظـيم الإنسان ونشر قيم الإنسانية جمعـاء .وجـاء اليهـود ليهـدموا بعـض مابنـاه فيلـسوف الإسلام تحت شعارات فلسفية حديثة..

ونلاحظ أن كل المصطلحات الفلسفية اليهودية كانت تُضمِر البُعدين الإمبريالي والأداتي، الدارويني والبراجماتي، وجعلت الإنسان مادة تُوظَّف، وان كلاً من الذات الإمبريالية والموضوع الأداتي يدوران في إطار الرؤية المادية الواحدية. فالسوبرمان والسبرمان ينتميان إلىٰ عالم وثني حلولي كموني وما هذا العالم إلَّا يهودي توراتي. إذ لم يكن علىٰ الإطلاق من نتاج المسيحية المفعمة بالإنسانية ولا من نتاج الإسلام الذي هو موضوعه الإنسان.

إن الفكر الإبادي اليهودي والعنصرية تجاه الأغيار وعقيدة وجوب إبادة الأغيار كلها مصطلحات دينية يهودية تم تطويرها بعد عصر النهضة الأوروبي وجعلها مدارس فكرية وفلسفية ومذاهب وحقائق اجتماعية وبالحقيقة وللتاريخ نقول قام اليهود بتسميم العقل الأوروبي وتحميله مبادئ الإبادة والسوبرمان.

وبمقارنة بسيطة بين المصطلحات الغربية الطارئة علىٰ الإنسانية وبين ما يعادلها في نصوص العهد القديم نكتشف عمق اللعبة الصهيونية:

سوبرمان: يعني في المفهوم الغربي الحديث الإنسان الذي يستحق العيش والذي يحق له تدمير ممتلكات الغير وإبادة الغير واكتساب عمل وممتلكات وحقوق الغير لنفسه. وحسب العقيدة اليهودية فإن اليهودي وحده يستحق أن يعيش وتبيح له نصوص العهد القديم والشريعة التي يؤمن بها أن يقوم بإبادة الغير وبتدمير أملاكه ومحاصيله واغتنام أرضه وممتلكاته بل وإبادته وحرقه. ويعتبر الغير عند اليهود مادة غير بشرية ويجب التخلص منها وإبادتها. وإن كل العقيدة اليهودية تقوم علىٰ أساس أن اليهودي هو الذي اختاره الرب من بين البشر، أي أنه السوبرمان.

سوبرمان: وأصبح معناها في المصطلح الغربي الإنسان الوضيع الذي لا نفع منه ويجب إبادته أو اكتساب جهده. وإن صورة هذا التعريف نفسه نجدها في العقيدة والنصوص اليهودية، فكثير من تلك النصوص تعتبر غير اليهودي غير إنسان وتجمله مع البهائم وتحرّض اليهود علىٰ إبادته وتنظيف الأرض منه. وان اليهود قد صدّروا

هذا المعنىٰ منذ عصر النهضة واستطاعوا تسميم العقل الغربي به، وتضليله بشعارات فلسفية وبمدارس فكرية. حتىٰ أصبح حقيقة إبادية في الحربين العالميتين وفي أفريقيا وفي القارة الجديدة.إذ اعتمد العقل الغربي علىٰ هذه المبادئ أثناء قيامه بأعمال الإبادة.بل وكانت خاتمة كل تلك الأحداث ادّعاء اليهود أنفسهم بأنهم تعرضوا للإبادة وبالوقت نفسه قيامهم هم حين أصبح لهم كيان بأعمال إبادة مهوّلة ضد الشعب الفلسطيني وغيره من العرب والمسلمين.

وقد ظل هذا المفهوم للنفس البشرية وهو السائد عند الغرب حتىٰ يومنا هذا، ونلاحظ ذلك في أعمال القتل العشوائي الذي يمارسه جنود الغرب في أفغانستان والعراق وفلسطين.

ورغم تواري المصطلحات التي تُعبِّر عن المفهوم بشكل متبلور فمازال العمل بهذا المبدأ قائماً . ففي عام 1996 تكشفت فضيحة تخلي حكومة الولايات المتحدة عن بعض عملائها من الفيتناميين ممن تم تجنيدهم ليعملوا كجواسيس لحسابها. وحتىٰ يومنا هذا يخرس الغرب عن كافة أعمال إبادة الإنسان التي تتبعها إسرائيل والأمريكيين: ففي العراق قذف المدنيون بقنابل تحوي يورانيوم مخصب وفي لبنان أعلن خبراء بريطانيون أنهم اكتشفوا اليورانيوم المخصب في مخلفات القنابل التي رمتها إسرائيل علىٰ المدنيين اللبنانيين. وما هذا إلّا تعبيراً عن مصطلح السوبرمان الذي يرىٰ في نفسه الحق في إبادة السبرمان.

وهذه هي النواة المعرفية والأخلاقية الأساسية التي كانت وراء ظهور أسطورة الإبادة، وقد تشكلت في العقل اليهودي الأوروبي آنذاك.معتمدة علىٰ أساسين هما النص والعقيدة اليهودية إضافة إلىٰ تسخير علم الاجتماع الحديث والفكر الفلسفي الذي ابتدعه فلاسفة وسياسيون يهود.

وأصبحت تلك نواة نمت وترعرعت وعبَّرت عن نفسها من خلال ثنائية الإمبريالي والأداتي، والسوبرمان والسبرمان، فتزايدت معدلات اليقينية العلمية من

ناحية، الأمر الذي أدَّىٰ إلىٰ تَزَايُد إحساس الإنسان الغربي بذاته وبقوة إرادته ومقدرته علىٰ البطش. الأمر الذي أدَّىٰ إلىٰ ضمور حس الإنسان الغربي الخُلقي وضمور قدرته علىٰ اتخاذ القرار، كما عَمَّقت قابليته للإذعان للقانون الموضوعي العام المجرد (اللاإنساني) كقيمة مطلقة لابد من العمل بمقتضاها والسير بهديها دون تساؤل (خصوصاً بين الجماهير).وهذا يجيب علىٰ بعض التساؤلات التي يطرحها مواطنونا عن سلوك جنود الغرب في الحروب، أولئك الذين يقتلون بلا رحمة وبدون أسباب تدعو للقتل. ففي العراق أعلن مرات عديدة عن قيام جنود أمريكيين بقتل أبرياء عزل في بيوتهم، وما ذلك السلوك إلَّا من نتاج الفكر الإبادي الغربي.

ونتيجة ذلك وفي المجال الفلسفي تعاظم دور الإنسان الكامل السوبرمان الذي يتحكم في نفسه تماماً، ويبرمجها. وفي هذا المفهوم يتم الاستغناء عن الرب وعن وجوده. وكان اليهود أول من تبنوا في عقيدتهم تلك الأفكار.

ولكن حينما يُهيمن هذا المعيار يتم تأسيس الفردوس الأرضي، ولن ينتظر الفرد الغربي فردوس الله. وتُعلَن نهاية التاريخ والإنسان كما نعرفه وبالطبع كان المتطرفون اليهود أول من أعلن بوضوح كبير عن هذه الرؤية الخطيرة، فقد اعتبر بعض اليهود بأن حدث المحرقة كان نهاية التاريخ اليهودي ونهاية وجود الرب نفسه الذي لم يعد هناك مبرر لوجوده.. وأن ذلك الحدث إنما هو يوم الميعاد اليهودي وهو اليوم الذي ضربه الرب إلىٰ شعبه. وقد بررت هذه العقائد الجديدة للإنسان المتسمم بها أن يرتكب المجازر والمذابح وأن يرتكب كل المحرّمات ومن هنا كان انتشار ظاهرة الإباحية الجنسية علىٰ سبيل المثال التي أطلقها العقل المتطرف اليهودي وسمم بها العقل المسيحي الغربي. وضمن هذا الإطار ظهرت في الغرب أيديولوجيات علمانية شاملة (مثل الماركسية أو الاشتراكية العلمية والفاشية والنازية) ذات رؤية خلاصية تدور حول مطلق علماني مادي شامل، وتنطلق من الإيمان بالعلم والتكنولوجيا والتنظيم. لكنّ تَزَايُد معدلات العلمنة الشاملة، وضع الغرب أمام معضلة جديدة فلم يَعُد من الممكن تصنيف البشر

علىٰ أساس ديني وبالوقت نفسه لم يكن ثمة مفر من تصنيفهم علىٰ أساس مادي موضوعي طبيعي كامن. وتلك المعضلة كانت تهدد اليهودية بالدرجة الأولىٰ وتؤدي إلىٰ اضمحلالها في المجتمع المادي العلماني. ومن هنا انطلقت الحلول اليهودية الصرفة وطُرح الأساس البيولوجي العرْقي أساساً وحيداً وأكيداً لتصنيف أبناء المجتمع. وكان هذا الطرح يتناسب مع اليهودية التي تعتبر العرقية واحدة من أهم أركانها. ومع تَصاعُد معدلات العلمنة ظهرت كذلك فكرة الشعب العضوي الذي تربطه بأرضه وثقافته رابطة عضوية حتمية لا تنفصم عراها. وقد جاء هذا المبدأ متفقاً أيضاً مع الصهيونية وتم قبوله في الغرب رغم أنه يخالف العلمانية الحديثة كلها، لأنه هو الذي سيبرر للصهاينة امتلاك أرض فلسطين باعتبارها الرابط العضوي لهم.

العقيدة اليهودية تبرر إبادة الهنود الحمر

وتُعدُّ العقيدة التطهرية ، عقيدة المستوطنين البيض في أمريكا الشمالية، هي أولىٰ الأيديولوجيات الإمبريالية الإبادية التي كانت تغطيها مفاهيم دينية يهودية . فكان هؤلاء المتطهرون يشيرون إلىٰ هذا الوطن الجديد باعتباره «صهيون الجديدة» فهي «أرض بلا شعب». وكان المستوطنون يشيرون إلىٰ أنفسهم باعتبارهم «عبرانيين»، وللسكان الأصليين باعتبارهم «كنعانيين» أو «عماليق» (وكلها مصطلحات توراتية إبادية، استخدمها معظم المستوطنين البيض فيما بعد في كل أرجاء العالم متجاهلين تماماً القيم المسيحية المطلقة مثل المحبة والإخاء. بل إن ظهور تلك المصطلحات التوراتية واليهودية يدل دلالة كبيرة علىٰ التواجد القوي للمنظمات الصهيونية في مجتمعات البيض الذين مارسوا الإبادة. وعلىٰ إن الإبادة نفسها كأداء كانت تتم وفق شرعية يهودية لا شرعية مسسيحية، وكانت الثمرة النهائية لعمليات الإبادة هذه هي ستة ملايين مواطن أصلي.

الفصل الرابع

تسميم العقل العالمي

شعار الإبادة عند اليهود

لقد انطلقت فكرة الإبادة كشعار تهديد وفعل من قبل اليهود أنفسهم مع بداية الحرب العالمية الثانية. وظلّت تلك الفكرة تتبلور في أذهان اليهود حتىٰ اتهموا النازيين بفعلها في نهاية المطاف.

ولم تكن الإبادة بدعة نازية بل كانت أداةً غربياً عامّاً تورط فيه اليهود أنفسهم ونظّروا له من قبل. وهو ما رأيناه في فكر وسلوك الحلفاء ومن خلفهم المنظمات اليهودية الضاغطة الذين قاموا بمحاكمة النازيين وتصفيتهم بعد الحرب!

فأرنست همنجواي، الكاتب الأمريكي، كان يُطالب بتعقيم الألمان بشكل جماعي للقضاء علىٰ العنصر الألماني.

وفي عام 1940 قال تشرشل إنه ينوي تجويع ألمانيا وتدمير المدن الألمانية وحرقها وحرق غاباتها.

وقد عبّر الكاتب الصهيوني كليفتون فاديمان عن هذا الموقف الإبادي بشكل متبلور. ولم يكن فاديمان هذا شخصية ثانوية في المؤسسة الثقافية الأمريكية فقد كان محرر مجلة النيو يوركر الأمريكية ورئيس إحدىٰ الوكالات الأدبية التي أنشأتها الحكومة الأمريكية إبّان الحرب بغرض الحرب النفسية. وقد شنّ حملة كراهية ضارية ضد الألمان وجعل الهدف منها إضرام الكراهية لا ضد القيادة النازية وحسب، وإنما ضد الألمان ككل. وكتب يقول:

- إن الطريقة الوحيدة لأن يفهم الألمان ما نقول هو قتلهم... فالعدوان النازي لاتقوم به عصابة صغيرة... وإنما هو التعبير النهائي عن أعمق غرائز الشعب الألماني، فهتلر هو تَجسُّد لقوىٰ أكبر منه، والهرطقة التي ينادي بها هتلر عمرها 2000 عام .

ومن مقال فاديمان نكتشف بأن دعاية الإبادة كانت قد انتشرت عند الحلفاء قبل أن يتهم الألمان بها. وهذا يعني أنها كانت جاهزة ومجتمعة في الذهن اليهودي والغربي. وعندما انهزم الألمان استطاع اليهود بمساعدة الحلفاء أن ينزلوها بالألمان بسهولة وبسرعة لأنها كانت مجتمعة وجاهزة.

وأن تلك الأسطورة كانت قائمة كحقيقة وكمبدأ في الذهن الغربي بل وكان يجري تنفيذها في جبهات القتال يومياً كما هو معروف. وقد اشترك بعض الزعماء الصهاينة في هذه الحملة، فصرح فلاديمير جابوتنسكي عام 1934 وقال: **إن مصلحة اليهود تتطلب الإبادة النهائية لألمانيا، فالشعب الألماني بأسره يُشكِّل تهديداً لنا .**

ولكن يمكن القول بأن كتاب الكاتب الأمريكي اليهودي **تيودور كاوفمان** بعنوان **لابد من إبادة ألمانيا** هو من أهم الكتب المحرضة علىٰ الإبادة، وقد استفادت منه آلة الدعاية النازية وبيَّنت أبعاد المؤامرة الإبادية ضد الألمان، وقد ورد في هذا الكتاب أن كل الألمان، مهما كان توجههم السياسي (حتىٰ لو كانوا معادين للنازية، أو شيوعيين، أو حتىٰ محبين لليهود) لا يستحقون الحياة، ولذا لابد من تجنيد آلاف الأطباء بعد الحرب ليقوموا بتعقيمهم حتىٰ يتسنىٰ إبادة الجنس الألماني تماماً خلال ستين عاماً !

وكان هناك حديث متواتر عن ضرورة هدم ألمانيا، وعن تحويل ألمانيا إلىٰ بلد رعوي، أي هدم كل صناعاتها ومؤسساتها الحديثة.

إبادة الألمان

وبناء علىٰ تلك الشعارات مارس الغرب إبادة حقيقية للألمان ونجحت غارات

الحلفاء علىٰ المدن الألمانية في إبادة مئات الألوف من المدنيين (من الرجال والأطفال والنساء والعجائز) وتحطيم كل أشكال الحضارة والحياة. وقد بلغ عدد ضحايا الغارات علىٰ مدينة درسدن الألمانية وحدها 200 ألف قتيل. كما استمرت النزعة الإبادية بعد الحرب،فقامت قوات الحلفاء بوضع مئات الألوف من الجنود الألمان في معسكرات اعتقال وتم إهمالهم عن عمد، فتم تصنيفهم علىٰ أساس أنهم DEFS وهي اختصار عبارة قوات معادية تم نزع سلاحها بدلاً من تصنيفهم أسرىٰ حرب . وإعادة التصنيف هذه كانت تعني في واقع الأمر حرمانهم من المعاملة الإنسانية التي تنص عليها اتفاقيات جنيف الخاصة بأسرىٰ الحرب، وبالفعل قضىٰ239.793 جندياً ألمانياً نحبهم في معسكرات الاعتقال الأمريكية عام 1945،كما قضىٰ 167 ألفاً نحبهم في معسكرات الاعتقال الفرنسية نتيجةً للجوع والمرض والأحوال الصحية السيئة، حسبما جاء في دراسة لجيمس باك ، وفي الوقت ذاته كان يوجد 13.5 مليون طرد طعام في مخازن الصليب الأحمر،تعمدت سلطات الحلفاء عدم توزيعها عليهم .

ولم تقتصر الإبادة علىٰ التصفية الجسدية بل كانت هناك إبادة ثقافية، فقد قام الحلفاء بما سُمِّي عملية نزع الصبغة النازية عن ألمانيا Denazification وبواسطتها تمت إبادة النازيين المستسلمين. فأُقيمت 545 محكمة دائمة علىٰ الأقل يتبعها طاقم من الفنيين والسكرتارية عددهم اثنان وعشرون ألفاً. وقام الأمريكيون بتغطية ثلاثة عشر مليون حالة (أي معظم الذكور الألمان البالغين)، وتم توجيه الاتهام إلىٰ ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف، أُجريت لهم محاكمات عاجلة. وأدين تسعمائة وثلاثون ألفاً منهم، وصدرت أحكام بشأنهم من بينها 282.169 حكماً بتهمة ارتكاب جرائم نازية لا مجرد التعاون مع النظام النازي. وأصدر البريطانيون 22.296 حكماً والفرنسيون 17.353 حكماً، والروس ثمانية عشر ألف حكم .وبحلول عام 1945، كان قد تم طرد 141 ألف ألماني من وظائفهم، من بينهم معظم المدرّسين في منطقة الاحتلال الأمريكية، وزُج بعدد أكبر من هؤلاء في السجون.

ومن هنا ندرك سبب خشية المواطن الغربي حتىٰ اليوم من البحث أو الخوض في أمور المسألة الصهيونية أو اليهودية أو مسألة إبادة اليهود المزعومة.

ومن الأرقام الدقيقة السابقة يتضّح لنا أن الألمان هم الذين تعرّضوا للإبادة الحقيقية علىٰ أيدي الحلفاء واليهود. ولطيّ صفحات تلك الجرائم الإبادية، بل وللاستفادة من أكبر جريمة مارسوها ضد الإنسانية انطلقت أكذوبة إبادة اليهود، ودافع الغرب عنها لأنهم أيضاً يريدون إخفاء جرائمهم الإنسانية التي ارتكبوها.

وتظهر نفس النزعة الإبادية في تعامل الحلفاء مع اليابان، فقبل اكتشاف القنبلة الذرية، كان الجنرال الأمريكي كورتيس لي ماي يقوم بتحطيم مدن اليابان الواحدة تلو الأخرىٰ بشكل منهجي لم يسبق له مثيل في التاريخ. فخلال عشرة أيام في مارس 1945، قامت الطائرات الأمريكية بطلعات جوية بلغ عددها 11.600، تم خلالها إغراق 32 ميلاً مربعاً من أكبر أربع مدن يابانية بالقنابل، وهو ما أدّىٰ إلىٰ محو هذه المساحات وكل ما عليها من الوجود وتسببت في مقتل 150.000. أما الغارات الجوية علىٰ طوكيو يوم 25 مايو 1945، فتسببت في اندلاع عاصفة نارية ضخمة حتىٰ أن قائدي الطائرات المقاتلة كانوا يشمون رائحة لحم البشر المحترق وهم علىٰ ارتفاع آلاف الأقدام. وأدَّت هذه الغارات إلىٰ مقتل الآلاف وتشريد مليون شخص علىٰ الأقل.

وكانت عملية الإبادة من الشمول لدرجة أن الجنرال جروفز المسؤول عن مشروع مانهاتن لإنتاج القنبلة النووية كان « يخشىٰ » ألا يجد أي هدف سليم يمكن أن يُلقي عليه بقنابله ويدمره. ورغم أن الولايات المتحدة كانت تعرف أن اليابانيين كانوا قد بدأوا يفكرون بشكل جاد في إنهاء الحرب، فقد رأىٰ الجنرال جروفز ضرورة استخدام القنبلة مهما كان الأمر بعد أن تم إنفاق 2 بليون دولار في تطويرها.

وكان لابد من إلقاء القنبلة الذرية بغض النظر عن عدد الضحايا أو حجم التدمير. وكان الجنرال جروفز « محظوظاً » (كما تقول بعض الدراسات) إذ وجد ضالته المنشودة في هيروشيما التي كان يقطنها 280 ألف نسمة ووجد أنها محاطة بتلال

يمكن أن تُحوِّل المدينة إلىٰ جهنم حقيقية بعد الانفجار إذ أنها ستركز الحرارة. وبالفعل قُتل فور وقوع الانفجار 70 ألف مدني ومات 130 ألفاً آخرين بعد عدة شهور متأثرين بحروقهم من الإشعاع. وكأن هيروشيما لم تكن كافية، فأُلقيت قنبلة أخرىٰ علىٰ ناجازاكي، أدَّت هي الأخرىٰ إلىٰ مقتل 70 ألفاً آخرين، غير مئات الألوف الآخرىٰ الذين لقوا مصرعهم فيها بعد. فما بين ألمانيا واليابان تم إبادة وإصابة حوالي مليوني شخص معظمهم من المدنيين .

كما يجب أن نتذكر عمليات الإبادة التي قام بها النظام الستاليني ضد الشعوب الإسلامية في الخانات التركية (التي أصبحت فيها بعد الجمهوريات السوفييتية الإسلامية). وكان عدد شعب التتار وحده يساوي عدد سكان روسيا، أما الآن فهو لا يُكوِّن سوىٰ نسبة مئوية ضئيلة، وكانت الإبادة تأخذ أشكالاً مختلفة مثل الإعدام والعمل في معسكرات السخرة. وقد بلغ عدد الضحايا 50 مليوناً! وبعد حوالي نصف قرن عرف العالم عمليات الإبادة والتطهير العرْقي في البوسنة والهرسك والشيشان وفلسطين والعراق وأفغانستان، وقد جاءت كلها علىٰ أيدي الغرب نفسه. كانت إبادة الآخر آلية أساسية استخدمها التشكيل الإمبريالي الغربي واليهودي في تحقيق رؤيته ومثالياته الداروينية ذات الطابع التوراتي والصهيوني. واستمرت قائمة في الذهن الغربي حتىٰ يومنا هذا. وعلىٰ هذا يكون ذكرىٰ الإبادة هو في حقيقته ذكرىٰ إعلان مبدأ الإبادة والاعتماد عليه في العقل والمبدأ الغربي. وهو ذكرىٰ حادثة التحول المعلن من تبني القيم الإنسانية إلىٰ تبني القيم الإبادية عند الغرب كله.

النازيــــة المتأثرة باليهودية

لنتعرف علىٰ النازية وظروف ظهورها، لنتمكن من مقارنتها بالصهيونية. وكلمة «نازي» مأخوذة بالاختصار والتصرف من العبارة الألمانية National Sozialistische Deutsche Arbeiter partei (NSDAP) وهي حركة عرْقية داروينية شمولية تحمل أفكاراً ومبادئ يهودية وأخرىٰ متأثرة باليهودية، قادها هتلر وهيْمنت علىٰ مقاليد

الحكم في ألمانيا، وعلىٰ المجتمع الألماني بأسره.

والحركة النازية هي حركة سياسية وفكرية في الوقت نفسه، ضمن حركات سياسية فكرية أخرىٰ تحمل السمات نفسها، ظهرت داخل التشكيل الحضاري الغربي بعد الحرب العالمية الأولىٰ.

وقد أحدث هتلر العديد من القرارات الحكومية الثورية الجديدة ومن بينها الخدمة العسكرية العامة التي أصبحت إجبارية وأُخضعت ألمانيا كلها لنظام مركزي قوي. وأُلغي استقلال الولايات، وأُخضعت لهيمنة الفوهرر وأجهزته مباشرة،وقد أسس الحزب كنيسة ألمانية بهدف السيطرة علىٰ الكنائس البروتستانتية. وقام هتلر بمحاولات عديدة للسيطرة علىٰ القرار اليهودي فتعاون مع جماعات وأحزاب صهيونية وساندها لتسيطر علىٰ كافة النشاطات والحركات الصهيونية الألمانية. ومنح المنظمات المتعاملة معه ميزات وصلاحيات لم يعرفها اليهود منذ آلاف السنين. بل إن تلك التنظيمات استفادت من مساحة العمل والنشاط الممنوحة لها وسخّرتها لمخطط يهودي آخر يهدف إلىٰ إقامة دولة إسرائيل. وبالفعل فإن قادة الصهيونية الألمانية هم أنفسهم الذين أنشأوا فيما بعد دولة الكيان العنصري مستفيدين من خبرات هتلر والنازية وبدأ هتلر في تنفيذ مخططه الإمبريالي في الداخل والخارج صدوراً عن الرؤية النازية للعالم التي استمدت ملامحها الأساسية من الحضارة الغربية الحديثة آنذاك، وكانت السمة الأساسية للمنظومة النازية هي علمانيتها الشاملة وواحديتها المادية الصارمة. وقد هاجم ألفريد روزنبرج أهم الفلاسفة النازيين المسيحية باعتبارها عقيدة يهودية تدافع عن المطلقات. وفي كتابه أسطورة القرن العشرين حاول أن يُبيِّن بعض الأطروحات الأساسية للنازية، فالروح والعِرْق هما شيء واحد، ويعبّر كلاهما عن الآخر. والروح العِرْقية هي التي تحرك التاريخ. بل إن روزنبرج كان مدركاً للحلولية كنمط نهائي، إذ يؤكد أن الروح الألمانية تُعبِّر عن انتصار فكرة الحرية وعن التصوف الحقيقي، ويجب أن تُفهم تلك الصوفية باعتبارها تزايد حرية الروح إلىٰ أن

تصل إلىٰ المرحلة التي تتحرر فيها تماماً من الإله نفسه. وكان روزنبرج، انطلاقاً من عقيدته العرْقية هذه، يعطي مواعظ نارية عن أسطورة الدم الألماني مستفيداً من عقيدة الدم والعرق عند اليهود.

وعقد هتلر اتفاقاً مع الكنيسة الكاثوليكية غير أنه لم يلتزم به . وقد أسس هتلر "كنيسة" ألمانية بهدف السيطرة علىٰ الكنائس البروتستانتية، وتطهير فكرة القومية الألمانية من العناصر المسيحية المعادية، وكان الالتحاق بهذه الكنيسة القومية ـ ومن ثم الانفصال عن المنظومة المسيحية ـ شرطاً أساسياً للانضمام إلىٰ فرق الحرس الخاص المعروفة بالإس. إس. وتتضح مادية النازيين الصارمة في إنكارهم للطبيعة البشرية وثباتها وقد آمن النازيون بفكرة الدولة باعتبارها مطلقاً علمانياً متجاوزاً للخير والشر. وحدَّد هتلر المطلق الأول والأوحد (الدولة) كما تبنت النازية النظرية العرْقية الداروينية الغربية، وأكدت علىٰ التفوق العرْقي للشعب الألماني علىٰ كل شعوب أوربا، وتفوق شعوب أوربا علىٰ كل شعوب العالم. ورفض هتلر فكرة المساواة بين البشر باعتبارها فكرة دينية واعتبرها حيلة يهودية مسيحية وقال :

"إنها نوع من التنويم المغناطيسي تمارسه اليهودية الغازية للعالم بمساعدة الكنائس المسيحية"

ومن الأفكار الأساسية في الفكر النازي فكرة الشعب العضوي الذي تُوجَد وحدة عضوية بين أعضائه من جهة، وبين حضارتهم والأرض التي يعيشون عليها من جهة أخرىٰ، ومن العبارات المتواترة في الخطاب النازي عبارة **الدم والتربة Blut und Boden**، وهي من الشعارات الأساسية للنازية والمرتبطة بفكرة الشعب العضوي. وهذه العبارة نيتشوية فلسفياً وتوراتية في أصولها ورأت العقيدة النازية أن هذا الهرم الألماني المنظم، لابد أن يسيطر علىٰ العالم بأسره في آخر المطاف.

وانطلاقاً من كل هذا وُضعت ألمانيا فوق الجميع وأصبح للألمان حقوق مطلقة.

ولم يكن اليهود هدفاً حقيقياً للنازيين. بل كان المشروع النازي يتعدّاهم كثيراً

ولا يكترث بهم. ولم يعتبرهم حجر عثرة في أي وقت من الأوقات، إذ كان بالإمكان التخلص منهم في ليلة وضحاها. وكانت ماكينة الحرب النازية القوية قادرة علىٰ محو اليهود من كافة مناطق النفوذ الألماني في وقت قصير للغاية. ويثبت ذلك أعمال الألمان الحربية الواسعة التي كانت تقتل عشرات الآلاف من جنود الحلفاء في أوقات قليلة.

وكانت هذه الرؤيةُ النازية العلمية النفعية المحايدة أخلاقياً تخبئ ضمناً الرؤيةَ الداروينية النيتشوية ذات الأصول الصهيونية.، بتأكيدها علىٰ فكرة البقاء باعتباره القيمة المطلقة والصراع باعتباره الآلية الوحيدة للبقاء، وهي عملية مادية محضة. فالبقاء هو البقاء المادي، والصراع هو صراع مادي. وبالنظر إلىٰ الأيديولوجيات السابقة التي تبنتها النازية نكتشف بأن الصهيونية الألمانية التي عرّفت عن منهجها بوضوح بعد انتهاء الحرب وقيام دولة إسرائيل كانت تحمل عناصر فكرية وفلسفية مشابهة تماماً للمذهب وللرؤية النازية. ولا نقول بأن اليهودية جاءت نسخة عن النازية بل إن النازية والصهيونية بشكلها الناضج تكونتا معاً في ظروف مناخية واحدة وأثناء ذلك تأثرت كل واحدة بالأخرىٰ، وبالوقت نفسه فقد كانت النازية تحمل عقائد الدم والعنصرية والقومية، وهي عقائد يهودية وقد نادىٰ بها صهاينة ألمانيا قبل أن يظهر هتلر بعشرات السنين.

وضمن هذا المشروع الكبير تحرَّك هتلر لتنفيذ خطته الواسعة، وكانت من بينها خطوات نازية خاصة باليهود عرفت بمشروع الحل النهائي للقضية اليهودية، وسنستعرضها حسب تسلسلها الزمني:

- بتاريخ 28 أكتوبر 1938 قام هتلر بشحن عشرة آلاف يهودي وأرسلهم إلىٰ بولندا ، ولكن الحدود البولندية كانت موصدة دونهم فبولندا هي الأخرىٰ كانت تود الدفاع عن مصالحها المادية كدولة ذات سيادة ، وكانت تسعىٰ للتخلص من اليهود المقيمين علىٰ أراضيها. ثم إن الحركة الصهيونية نفسها كانت تعارض باستمرار نقل اليهود من نطاق النفوذ الألماني إلىٰ داخل أوروبا، وكانت تبرر تلك المطالب بضرورة أن يتم النقل مباشرة إلىٰ أرض فلسطين وإلَّا فلا.

- اعتمد النازيون مشروعاً للتخلص من اليهود وأطلق عليه اسم (الحل النهـائي) ومن خلاله استمرت المحاولات النازية التي تستهدف تهجير اليهـود حتىٰ نهايـة الحكـم النـازي. فبُـذلت المحاولـة تلـو الأخـرىٰ لتـوطينهم في سـورية وإكوادور وتم تشجيعهم علىٰ الهجرة إلىٰ فلسطين. وكان هناك مشروع صهيوني نازي يُسمَّىٰ «مشروع مدغشقر» يهدف إلىٰ تأسيس دولة يهودية في تلك الجزيـرة الأفريقية. ولكن معظم هـذه المشروعات الألمانيـة فـشلت.ولم تُطـرح بـدائل أخرىٰ، فالمجال الاستعماري الحيـوي لألمانيا،بعـد هزيمتهـا في الحـرب العالميـة الأولىٰ، كان محدوداً .

وبالوقت نفسه لم تكن الدول الغربيـة كلهـا ترحّـب هـي الأخـرىٰ بالمهـاجرين اليهود. ولأنّ الحل النهائي البلفوري لم يكن متاحاً لهتلر آنـذاك، ولـذا لم يكـن أمــامه سوىٰ استبعاد اليهود بطريقة غير بلفورية، فقد لجأ إلىٰ تجميعهم في معـسكرات العمـل والسخرة وفي مستوطنات مستقلة وتتمتع بحكم ذاتي بغية نقلهم إلىٰ موطن بعيـد عـن أوروبا عندما تسمح الظروف لذلك. وكانت الجماعات الـصهيونية راضـية عـن هـذا المشروع بل وكانت هي التي تساهم مع الجنـود الألمـان في تجميـع اليهـود، وفي نقلهـم بالقطارات إلىٰ معسكرات السخرة والمستوطنات.

لقد اجتمعت في تلك السنوات المـصالح الـثلاث للكيانـات الـثلاث المتباينـة، والتـي أجمعت رغم تباينها علىٰ أمر واحد وهو تهجير اليهود عن أوروبا كلها والتخلص منهم نهائياً.

فالمنظمة الصهيونية كانت لا تسعىٰ إلَّا لتحقيق ذلك ولا تحضّر إلَّا له، ولا تطالب إلَّا به. وحكّام دول الحلفاء الغربيين كلّهم بـما فـيهم الولايـات المتحـدة كـانوا يـسعون للتخلص من يهود أوروبا نهائياً، ومن مـشكلات إقـامتهم فيهـا وعـدم تعايـشهم مـع الأوروبيين المسيحيين وهتلر .

تحالف اليهود مع النازية

أولاً : وثائق هتلر

نشرت صحيفة التايمز (36) تحقيقاً للدكتورة هامن المتخصصة بأبحاث الهولوكوست جاء فيه: بحثت هامن في الأوراق المدرسية لهتلر فاكتشفت بأنه كان معجباً بأستاذه اليهودي، وأن ملاحظات أستاذه كانت تثني على التلميذ هتلر ، وكان لهتلر كثير من أصدقاء المدرسة اليهود. ولم يكن في طفولته ونشأته يحمل لهم عداء يذكر. وفي نشأته كان يعجب بالممثلات اليهوديات ، وكان يصادق طبيب أمه اليهودي ويرسل له بطاقات الأعياد. وكانت والدة هتلر يهودية وعلى هذا فيكون هتلر نفسه نصف يهودي أو يهودياً كاملاً. وفي سنوات شبابه أصيب بمرض السيفليس نتيجة اتصاله بعاهرة يهودية. وأخيراً يعلّق مذيع التلفزيون السوري متسائلاً : هل سيعتدي اليهود على هامن مثلما اعتدوا على غارودي وغيره؟.

ثانياً : العرقية اليهودية أنهضت العرقية الألمانية

وصف القرآن الكريم العرقية والعنصرية التي يحملها اليهود تجاه الشعوب الأخرى ، إذ يعتبرون كل الآخرين من غير اليهود أمّيين أي جاهلين ومتخلفين، وفي العصور القريبة وعصرنا هذا يستخدم اليهود كلمة الغويم للتعبير عن غير اليهود.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران 3/ 75].

يعتقد الكثير من الباحثين والمؤرخين ، وأتباع مدرسة المراجعة التاريخية بأن العرقية الألمانية هي التي أيقظت العرقية اليهودية. ويقول إيمانويل راتيه في كتابه محاربو إسرائيل:

"بعد الحرب العالمية الأولىٰ ، وبعدما اتـضحت معـالم العرقيـة الألمانيـة كعنـصر وعرق ولغة، تأثرت اليهودية بها سياسياً وتعاظمت العرقيـة اليهوديـة بـصفتها تحمـل ملامح مشابهة لتلك، ويمكن تسميتها بالنازيـة اليهوديـة، ومـن ألمانيـا امتـدت فكـرة العرقية اليهودية في بـادئ الأمـر إلىٰ أوروبـا الـشرقية، وتولّـدت فكـرة الإيديولوجيـة الصهيونية كحركة عالمية فعّالة ولاشك في أن تأثير النزعة العسكرية البروسية وعاطفـة الوطنية التي برزت في الحرب الأولىٰ والمفهوم الألماني للدم والأرض .. كل ذلك جعـل الصهيونية الألمانية نسخة مطابقة للأيديولوجيا القومية الألمانية."(39)

لكننا نرىٰ الأمور بطريقة عكسية تماماً، فرغم أن الباحث الفرنسي الكبير إيمانويـل راتيه معاد للصهيونية ويبحث عن خفاياها فقد فاته بأن العرقية اليهودية عمرهـا بـضعة آلاف من السنوات. وأنّ اليهود يحملون مفهوم العرقية ويعملون به منذ عصور الأنبيـاء والمرسلين. وإن كافة قصص اليهود التي ذكرت في القرآن الكـريم تتحـدث عـن أعـمال وأفعال وتصرفات وأقوال ومواقف يهودية تتصف بالعرقية والعنصرية.

ومادام اليهود المعاصرون يتخذون من كتب العهـد القـديم كتابـاً مقدسـاً فمنـه نقول: بأن قصصه وأحداثه وكل تلك الأعمال والأفعال والأقوال والمواقف التـي قـام بها اليهود تحمل طابع العرقية والعنصرية وكره الآخر.

وفي العصور الوسطىٰ الأوروبية عرفـت العرقيـة اليهوديـة ووصـفها كثـير مـن المفكرين والأدباء والمؤرخين.ومن بينهم شيكسبير الـذي انتقـدها في مـسرحية تـاجر البندقية وفي مسرحيات أخرىٰ.

وفي ألمانيا النازية نشطت المنظمات اليهوديـة في عهـد هتلـر، وبتلـك النـشاطات أذيعت برامجها ومناهجها العنصرية، فاطّلعت عليها كافة الأوساط الألمانية ومـن هنـا تولّدت أفكار ومناهج العرقية الألمانية.

وان مـا أخذتـه الـصهيونية عـن الأوسـاط الألمانيـة تمـّثـل في الجانـب الـسياسي والتنظيمي وجوانب تتعلق بالشكل وبأسلوب العمل فحسب. لكن ما تحويـه الديانـة

اليهودية من عنصرية وعرقية وأحقاد دائمة ضد الأخر كلّ تلك التفاصيل أضافتها الصهيونية إلىٰ عنصريتها في ذلك الوقت لأنها امتلكت جانباً كبيراً من الحرية، وأصبحت أكثر تطرفاً ووحشية من النازية التي اشتهرت بالعنصرية. ولأن العرقية الألمانية قامت في زمنها علىٰ أسس ضعيفة فقد زالت وانتهت، وفي الوقت نفسه فإن العرقية اليهودية استطاعت أن تطور نفسها وتقيم عرقية صهيونية عنصرية جديدة علىٰ أساسين اثنين وهما :

1. العرقية اليهودية الدينية الموثّقة في كتب العهد القديم وفي الذاكرة اليهودية وفي الدم اليهودي نفسه.
2. الاستفادة من الظروف السياسية الحديثة التي بدأت في الحرب العالمية الأولىٰ وانقسام العالم كله إلىٰ معسكرين، ثم انهزام ألمانيا النازية.

ونتج عن تلك العرقية ونشاطاتها العنصرية قيام دولة وكيان علىٰ أسس عنصرية (يهودية) وإن العرقية الصهيونية الحديثة التي امتزجت أفكارها ومبادئها بالعقيدة اليهودية مازالت قائمة منذ حوالي قرن من الزمن. ولأنها عمّرت أكثر من العرقية النازية فهذا دليل علىٰ أنها كانت أقدم منها.

والعرقية اليهودية هي سمّ زعاف تسمم به العقل اليهودي، وهي بليّة ابتلىٰ بها اليهود، وهي أيضاً تخلف حضاري وتخلف فكري واجتماعي. وهي بلا شك أداء سلوك مرضي عند اليهود.

وإن طبيعة الديانة اليهودية التي تحمل عنصرية عرقية ودموية ودينية، وتحمل أيضاً عداء وكرهاً للغير، كل ذلك ساهم من ناحية تكوين العقل اليهودي في تضخم مبدأ العرقية الصهيونية الحديثة.

ويذكر بأن العرقية اليهودية ثابتة في الدم اليهودي مادام هناك يهودي، وإنه لمن المحتمل وليس من المؤكد بأن اليهودي إذا تحول عن دينه وآمن بديانة الإسلام أو بالديانة المسيحية فمن المحتمل أن يفتقد العنصرية اليهودية، وليس ذلك مؤكداً.

وفي القرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالىٰ العرقية اليهودية فيقول في الآية التالية:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران 3/ 75].

ومن المعروف بأن الحركة الصهيونية الألمانية احتلت في العشرينات من القرن الماضي المكان الأول من الحركات الصهيونية العالمية. فقد كانت الحركات الصهيونية الألمانية هي الأقوىٰ والأكثر نفوذاً والأقدر علىٰ رسم مستقبل اليهود والتحكم بمصيرهم. وإن تلك الجماعات اليهودية الألمانية هي التي بدأت ترسل من ألمانيا سفن اليهود إلىٰ فلسطين قبل أن يحصل اليهود علىٰ وعد بلفور الشهير، وقبل أن توافق بريطانيا علىٰ تهجير اليهود.

ثالثاً : النشاطات الصهيونية في ألمانيا

أنشئت منظمة بيتار الصهيونية عام 1926 في النمسا ، واتخذت فرعاً لها في برلين عام 1928 حيث أشرف علىٰ إدارتها (ألكسندر ريتر) وبلغ عدد أعضائها آنذاك 400 يهودي ألماني. وبعد وصول هتلر إلىٰ السلطة تضاءلت أعمال المنظمات اليهودية اليسارية، لكن منظمة بيتار تعاظمت وازداد نفوذها وكثر عدد أعضائها من الشبّان اليهود. وإلىٰ جانبها نشطت منظمتا (بيريث هاشومريم) و(هرتزليا – بيتار) وسمح لأعضائهما بارتداء ملابس رسمية موحدة (قميص داكن وسروال و كتافيات وربطة عنق و طاقية و نطاق). ويؤكد ذلك قيام تلك المنظمات بنشاطات شبابية عديدة (اجتماعات، تجمعات عامة، معسكرات صيفية، رحلات ، رياضات، تجديف، أعمال زراعية مشتركة) وهذا السماح دفع الشبان اليهود للانضمام إليها. وبدأت تظهر في تلك الأوساط فكرة التهجير إلىٰ فلسطين. وتعتبر الوثائق الصهيونية أن حركة هرتزليا هي فرع من بيتار الدولية.

وبالاتفاق مع السلطات النازية نشرت بيتار كراسات مطبوعة تتضمن مقالات قومية يهودية،وتركز علىٰ أحداث فلسطين وتسخر من البريطانيين والعرب. كما

وسمح لبيتار بعرض أفلام عن أوضاع فلسطين آنذاك، وبجمع مبالغ مالية لمساعدة الحركات اليهودية. وقد حظيت تلك المنظمات اليهودية علىٰ تسامح كبير من حكومة الرايخ ، وعلىٰ تأييد قوي للقيام بإعداد برنامج منظم لتهجير اليهود إلىٰ فلسطين.

وفي عام 1926 أسس جورج كاريسكي حزباً انعزالياً صارماً لتقوية اليهود في ألمانيا ونادىٰ بتثقيف اليهود بثقافة خاصة في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية، وفي العام 1929 انتخبته الجمعية اليهودية العامة في برلين رئيساً لها. لكن المنظمات الصهيونية الألمانية الأخرىٰ حاربته واتهمته بالعمالة للنازية.وبلغ عدد أعضاء منظمته حوالي الألف.

وبالفعل كان البوليس السري الألماني يستخدم كاريسكي بغية السيطرة علىٰ المنظمات اليهودية وقيادتها بطريقة تتناسب مع سياسة ونهج الرايخ.

وبعدما فشل كاريسكي في فرض نفسه كقائد أعلىٰ للمنظمات اليهودية، أرغم الألمان علىٰ تبديل خططهم، فعيّنوه مسؤولاً علىٰ النشاطات الفنية اليهودية في ألمانيا، لكن الفنانين اليهود رفضوا التعامل معه فقام كاريسكي باختلاس أموال من مصرف (أفريا) وقام بزيارة لفلسطين لكن اليهود لاحقوه وضربوه فلجأ إلىٰ أحد البيوت قبل أن يهرب ويعود إلىٰ ألمانيا.

ثم عاود نشاطاته هناك وساهم في مشاريع تهجير اليهود إلىٰ فلسطين، وظلّ علىٰ الدوام يدافع بخطاباته عن العلاقات اليهودية الألمانية الخاصة. ولم يعترف بحدوث إبادة لليهود في الحرب العالمية الثانية. بل أكّد علىٰ وجود برنامج ألماني للتخلص من اليهود وقال: إن ذلك يخدم القضية اليهودية. وكان شعاره علىٰ الدوام (شعب ، أرض، اله) وتوفي كاريسكي في العام 1947 . وأطلق أتباعه اسمه علىٰ شارع في المنطقة المسماة بالعبرية (رامات غان) في فلسطين المحتلة.

وفي عام 1933 انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي وصوّت بالموافقة علىٰ اقتراح هتلر للتعاون مع اليهود. وبناء علىٰ ذلك أعلن هتلر عن وثيقة التعاون التجاري مع البنك

الإنكليزي الفلسطيني التابع للمنظمة الصهيونية، وبموجبه كانت تنقل وتحوّل أموال المهاجرين اليهود إلىٰ فلسطين. كما وساهمت المنظمات الصهيونية مقابل ذلك بتصريف البضائع والمنتوجات الصناعية الألمانية في الشرق الأوسط والبلدان الأوروبية الشرقية. (37)

رابعا: برامج تهجير اليهود الألمان

في شهر آب 1933 وبعد مباحثات جرت بين الحكومة الألمانية وحاييم أرلوزوروف السكرتير السياسي للوكالة اليهودية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية (فرع فلسطين) تم الاتفاق علىٰ تأسيس شركتين (هاأفارا Ha Avara) في تل أبيب و(بالترو) في برلين. تعملان علىٰ تيسير هجرة اليهود الألمان إلىٰ فلسطين. بحيث يقوم كل مهاجر بإيداع مبلغ ألف جنيه إسترليني في حساب خاص في برلين يمكنه من السكن في فلسطين، وكان بوسع المهاجر أن يرسل إلىٰ فلسطين منتجات صناعية ألمانية تقوم الوكالات اليهودية بتسويقها في فلسطين، وإعادة ثمنها إلىٰ الدافع نفسه بعد وصوله إلىٰ فلسطين. وكانت المنظمات اليهودية تختار الأشخاص الذين تسمح لهم بالهجرة وتمنع من لا تراه مناسباً. ولم توافق علىٰ استقبال كبار السن وغير المنجبين، وكانت توجه اهتمامها علىٰ اختيار الشبان من اليهود. وقد تم تحويل مبلغ ثلاثين مليون دولار آنذاك وهو مبلغ كبير للغاية وقد ساهم في تطوير اقتصاد الدولة اليهودية منذ بداياتها. وبفضل نظام هاآفارا هاجر نحو 60 ألف يهودي خلال المدة الواقعة بين 1933 – 1939 ، أي ما يعادل 10 ٪ من اليهود الألمان ونسبة 15 ٪ من يهود فلسطين في العام 1939 . وكان المهاجرون اليهود يطالبون بتعويضات من الشركات الألمانية التي كانوا يعملون فيها. وتقدمت الوكالة اليهودية بطلب تلك التعويضات من حكومة الرايخ فحصلت عليها. وأضيف إلىٰ برنامج التهجير برنامج تعليم اللغة العبرية للراغبين بالهجرة من ألمانيا إلىٰ فلسطين.

وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود من ألمانيا وحدها 400 يهودي أسبوعياً. وكل

ذلك يبين مدىٰ تساهل هتلر مع المنظمات الصهيونية، وهذا التساهل يعتبر دليلاً قوياً علىٰ أن هتلر لم يكن يحمل أية عدائية لليهود، وبالتالي فلا يمكن اتهامه بإبادتهم.

النفوذ اليهودي في ألمانيا

لقد أدّىٰ تركز يهود ألمانيا في المدن إلىٰ وضوح تمايزهم الوظيفي والمهني، وهي ظاهرة موغلة في القدم في دول وسط أوربا، وخصوصاً في ألمانيا. فلقد كان أعضاء الجماعة اليهودية في الإمارات الألمانية يُشكّلون، في العصور الوسطىٰ، جماعة وظيفية وسيطة تضطلع بدور التاجر والصيرفي والمرابي، ثم تم طردهم من عدة مدن وإمارات ألمانية، فهاجروا منها إلىٰ مدن وإمارات ألمانية أخرىٰ. ولكن، مع حلول القرن السادس عشر، سُمح لليهود بالاستقرار في كثير من المدن والإمارات التي كانوا قد طُردوا منها، وتم استقدامهم كعنصر تجاري نشط لديه رأس المال اللازم والاتصالات الدولية. وكان يهود المارانو (الذين طُردوا من شبه جزيرة أيبريا) من أهم هذه العناصر. وعادةً ما كان يتم استقدام اليهود، سواء في العصور الوسطىٰ أو في القرن السادس عشر، بأمر من الإمبراطور أو الأمير أو النخبة الحاكمة، فكان أعضاء الجماعات اليهودية يتبعون النخبة الحاكمة أو أحد أعضائها بشكل مباشر ويُشكّلون مصدر دخل كبير لها، وكان الممولون اليهود يقومون باعتصار الجماهير من خلال الفوائد الضخمة التي يُحصّلونها علىٰ قروضهم. . وفي القرن السادس عشر ظهرت مهنة يهودي البلاط الذي يدير الخزانة الملكية ويعقد الصفقات والقروض بالنيابة عن الأمراء ويمول الحروب ويدير الاتصالات التجارية اللازمة، أي أن أعضاء الجماعة اليهودية في ألمانيا كانوا مرتبطين بالحاكم ملتصقين به ومتميِّزين طبقياً ومهنياً عن بقية أفراد الشعب، وهو وضع ازداد تبلوراً في القرن التاسع عشر، كما يبيِّن الجدول التالي الخاص بتوزيع أعضاء الجماعة اليهودية في المهن والحرف المختلفة. وكان وجود بعض أعضاء الجماعة اليهودية كوسطاء أمراً واضحاً جداً، فقد تركزوا في صناعة الأثاث والملابس الجاهزة وارتبطوا بالصيرفة والمحال التجارية، الأمر الذي حولهم إلىٰ شخصيات مكروهة من الطبقة الوسطىٰ،

خصوصاً في ظروف الأزمة. واتضح كذلك وجود اليهود في مهنة الإقراض وتحصيل ريع الملكيات الزراعية . كما عملوا تجار مواش، الأمر الذي جعلهم مكروهين من الفلاحين. وقبل الحرب العالمية الثانية، كان عدد يهود ألمانيا لا يزيد على 1٪ وكان يهود برلين يُشكِّلون 5٪ من سكانها، ومع هذا كانوا يُشكِّلون النسب التالية في بعض القطاعات الاقتصادية في برلين: (48)

النسبة	القطاع الاقتصادي
70٪	من مجموع أصحاب الحوانيت
30٪	من مجموع تجار الملابس
25٪	في تجارة الأثاث
17٪	من مجموع العاملين في المصارف
10٪	من الأطباء
16٪	من المحامين

ومن الإحصاءات الأخرىٰ ذات الدلالة أن يهود برلين الذين كانوا يشكلون ـ كما أسلفنا ـ 5٪ من سكانها كانوا يدفعون 30٪ من جملة الضرائب، وكان يهود فرانكفورت الذين يشكلون 7٪ من سكانها يدفعون 28٪ من ضرائبها، كما بلغت نسبة أصحاب الأعمال ومديري البنوك من اليهود في برلين 55.15٪ في عام 1882، ثم هبطت إلىٰ 32.6٪ في عام 1925 (وهي أيضاً نسبة عالية). وتقول الموسوعة اليهودية العالمية: إن الهبوط في النسبة المئوية لم يصاحبه هبوط في النفوذ، إذ كان اليهود، في بعض السنوات، يُديرون أهم ثلاثة بنوك تتحكم في 60٪ من نسبة الإقراض في بعض السنوات، وكانوا يديرون نحو ثلاثة أرباع القروض الأجنبية التي مُنحت لألمانيا من عام 1924 إلىٰ عام 1929. كما سيطر اليهود علىٰ 57.32٪ من صناعة المعادن في عام 1930 (48) وهكذا، ارتبط اليهود في العقل الألماني بالمشروع الحر والمضاربات والسياسات الليبرالية. ومن جهة أخرىٰ، كان والتر راتناو (وزير التعمير ثم وزير الخزانة في حكومة وايمار) يهودياً،

كما كان واضع دستور هذه الجمهورية يهودياً. ولإدراك التخاذل اليهودي نذكر أن أعضاء الجماعة اليهودية ارتبطوا بالمثل الليبرالية في وقت كان فيه المجتمع الألماني كله يتخلىٰ - بعد تَعثُّر التحديث - عن هذه المُثل ليبحث عن طرق أخرىٰ شمولية لحل مشاكله. ولعل في هذا الارتباط الوثيق بين الرأسمالية الألمانية ويهود ألمانيا ما يُفسِّر النقد الاشتراكي الثوري العنيف لليهود باعتبارهم ممثلين للرأسمالية، ولليهودية باعتبارها دين الاقتصاد الجديد. ولعل هذا يُفسِّر أيضاً السبب في أن ماركس كان يرىٰ أن إله إسرائيل الطماع هو المال. وهذا التراث الاشتراكي في نقد الشخصية اليهودية نابع من تربة ألمانية أساساً، حيث كان اليهود ممثلين بشكل واضح في الطبقات الرأسمالية.

وكان رئيس حكومة بافاريا الثورية (البلشفية) يهودياً، وكان كثير من قيادات الحركة الثورية المتطرفة (مثل روزا لوكسمبرج) من اليهود، وهكذا، ارتبط اليهودي بالسياسة والصناعة والاستغلال والمشروع الحر، وكذلك بالثورة الاشتراكية المتطرفة والحركات الثورية، أي أن اليهودي أصبح رمزاً جيداً لهذا المجتمع الحديث المبني علىٰ التعاقد والتنافس، والذي قوّض دعائم المجتمع الألماني المترابط ، وأصبح بؤرة تتجمع فيها مخاوف الطبقة الوسطىٰ التي كانت آخذة في التدهور الاجتماعي والطبقي بسبب التضخم والبطالة. بل أصبح رمزاً لكل تلك القوىٰ، من اليمين واليسار، التي أودت بألمانيا وفرضت عليها أن تذعن للحلفاء .

وارتطمت الدولة النازية بكل من الرأسمال الحر الذي ارتبط به اليهود واليسار المتطرف الذي وُجد فيه اليهود أيضاً بشكل ملحوظ. أي أن ألمانيا وجدت نفسها بين فكي كماشة يهودية تتحكم باقتصادها السياسي وبمصيرها بقوة.

والجدير بالذكر أن وضع اليهود تحسن كثيراً في منتصف القرن التاسع عشر مع توحيد ألمانيا، فقد كان ثلاثة من أهم مستشاري بسمارك من اليهود. بل وإن اليهودي الذي تحول إلىٰ المسيحية فريدريك ستاهل كان مُنظِّر الدعوة إلىٰ العسكرية البروسية.

وكان بسمارك يفكر في استخدام اليهود دائماً في مشاريعه. ويظهر ذلك الاتجاه

بشكل أوضح في تفكير إمبراطور ألمانيا (ويلهلم الثاني) الذي كان يرىٰ إمكانية استخدام اليهود في مشروعه الاستعماري، وكانت مفاوضات هرتزل، مع إمبراطور ألمانيا، تدور داخل هذا الإطار وتنطلق من هذا التفاهم الضمني. وفي الوقت نفسه، كانت المنظمة الصهيونية في ألمانيا لا تكف عن الحديث عن نفع اليهود وإمكان استخدامهم في المشاريع الاستعمارية الألمانية المرتقبة، وتوطينهم في فلسطين أو في غيرها تحت راية الاستعمار الألماني. وقامت جمعية الغوث الألمانية اليهودية بالمساهمة في النشاط الاستيطاني الصهيوني باسم الاستعمار الألماني، كما كان يُنظَر إلىٰ العنصر اليهودي من شرق أوربا (المتحدث باليديشية) باعتباره عنصراً ألمانياً، يمكن تسخيره في صالح المشروع الألماني الاستيطاني .

وكما هو معروف، صدر وعد بلفور الذي ينطوي، بشكل ضمني، علىٰ إمكان تحويل اليهود إلىٰ عناصر تدين بالولاء للاستعمار الإنجليزي. ورغم هذا، استمرت رئاسة المنظمة الصهيونية الموجودة آنذاك في ألمانيا في التقرب إلىٰ النظام الحاكم، واستمرت في بذل المحاولات لاستصدار وعد بلفوري ألماني. وبسبب علاقة ألمانيا الخاصة بالدولة العثمانية ورفض الخليفة العثماني الموافقة علىٰ المشروع الصهيوني فقد أصدرت الحكومة الألمانية (بعد صدور وعد بلفور) تصريحاً مبهماً يشبه وعد بلفور من بعض الوجوه، تَعد فيه بمساعدة المشروع الصهيوني.

تهميش اليهود الألمان

تسبَّبت الهجرة الكثيفة ليهود اليديشية في أعقاب تعثُّر التحديث في شرق أوربا في زيادة عدد اليهود الألمان وبالتالي تهميشهم وفصلهم عن التشكيل القومي الألماني العضوي. وكانت تلك أول هجرة داخلية في أوربا في العصر الحديث. واستمرت إلىٰ حتىٰ عام 1880. ولم تبدأ الهجرة عبر الأطلنطي بشكل مكثف إلَّا بعد ذلك التاريخ. وقد هاجر، في المرحلة الأولىٰ مئات الألوف، ووصلت أعداد كبيرة منهم إلىٰ إنجلترا وتسببوا في استصدار وعد بلفور لتحويل سيل الهجرة عنها، كما وصلت أعداد كبيرة منهم إلىٰ ألمانيا.

وقامت ألمانيا في نهاية القرن الثامن عشر، بضم بولندا التي كانت تضم يهوداً من المتحدثين باليديشية مما سمح لهؤلاء أن يهاجروا إلىٰ المدن الألمانية الكبرىٰ. وبالفعل، انتقل معظم يهود بوزنان إلىٰ ألمانيا، وكذا أعداد كبيرة من يهود جاليسيا وقد شهدت سنوات العشرينيات من القرن العشرين هجرة يهودية ضخمة من بولندا إلىٰ ألمانيا بسبب الأزمة الاقتصادية.

وكانت نسبة اليهود الأجانب بين يهود ألمانيا هي 2.7 ٪ عام 1880، وارتفعت إلىٰ 12.8٪ عام 1910 واستمرت في التزايد بعد هذا التاريخ مما زاد عدد اليهود في ألمانيا الأمر الذي عظّم نفوذهم فيها.

العبرنة والمنظمات اليهودية

وتحوَّلت ألمانيا، بعد الحرب العالمية الأولىٰ، إلىٰ مركز للثقافة العبرية نتيجةً لهرب العديد من الكتاب اليهود من روسيا إليها، فتم تأسيس دار نشر عبرية، كما أسست الحركة الصهيونية كثيراً من المدارس لتعليم العبرية. (وهو اتجاه أيده النازيون فيما بعد ودعموه لأنهم كانوا يرون ضرورة عبرنة اليهود باعتبارهم شعباً عضوياً مستقلاً عن الشعب العضوي الألماني ونلاحظ هنا بأن الدولة النازية سبقت الدولة الصهيونية في تبنِّي كثير من مشارع العبرنة. وكان من شأن هذا كله أن أصبح العنصر اليهودي مرة أخرىٰ عنصراً عضوياً متماسكاً غريباً يقف خارج المجتمع أو علىٰ هامشه. ولذا، كان أحد المطالب الأساسية لأعداء اليهود هو وقف الهجرة من شرق أوربا لأنها تأتي بالغرباء حسب قوله. وكانت حقوق اليهود الأجانب مثار نقاش حتىٰ في عهد جمهورية وايمار الليبرالي، ولهذا نجد بعض الألمان، ممن لا يمكن اتهامهم بمعاداة اليهود، يطالبون بعدم السماح ليهود الشرق بامتلاك عقارات باعتبارهم أجانب لا باعتبارهم يهوداً .

بل لقد طُرحت القضية نفسها داخل المنظمات اليهودية ذاتها وانطلقت هذه التساؤلات:

هل يُمنح اليهود الأجانب، الذين كانوا يشكلون أحياناً الأغلبية في بعض المجتمعات، حق التصويت في الانتخابات؟ وبالفعل، قرر كثير من هذه التجمعات السماح ليهود الشرق بالانضمام إليها بدون ممارسة حق التصويت. ولعل تأسيس جمعية الغوث كان يهدف إلىٰ إبعاد يهود الشرق عن ألمانيا حتىٰ لا يتأثر وضع اليهود داخلها، كما هو الحال مع جمعيات الغوث الأخرىٰ التي أنشأها أثرياء اليهود في الغرب أمثال هيرش وروتشيلد. وظهرت في هذه المرحلة جمعيات يهودية، مثل: التنظيم المركزي للمواطنين الألمان من أتباع العقيدة اليهودية وهي جمعية يهودية تدعو إلىٰ الاندماج ، وجمعية غوث يهود ألمانيا وهي جمعية خيرية قامت بنشاط استيطاني في فلسطين وغير ذلك من جمعيات دينية وثقافية. وتم تأسيس اتحاد عام لهذه الجمعيات في أواخر العشرينيات من القرن الماضي.

مؤتمر بوزنان الصهيوني

انعقد مؤتمر بوزنان عام 1912 وتُوِّجت جهوده باستصدار قرار بوزنان الصهيوني الذي جعل من الهجرة إلىٰ فلسطين هدفاً أساسياً لكل يهودي .ودافع مارتن بوبر عن علاقة **التربة بالدم**، كما دافع عن أن اليهود شعب آسيوي أساساً. وتحدث ناحوم جولدمان عن اليهود **كعنصر هدام** في كل المجتمعات لأنهم غرباء، وتحدث جيكوب كلاتسكين عن **ازدواج الولاء** عند اليهود، وتحدث حاييم وايزمان عن اليهود باعتبارهم **عنصراً فائضاً** يقف في حلق الأمة الألمانية، وهي شعارات تعود كلها لتيودور هرتزل وماكس نوردو اللذين وضعا أساس الصهيونية الألمانية. وعن أطروحاتهما تفرعت الشعارات اليهودية العديدة.

وأشاعت هذه الدعاية وهذه القرارات صورة سلبية للغاية عن أعضاء الجماعة اليهودية وعن عدم إمكان دمجهم في الشعب العضوي الألماني. وفي هذا المناخ ظهر هتلر وظهرت النازية. وأثناء محاكمات نورمبرج، أصرّ الزعماء النازيون، الواحد تلو الآخر، علىٰ أنهم تعلموا ما تعلموه عن المسألة اليهودية من أدبيات الصهاينة

أنفسهم. وقد كانوا فعلاً علىٰ حق. بل إنّ النازيين الذين تفهّموا الشعارات والنداءات اليهودية قاموا بتلبيتها عن قناعة منهم. ووجدوها تتوافق مع رغبة الأوروبيين في التخلص من اليهود عن طريق تهجيرهم. ويمكننا القول بأنه عبر تاريخ اليهود الطويل بكامله لم توجد أمة أو سلطة أو شعوب قدّمت لهم خدمات تاريخية مفيدة لقضيتهم بمثل ما قدمت لهم ألمانيا النازية. وهم يدركون ذلك كله ويعاقبون ألمانيا وشعبها علىٰ حسن صنيعتهم.

ومع وصول هتلر إلىٰ الحكم، استولىٰ الصهاينة علىٰ قيادة الجماعة اليهودية وطرحوا برنامجاً في العام 1933 لإعادة صياغة الجماعة اليهودية في ألمانيا وتعليم اليهود ما يتفق مع التقاليد الصهيونية، وذلك عن طريق مزج القومية بالدين بهدف تهجيرهم خارج ألمانيا .فوافق النازيون علىٰ الطرح الصهيوني للقضية وقدَّموا التأييد والدعم للأنشطة والمؤسسات الصهيونية.

المشاريع النازية الخاصة باليهود

كان النظام النازي تكويناً تكنولوجياً تكنوقراطياً تم تنظيمه تنظيماً هرمياً دقيقاً، وعلىٰ قمة الهرم يقف الفوهرر، ويحرك هذا الهرم بشكل محايد ليدافع عن مصلحته، كما يراها هو، وعن منفعته، كما حددها هو بمشاركة النخبة الحاكمة من علماء وساسة. وفي زمن الحرب أدار هملر مؤسسته بطريقة حديثة للغاية تبدت في كيفية استخدامه لليهود من خلال واحد من أهم أسس الإدارة الحديثة فيما يُسمَّىٰ الإدارة الذاتية ، إذ كوَّن نخبة من اليهود نواتها الأساسية أعضاء المجالس اليهودية والموظفون الملحقون بها، تدور حولها قطاعات أخرىٰ مثل العمّال اليهود في مصانع الذخيرة، وبعض الشخصيات اليهودية العامة، وتم وصفهم جميعاً بأنهم «يهود يتمتعون بالحماية من الترحيل» نظراً لنفعهم. وكان ذلك امتداد للتقسيم الغربي القديم لليهود والذي ظل سائداً منذ العصور الوسطىٰ حتىٰ أوائل القرن التاسع عشر وإن كان قد اكتسب عمقاً خاصاً في القرن الثامن عشر وعصر الاستنارة وظهور مبدأ المنفعة . وقد أصبح هؤلاء

أداة ذات كفاءة عالية في يد الإدارة النازية وتعاونوا معها تماماً .

وفي زمن الحرب كانت آليات السخرة كلها تتسم بتعظيم الإنتاج والمنفعة. وكان إرسال اليهود إلىٰ معسكرات العمل بالسخرة لتزويد الشركات الألمانية بالعمالة الرخيصة، وهو ما أفاد الاقتصاد الوطني الألماني فكان يتم فرزالمساجين بعناية شديدة، حيث يُوجَّه القادرون علىٰ العمل إلىٰ أعمال السخرة. وكان قسم من اليهود يرسلون أحياناً إلىٰ شبه مستعمرات، أسسها النازيون خصيصاً، وكانت تأخذ شكل مناطق "قومية" مستقلة لها مجالسها التي تحكمها ونظامها المصرفي المستقل وعملتها الخاصة ونظامها التعليمي الخاص، وكانت تلك تدخل في علاقة تبادل كولونيالية مع الدولة النازية.

فكانت الجيتوات تزود الدولة النازية بالعمالة والخدمات وبعض السلع نظير أن تزودها الدولة النازية بالغذاء والملابس ومستلزمات الحياة الأخرىٰ. ولكن علاقة التبادل كانت غير متكافئة لصالح الدولة النازية بحيث تكون الخدمات والعمالة الخارجة من الجيتو أكبر من قيمة ما يحصل عليه سكان الجيتو من المواد الغذائية التي كانت دائماً أقل من أن تفي باحتياجات العاملين اليهود، ويمكن القول بأن العلاقة بين الجيتو والدولة النازية كانت في زمن الحرب نوعاً من العلاقة الاستعمارية لا تختلف كثيراً عن علاقة إنجلترا بمستعمراتها. وكانت تلك المستعمرات اليهودية مؤقتة ريثما يتم تهجير اليهود والتخلص منهم. وإن وجودها يدل علىٰ عدم وجود نظام إبادة لليهود طوال فترة الحرب كلها.

وقد درج استخدام تسمية **معسكرات الاعتقال**، وهي المعسكرات النازية الشهيرة والتي لم تكن في الأصل معسكرات اعتقال بل كانت معسكرات تشغيل وسخرة، وكان يسودها نظام مغادرة المعتقلين صباحاً للعمل في المصانع وعودتهم في المساء. وعلىٰ هذا كان المعتقلون يتمتعون بنوع من الحرية ، اضافة إلىٰ أن هذه الظاهرة تؤكد عدم وجود نظام إبادة فيها.

يهود في الجيش الألماني

كان يقسم اليهود في ألمانيا النازية إلىٰ نوعين: يهود نافعين ومن ثم لا يمكن نقلهم بل إن الدولة تحافظ عليهم وتستفيد منهم، ويهود غير نافعين ومن ثم يمكن نقلهم وتهجيرهم.

ولم تكن ظروف الحرب تعوق الألمان عن التحلي بالموضوعية الكاملة. فعلىٰ سبيل المثال، حينما وصلت القوات الألمانية إلىٰ شبه جزيرة القرم ووجدت فيها بعض اليهود القرّائين، وقد برهن لهم هؤلاء أنهم ليسوا يهوداً بالمعنىٰ العام والسائد، وأنهم لا علاقة لهم باليهود من أتباع اليهودية الحاخامية ولا يتسمون بما يتسم به اليهود عموماً من طفيلية (كما تزعم أدبيات العداء لليهود في العالم الغربي).

وأرجأ النازيون في الميدان تنفيذ عملية التسخير والتهجير لهؤلاء، وأرسلوا بأحد الضباط إلىٰ برلين ليدرس قضيتهم بشكل موضوعي رغم ظروف الحرب ويعود بالنتائج المناسبة. وبالفعل توصّل هذا الضابط الباحث إلىٰ أن القرّائين لا يتسمون بالسيكولوجية أو الطبيعة اليهودية، وأخذ النازيون بتقريره، ولذا لم يُطبَّق علىٰ اليهود القرّائين قرار التهجير. بل قرر النازيون، انطلاقاً من الرؤية النفعية البراجماتية المرنة، تجنيد بعض العناصر القادرة من بين **اليهود القرّائين في القوات النازية.** وهذا دليل علىٰ مرونة الألمان مع اليهود وعلىٰ استبعاد وجود مبدأ إبادة اليهود في برنامجهم، إذ لا يمكن الجمع بين ظاهرتين إحداهما تجنّد اليهود في الجيش النازي والأخرىٰ يقوم بها هذا الجيش نفسه بإبادة اليهود الذين هم جزء منه.

وهنا نكتشف عند الألمان مرونة وحيوية قلّما نجدها في كيان دولة تخوض تلك الحروب الواسعة في ظروف شديدة الصعوبة. ثم فهل يمكن الجمع بين ظاهرتين تقول الأولىٰ بإبادة اليهود وتؤكد الأخرىٰ توظيفهم في الجيش الألماني؟ وهل يمكن أن نجد جنوداً يهوداً في جيش يقوم بإبادة اليهود؟ أي بإبادة نفسه؟.

مؤتمر فانسي ومشروع الحل النهائي

تذكر الوثائق الصهيونية أنه في 20 يناير 1942 عُقد مؤتمر يُسمَّىٰ «مؤتمر فانسي» بهدف التنسيق مع الوزارات الألمانية المختلفة التي اشتركت فيه إضافة للحزب النازي وقوات الإس. إس. في محاولة تنفيذ مشروع الحل النهائي للقضية اليهودية. ويُقال: إن رينهارد هايدريش دعي إلىٰ هذا المؤتمر بناء علىٰ خطاب من هرمان غورنغ بتاريخ 31 حزيران 1941، وأشار إلىٰ «الحل الكامل للمسألة اليهودية». وقد أعدّ أيخمان الإحصاءات والبيانات اللازمة لمناقشة الموضوع. وحضر المؤتمر كبار موظفي الدولة والحزب وناقشوا كيفية تهجير اليهود وإرسالهم إلىٰ معتقلات العمل والسخرة. وتثبت وثائق هذا المؤتمر بأن معسكرات تجميع اليهود وتشغيلهم كانت مطلباً يهودياً عاجلاً من النازيين. وعبارة «الحل الكامل» هي صيغة أخرىٰ لعبارة «الحل النهائي» بالألمانية: Endlosung التي ترد في بعض الأدبيات النازية،ورغم أنها كلمة لاتفيد معنىٰ الإبادة فقد اعتمدها الغرب علىٰ أنها تعني الإبادة. واعتمدت وثائق محاكمات النازيين عليها كمصطلح إبادي.

وبعدما تفحص روجيه غارودي الوثائق النازية أكّد عدم ترادف عبارة «الحل النهائي» مع عبارة «الإبادة كتصفية جسدية»، **كما تزعم الأدبيات الصهيونية**. ولوحظ عدم ورود لفظ «الإبادة كتصفية جسدية» مقروناً بعبارة «الحل النهائي» في أية مذكرة نازية. وقد بيّن ريمون آرون وجاك فيوريت (عام 1979) – في ختام مؤتمر عُقد خصيصاً لهذه القضية وغيرها من القضايا المتعلقة بالإبادة النازية ليهود أوربا – أنه لم يتم العثور علىٰ أية مذكرة تحمل معنىٰ الإبادة رغم كل الجهود المبذولة. وقد وافقهما المؤرخ الصهيوني النزعة وولتر لاكير علىٰ رأيهما هذا عام 1981،واستنتج بأن أمر الإبادة لم يصدر علىٰ الإطلاق.

كان النازيون يتحركون في إطار الحل الإمبريالي للمسألة اليهودية وهو تصديرها للخارج. وقد بيّن هتلر أنه يميِّز بين معاداة اليهود العاطفية ومعاداة اليهود المنهجية،

فالأولىٰ تنتهي بالمجازر، أما الثانية فتنتهي بتهجير اليهود. وقد حدد هتلر مشروعه بالنسبة لليهود باعتباره عملية تهجير. وفي رده علىٰ سؤال وُجه إليه في اجتماع عام بشأن حقوق اليهود الإنسانية، قال: **ليبحث اليهودي عن حقوقه الإنسانية في دولته فلسطين** وذلك يعني ضمناً أن هتلر كان يخطط لتهجيرهم إلىٰ فلسطين ولا يريد إبادتهم .

وفي 10 آب 1941 دافع هتلر عن الحل الشامل للمسألة اليهودية باعتباره أمر بنقل 600 ألف منهم من أراضي الرايخ. وكانت مجلة الإس. إس. قد استخدمت العبارة نفسها بهذا المعنىٰ في عددها الصادر في 24 تشرين الثاني 1938 حين تحدثت عن الحل الشامل باعتباره الفصل والعزل الكلي لليهود ولم تذكر آنذاك أي شيء عن وجود إبادة. وطبّق النازيون هذه الرؤية الإمبريالية (الصهيونية) علىٰ اليهود، ولذا بدأ الحل النهائي بتهجير اليهود من أصل بولندي إلىٰ بولندا، ولكن الحدود أُوصدت دونهم بناءً علىٰ مطلب الصهاينة أنفسهم. ثم طرح النازيون مشاريع عديدة تتوافق مع الرغبات الصهيونية وتهدف إلىٰ توطين اليهود وتأسيس وطن قومي لهم في أي مكان خارج أوربا وطرحت أكوادور و سورية و مدغشقر ولمّا كانت تلك مطالب الصهاينة فقد تعاون النازيون معهم انطلاقاً من قبول هذا الحل الصهيوني النازي للمسألة اليهودية فتم توقيع معاهدة «الهعفراة» للمساعدة في تهجير اليهود إلىٰ فلسطين. وحقق النازيون بعض النجاح في هذا المضمار إذ بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من ألمانيا وحدها حوالي 150 ألف (بين 1933 ـ 1938) وهي نسبة مئوية عالية. وظل النازيون يدافعون عن فكرة تهجير اليهود، وفي السنين الأخيرة للحرب وبعد وقوع مساحات شاسعة من الأرض السوفييتية البولندية في أيدي النازيين، بدأت فكرة توطين اليهود فيها تراود النازيين وانطلق شعار ترحيل اليهود إلىٰ الشرق. وقد جاء في مذكرة رسمية بتاريخ 10 فبراير 1942 صادرة من وزارة الخارجية الألمانية ما يلي:

إن الحرب ضد الاتحاد السوفييتي وفرت لنا أراضي جديدة لتنفيذ الحل النهائي. وقد قرر الفوهرر أنه بدلاً من إرسال اليهود إلىٰ مدغشقر فسيقوم بإرسالهم إلىٰ الشرق.

وكل هذا يعني في واقع الأمر أن الحل النهائي هو حل صهيوني إقليمي، يعني التخلص من اليهود عن طريق ترحيلهم من مكان لآخر، تماماً كما فعلت الحضارة الغربية مع اليهود حيث نقلتهم إلىٰ فلسطين، وكما فعل الصهاينة مع الفلسطينيين بطردهم منها ، والواقع أن الحل النهائي كان مطلباً صهيونياً ملحاً، وكان اليهود يرون فيه حلاً نهائياً لمشكلة وجودهم العسير في أوروبا. وهذه المطالب نفسها هي التي أكدتها الصهيونية نفسها بعد انتهاء الحرب، وبناء عليها تم دعم إقامة دولة الصهاينة المؤقتة في فلسطين. وإن كلمة إنهاء الألمانية Volkstod كانت ترد في نصوص نازية عديدة وكان يقصد بها التصفية النهائية ، ولم تكن تحوي معنىٰ التصفية الجسدية أو الإبادة. ففي 26 مارس 1941 في حفل افتتاح معهد فرانكفورت لدراسة المسألة اليهودية أورد أحد المتحدثين هذه الكلمة الألمانية Volkstod باعتبارها الحل الشامل للمسألة اليهودية وعُرِّف هذا الحل بأنه أن يترك اليهود أوربا.

عبارة استئصال المسيحيين في محاكمة نورينبيرغ

لوحظ أثناء محاكمات نورمبرج أن المدّعين الذين مثلّوا الحلفاء كانوا يحاولون قصارىٰ جهدهم أن يترجموا بعض الكلمات الألمانية لتحمل معنىٰ الإبادة . فكلمة Ausrottung علىٰ سبيل المثال، والتي تعني «استئصال شأفة» شيء ما بأية طريقة فعلية أو مجازية ترجموها إلىٰ «إبادة» بمعنىٰ «تصفية جسدية متعمدة»، مع أن النازيين استخدموا في إحدىٰ وثائقهم عبارة «استئصال المسيحية»، ولم يُفسِّر أحد هذه العبارة باعتبارها مخططاً نازياً لإبادة المسيحيين.

لقد كانت محاكمة نورنبيرغ صورية تماماً فقد ألبست التهم إلىٰ خمسة عشر قيادياً نازياً كان أهمهم رودولف هيسس وغيرينغ. وكان غالبية القضاة والمحققي والمترجمين وجلادي السجون من اليهود. وكان غارينغ وغيره يعرّض للتعذيب وللضغوطات النفسية الشديدة وكاد يموت ذات مرة فقال الطبيب النفسي المسؤول عنه ،وكان يهودياً، لضابط السجن: لقد وصلت دقات قلبه إلىٰ 300 ضربة في الدقيقة وعليّ أن

أحافظ علىٰ حياته. ولّما أحسّ غيرنغ بالمؤامرة اليهودية ذكر حادثتين عن اليهود ليستعطف جلاديه فقال أثناء التحقيق: لقد أصبت بطلقة رصاص في ساقي فيما مضىٰ وأسعفتني فتاتان يهوديتان، وعندما أصبحت في القيادة أخرجتهما من المعتقل، وقال في وصف الحادثة الثانية: قبل أن أصل اليكم كنت علىٰ موعد مع صديقة يهودية، كنا ذاهبين إلىٰ مكتب الماسونية لأنضم اليها.

وعندما أدرك عمق المؤامرة اليهودية قال كلمته الشهيرة:

المنتصرون دائماً يكونون القضاة، والخاسرون يكونون المتهمون.

التحالف الصهيوني مع الفاشية الايطالية

من أهم الأفكار الغربية التي تبنتها الصهيونية في فترة نشوئها وتطورها، إضافة للمرجعية اليهودية تلك الأفكار السياسية الخاصة بالقومية العضوية وبالدولة القومية باعتبارها المرجعية الرئيسة والركيزة الأساسية للنسق، وهي الأفكار التي تصبح تقديساً للدولة وانصياعاً لزعيمها في الأنساق الشمولية. وقد تبنت الصهيونية كل هذه الأفكار وتحركت في إطارها، فأنشأت علاقة مع النظام الفاشي في إيطاليا والنظام النازي في ألمانيا .

فقد أكّد موسوليني منذ بداية حكمه أن الفاشية لا علاقة لها بالعداء لليهود. وفي 30 أكتوبر 1930 أصدر قراراً بدمج كل التجمعات اليهودية في إيطاليا في اتحاد فاشي يمثل كل يهود إيطاليا بغير استثناء، وأصبح هذا الاتحاد إحدىٰ الوكالات الرسمية للحكومة الفاشية. حيث نصت المادة 35 من قانون تأسيس هذا الاتحاد علىٰ أن اليهود هم سفراء الفاشية للعالم، وعلىٰ ضرورة أن يشترك اتحاد التجمعات اليهودية في إيطاليا في النشاطات الدينية والاجتماعية ليهود العالم، وأن يحتفظ بعلاقاته الدينية والثقافية معهم .وفي يناير 1923 قام حاييم وايزمان بوصفه رئيس المنظمة الصهيونية بزيارة موسوليني، لمحاورته بشأن الصهيونية والدعم الفاشي الممكن تقديمه إلىٰ

الحركة. واكتشف الزعيم الصهيوني أن اعتراض موسوليني علىٰ الصهيونية مرده إلىٰ إحساسه بأن الصهيونية أداة لإضعاف الدول الإسلامية لصالح الإمبراطورية البريطانية. فرد وايزمان عليه رداً مقنعاً بيّن له فيه أن إضعاف الدول الإسلامية سيعود أيضاً علىٰ إيطاليا بالنفع، وأضاف أن شروط حكومة الانتداب ذاتها تفتح المجال أمام إيطاليا أو أية دولة أخرىٰ للمشاركة في تطوير هذا البلد (أي تصدير العمالة الفائضة والحصول علىٰ امتيازات تجارية، علىٰ حد قول وايزمان ، وأن في وسع إيطاليا أن تفعل ذلك إذ اعتمدت الميزانية اللازمة. وانتهىٰ الاجتماع بتفاهم كامل بين الطرفين، سمح موسوليني علىٰ أثره بتعيين يهودي إيطالي في الوكالة اليهودية .وحينما دُعي وايزمان مرة أخرىٰ إلىٰ إيطاليا في سبتمبر1926 ، عرض موسوليني أن يُقدم المساعدة للصهاينة كي يبنوا اقتصادهم، وقامت الصحافة الفاشية بنشر مقالات مؤيدة للصهاينة.

كما قام ناحوم سوكولوف، باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية في المنظمة الصهيونية، بزيارة إيطاليا عام 1927 وصرح بأنه أدرك **الطبيعة الحقة للفاشية، وأكد أن اليهود الحقيقيين لم يحاربوا قط ضدها**. ولا شك في أن كلماته هذه تحمل معنىٰ التأييد الكامل للنظام الفاشي، ومنذ ذلك التاريخ تطور التعاون الصهيوني الفاشي، وتنامىٰ نفوذ المنظمة الصهيونية في إيطاليا. ومن الزعماء الصهاينة الذين زاروا إيطاليا الفاشية، ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي الذي استمع إلىٰ الزعيم الإيطالي وهو يُعرب عن حماسه للمشروع الصهيوني وعن استعداده الكامل لمساندته . وقد تعلم جابوتنسكي الكثير من الفاشية الغربية، وكان يُعبِّر عن إعجابه الشديد بها وبالتنظيمات الشبابية الفاشية التي حاولت المنظمات الشبابية التصحيحية التشبه بها في زيها الرسمي. وكال موسوليني المديح والتقريظ لجابوتنسكي حين قال مرة للحاخام ديفيد براتو الذي أصبح فيما بعد حاخام روما:

"كي تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا علىٰ دولة يهودية لها علم يهودي ولغة يهودية، والشخص الذي يفهم ذلك حقاً هو الفاشي جابوتنسكي ".

النازية من الصهيونية

لقد قامت النازية علىٰ أسس صهيونية خالصة ، وأثناء محاكمات نورنبيرغ أعلن العديد من النازيين بأنهم تعلموا العرقية من اليهود . ونبين في هذا البحث تلك العوامل المشتركة بين العقيدتين:

- **تقديس الدولة** : انطلق فكر تقديس الدولة عند اليهود من تقديسهم للشعب الذي يشكّل الدولة.

- **النزعة الداروينية النيتشوية**: لقد خرجت نظريات الداروينية والنيتشوية من العقيدة اليهودية، وكانت المبرر الفلسفي والفكري الحديث للعقائد التوراتية البعيدة عن الحداثة. وقد اعتمد عليها الصهاينة قبل أن تظهر النازية.

- **النظريات العرْقية** كانت مشتركة، ومن المعروف بأن العرقية مبدأ يهودي قديم ومازال مسيطراً علىٰ الفكر الصهيوني الحالي.

- **مبدأ القومية العضوية** والتأكيد علىٰ روابط الدم والتراب، وهو ما يؤدي إلىٰ استبعاد الآخر ونبذه هو مبدأ مشترك بين النازية والصهيونية وقد أطلقه المنظّرون الصهاينة قبل قيام النازية بعشرات السنين. فقد قامت النازية بشكل مفاجئ وكان عليها أن تكوّن مبادئها وتعلن مشروعها خلال وقت قصير.

- **الرابطة الأزلية**: يظهر التماثل البنيوي بين النازية والصهيونية في خطابها . فكلاهما يستخدم مصطلحات القومية العضوية مثل الشعب العضوي و الرابطة الأزلية بين الشعب وتراثه وأرضه و الشعب المختار كما استخدم الصهاينة مفهوم «الدم اليهودي» لتعريف الهوية اليهودية .

ويتحدث مارتن بوبر عن أن الرابطة بين اليهود وأرضهم هي رابطة الدم والتربة، ومن ثم يطالب بضرورة العودة إلىٰ فلسطين حيث توجد التربة التي يمكن للدم اليهودي أن يتفاعل معها ويبدع من خلالها، وهي مسألة أشار إليها كل من

الكاتبين الصهيونيين ميخا بيرديشفكي وشاؤول تشرنحوفسكي، حيث تحدثا عن الشعب العضوي اليهودي بالعبارات نفسها ونسبا إليه الخصائص نفسها. وأثناء محاكمات نورمبرج، كان الزعماء النازيون يؤكدون، الواحد تلو الآخر، أن الموقف النازي من اليهود تمت صياغته من خلال الأدبيات الصهيونية، خصوصاً كتابات بوبر عن الدم والتربة.

وقد أشار ألفريد روزنبرج، أهم المنظرين النازيين، إلىٰ أن **بوبر** علىٰ وجه الخصوص هو الذي أعلن أن اليهود يجب أن يعودوا إلىٰ أرض آسيا، فهناك فقط يمكنهم العثور علىٰ جذور الدم اليهودي الذي يسعون إليه ولعله – بهذا – كان يشير إلىٰ حديث بوبر عن اليهود باعتبارهم آسيويين حيث يقول:

لأنهم إذا كانوا قد طُردوا من فلسطين، ففلسطين لم تُطرد منهم. ومن الموضوعات الأساسية المشتركة فكرة النقاء العرْقي وكان المُنظر النازي **سترايخر** يؤكد أثناء محاكمته، أنه تعلم هذه الفكرة من النبي عزرا: لقد أكدت دائماً حقيقة أن اليهود يجب أن يكونوا النموذج الذي يجب أن تحذو كل الأجناس حذوه، فلقد خلقوا قانوناً عنصرياً لأنفسهم، قانون موسىٰ الذي يقول: «**إذا دخلت بلداً أجنبياً فلا تتزوج من نساء أجنبيات**».

وكانت الأدبيات الصهيونية الخاصة بنقاء اليهود العرْقي ثرية إلىٰ أقصىٰ حد في أوربا حتىٰ نهاية الثلاثينيات .ويستخدم النازيون والصهاينة علىٰ حد سواء الخطاب النيتشوي الدارويني نفسه المبني علىٰ تمجيد القوة وإسقاط القيمة الأخلاقية. إذ يستخدم الصهاينة ـ شأنهم في هذا شأن النازيين ـ مصطلحاً محايداً، فهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين وإنما عن «**تهجيرهم**» أو «**دمجهم في المجتمعات العربية**». وهم لا يتحدثون مطلقاً عن «**تفتيت العالم العربي**» وإنما عن «**المنطقة**»، ولا يتحدثون عن «الاستيلاء» علىٰ القدس وإنما عن «**توحيدها**» ولا عن الاستيلاء علىٰ فلسطين أو «**احتلالها**» وإنما عن «**استقلال**» إسرائيل أو عن «**عودة الشعب اليهودي**» إلىٰ أرض أجداده .

وكان للنازيين ما يشبه المنظمة النازية العالمية وكانت لها صلاحيات تشبه صلاحيات المنظمة الصهيونية العالمية، وكانت لها مكانة في ألمانيا تشبه من بعض الوجوه مكانة المنظمة الصهيونية في إسرائيل. وقد تعاون الألمان، في كل أنحاء العالم مع السفراء والقناصل الألمان، تماماً كما يتعاون اليهود والصهاينة مع سفراء وقناصل إسرائيل في بلادهم.

ولابد من ذكر الأصول الألمانية للزعماء الصهاينة الذين صاغوا الأطروحات الصهيونية الأساسية. تيودور هرتزل وماكس نوردو وألفريد نوسيج وأوتو وربورج كانوا إما من ألمانيا أو النمسا يكتبون بالألمانية ويتحدثون بها، كما كانوا ملمين بالتقاليد الحضارية الألمانية ويكنون لها الإعجاب ولا يكنون احتراماً كبيراً للحضارات السلافية. وقد غيَّر هرتزل اسمه من «بنيامين» إلىٰ «تيودور» حتىٰ يُؤَلمِن اسمه، وسمَّىٰ ماكس نوردو نفسه بهذا الاسم لإعجابه الشديد بالنورديين.

ومن جهة أخرىٰ، كانت لغة المؤتمرات الصهيونية الأولىٰ هي الألمانية، كما توجه الزعماء الصهاينة أول ما توجهوا لقيصر ألمانيا لكي يتبنىٰ المشروع الصهيوني.

وقد أكّد جولدمان أن هرتزل قد وصل إلىٰ فكرته القومية (العضوية) من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانيين. وكان كثير من المستوطنين الصهاينة يكنّون الإعجاب للنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها ولمُثُلها ولنجاحها في إنقاذ ألمانيا. بل عدّوا النازية حركة تحرر وطني. وقد سجل حاييم كابلان، وهو صهيوني كان موجوداً في جيتو وارسو حينما كان تحت حكم النازي ، أنه لا يوجد أي تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية، فكلتاهما تهدف إلىٰ الهجرة، وكلتاهما ترىٰ أن اليهود لا مكان لهم في الحضارات الأجنبية.

وقد ظهرت في ألمانيا، في الثلاثينيات، جماعة من المفكرين الدينيين اللوثريين الذين أدركوا العناصر الفكرية المشتركة بين النازية الصهيونية وأبعادها العدمية. ومن هؤلاء هاينريش فريك الذي حذّر اليهود من فكرة الشعب العضوي التي يدافع عنها

النازيون والصهاينة، وفي عام 1926، حدد فيلي ستارك ما تصوره موقف المسيحية من مسألة الشعب العضوي. فأشار إلىٰ نقط التشابه بين الصهيونية والنازية، فكلتاهما تدور حول قيمة مطلقة تحيطها القداسة الدينية، الدم والتربة، وقال: **هي قيمة تضرب بجذورها في المشاعر الأسطورية الكونية، وفي ممالك الأرض.**

النيتشوية والصهيونية

يظهر التأثر الكبير للنازية بالنيتشوية. وكان الخطاب الإمبريالي، منذ لحظة ظهوره في القرن السابع عشر، خطاباً نيتشوياً.

وكان يرفض مبدأ معاداة اليهود، بل إنه اعتبر معاداة اليهود مجرد شكل آخر من أشكال ثورة العبيد الحديثة ضد السادة. كما كان نيتشه معجباً بالعهد القديم وما يصوره أسلوبه غير الأخلاقي ووصاياه التي لا تتضمن أي تهاون أو مساومة. وفي كثير من كتاباته، نجده يكيل المديح لليهود أكثر من الألمان، فيقول: **اليهود عنصر قوي يتمتع بالصحة، وتدل صلابتهم وإبداعهم علىٰ مقدرتهم علىٰ القيام بعملية إعادة تقييم القيم.** ويُبيِّن أحاد هعام وهو أهم منظّر يهودي للنيتشوية أن المقولة الأساسية النيتشوية، الخاصة بتفوق النموذج الإنساني الأعلىٰ علىٰ بقية البشر، هي نفسها مقولة يهودية. وإن وصف أحاد هعام للأمة المختارة هو ذاته وصف نيتشه للإنسان الأعلىٰ. ويميِّز أحاد هعام بين ما يسميه وحش نيتشه القوي المُدافع عن الجسد وبين الإنسان الأعلىٰ اليهودي الذي يُدافع عن القيم اليهودية، ونلاحظ أن أحاد هعام لا يعترض علىٰ بنية النيتشوية التي تستند إلىٰ التفاوت بين الناس وإنما علىٰ مضمونها وحسب. وحديثه عن الأخلاق اليهودية لا يُغيِّر من البنية في شيء، فالنيتشوية اليهودية مبنية علىٰ فكرة تفوق اليهود وتعاليهم علىٰ البشر، وهو الأمر الذي يميزهم بحقوق مطلقة، من بينها - علىٰ سبيل المثال - حقهم في أن يعودوا إلىٰ الأرض المقدَّسة متىٰ شاءوا ذلك، وأن يؤسسوا فيها مركزاً روحياً إن أرادوا، وأن يستوطنوها ويعمروها أو يخربوها حسبما تملي مشيئتهم، باعتبارهم الأمة العظيمة أو الأمة الأعلىٰ. وقد تأثر كثير

من المفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية (خصوصاً الصهاينة منهم) بالفكر النيتشوي. ومن بين هؤلاء مؤسسو الحركة الصهيونية: تيودور هرتزل والفريد نوسيج وماكس نوردو، وكلهم ذوو ثقافة ألمانية، كما تأثر بها مفكرون صهاينة آخرون، مثل: ميخا بيرديشفكي وحاييم برنر وشاؤول تشرنحوفسكي .

ولا يمكن فهم كتابات أهم الفلاسفة الدينيين اليهود المحدثين مثل مارتن بوبر إلَّا من خلال نيتشه (وكذا كتابات ليو شستوف). وتسري القاعدة نفسها علىٰ مفكري مدرسة لاهوت موت الإله. كما أن البُعد النيتشوي في الفكر الصهيوني بُعد أساسي. فالجميع هم أبناء عصرهم العلماني الإمبريالي الأداتي الشامل. ولكل هذا، فليس من قبيل الصدفة أن يكون التشابه بين الصهيونية والنيتشوية مدهشاً حقاً، ويمكننا أن نوجز ذلك في النقاط التالية:

- النيتشوية، والصهيونية، ديانة ملحدة أو حلولية.

- النيتشوية، والصهيونية، تعبير عن تقديس الذات حينما يحل المطلق في الإنسان ويصبح كامناً فيه.

- الحياة بالنسبة للنيتشوية توسع ونمو واستيلاء علىٰ الآخر وهزيمة له، ومعاداة للفكر واحتقار له، وهذا مانراه في أعمال الصهاينة.

- وداخل هذه المنظومة ينقسم العالم وبحدة إلىٰ السوبرمان والسبرمان، يتحدث نيتشه في كتاباته (دائماً) عن الماضي والمستقبل، ولا يركز علىٰ الحاضر أبداً . والصهاينة لا يتحدثون عادةً إلَّا عن الماضي العبري والمستقبل الصهيوني.

المجالس اليهودية

وهي مجالس كان يقيمها النازيون بين الجماعات اليهودية التي تقع تحت سلطتهم. وكان النازيون يحاولون، قدر المستطاع، أن يضمّوا إلىٰ هذه المجالس العناصر الصهيونية أو اليهودية القومية باعتبارها عناصر حديثة تشاركهم الرؤية في أن

أوربا ليست وطن اليهود، وأنه يجب إخلاؤها منهم، وأن كفاح اليهود باعتبارهم شعباً عضوياً يجب أن ينصرف إلىٰ الهجرة لا إلىٰ المقاومة والثورة. وقد نجحت هذه المجالس في إدارة أمور الجماعات وكان كثير من الصهاينة أعضاء في هذه المجالس، بل يُقال: إن النازيين كانوا يفضّلون الصهاينة علىٰ غيرهم من اليهود بسبب اتفاق الفريقين في المنطلقات الفكرية بينهما .

وتُثير المجالس اليهودية تساؤلات كثيرة عن لبّ التعاون بين الصهاينة والنازيين. فقد كان هذا التعاون علاقة تعني قدراً من المشاركة، وأنها اتفاق إرادي حر بين فريقين. إذ أن ذلك التعاون ينفي تماماً أي وجود للإبادة، إذ لم يكن لها مكان في تلك المنظومة وبالتالي تسقط كافة المزاعم الصهيونية أو أن يقول لنا الصهاينة بأنهم كانوا يشاركون في الإبادة وهذا مستحيل.

فقد كان اليهود ينقلون بالقطارات إلىٰ معسكرات الاعتقال النازي وكان بإمكان الآلاف منهم أن يتمردوا علىٰ أوامر النقل وأوامر السخرة ويشكلون أزمة داخلية كبيرة في ألمانيا التي تحارب علىٰ كافة الجبهات، وإن عدم وجود أية مقاومة يهودية علىٰ الإطلاق يعني عدم وجود إبادة.

مستوطنة تريزين

تريزين مدينة في تشيكوسلوفاكيا السابقة حوَّلها النازيون إلىٰ مستوطنة يهودية نموذجية بين عامي 1941 و1945. رُحِّل إليها حوالي 150 ألف يهودي من يهود وسط أوربا وغربها من المتميِّزين أو المسنين أو اليهود من أبناء الزيجات المختلطة. وقد أيد زعماء الجماعة اليهودية في تشيكوسلوفاكيا الخطة، باعتبار أن هذا يعني بقاء يهود تشيكوسلوفاكيا في وطنهم. وباعتبارها مثالاً علىٰ **«حياة اليهود الجديدة تحت حماية الرايخ الثالث»** وإن نظام هذه المستوطنة بل ووجودها كله يدّل علىٰ التعاون الوثيق بين النازية والصهيونية وينفي وجود أية إبادة أو مشروع إبادي.وتعترف المصادر اليهودية

بكافة الميزات التي كانت تمنح لليهود، وتذكر الموسوعة اليهودية هذه المستوطنة وغيرها وتعتبرها دليلاً علىٰ التعاون الوثيق مع النازية.

فقد أدار المستوطنة مجلس من الكبراء يضم القادة اليهود ويترأسه أحد كبراء اليهود، وكانت تعيّنه السلطات الألمانية. وتمتعت المستوطنة بحريات كثيرة، حيث كان لها نظامها التعليمي ونظامها البريدي المستقل ومكتباتها وهويتها الثقافية. ومن ثم، كان من مسؤوليات مجلس الكبراء الحفاظ علىٰ النظام في المستوطنة وتوزيع العمل فيها وتوطين المستوطنين الجدد والعناية بالصحة وبالمسنين والأطفال والإشراف علىٰ النشاط الثقافي. كما كان يتبع المستوطنة نظام قضائي مستقل، وقد سمحت السلطات النازية لسلطات الصليب الأحمر بزيارة المستوطنة وبالاجتماع بمجلس الكبراء.

ولا تختلف علاقة المستوطنة بالسلطات النازية عن علاقة الحكومة الأفغانية بالأمريكيين المحتلين بالقوة الإمبريالية، والحريات التي كان يتمتع بها سكان المستوطنة لا تزيد كثيراً عن تلك التي تعرضها الحكومة الصهيونية علىٰ سكان الضفة الغربية باسم الحكم الذاتي، وهذا دليل علىٰ أن التجربة النازية ليست إلَّا جزءاً لا يتجزأ من الخبرة السياسية الصهيونية.

جيتو وارسو

من أهم الجيتوات جيتو وارسو الذي بلغ عدد القاطنين فيه عام 1941 حوالي نصف مليون يهودي يعيشون في رقعة صغيرة يحيطها جدار يشبه تماماً الجدار الذي بدأ أريل شارون ببنائه ليفصل الفلسطينيين عن الصهاينة. وكان للمدينة اثنان وعشرون مدخلاً يقف علىٰ كلٍّ منها ثلاثة جنود، أحدهم ألماني والثاني بولندي مسيحي والثالث بولندي يهودي. وهنا يتوجب علينا أن نذكر بأن مداخل ومعابر السلطة الفلسطينية يقوم بحراستها جنود مشتركون فلسطينيون وصهاينة. وكان التعريف الذي تبناه الألمان للهوية اليهودية هو تعريف قوانين نورنبيرغ وهو أن اليهودي يهودي

بالمولد وليس بالعقيدة (وهو التعريف الذي تبنته فيها بعد دولة إسرائيل والذي يستند إليه قانون العودة الصهيوني أيضاً). ويجب النظر إلى تجربة (الجيتو) هذه في ضوء المخطط النازي ذي الطابع الصهيوني الواضح الذي ينطلق من تصور استقلال اليهود كشعب عضوي منبوذ له شخصيته القومية المستقلة. ولذا كان (للجيتو) مؤسساته المستقلة الخاصة به (عملة خاصة ـ وسائل نقل خاصة ـ خدمة بريدية ـ مؤسسات الرفاه الاجتماعي). كما سُمح (لجيتو) وارسو بأن يكون له نظامه التعليمي، وبأن يفتح المكتبات لبيع الكتب واستعارتها، وبأن يصدر جريدته اليومية بل كان له ميليشيا ومحاكم خاصة به، أي أن (الجيتو) كان بمثابة دولة صغيرة منعزلة ثقافياً واقتصادياً عما حولها، وكان يدير الدويلة (الجيتو) سلطة يهودية أو مجلس كبراء، تُعيِّن السلطات النازية أعضاءه. ولكن استقلالية الدويلة (الجيتو) لم تكن كاملة، إذ كان الجيتو يقوم باستيراد كل المواد الخام والطعام والملابس التي يحتاجها من سلطة الاحتلال النازية على أن يسدد ثمن الواردات بالمنتجات الصناعية (الملابس والمصنوعات الجلدية) التي كان ينتجها (الجيتو). كما كان على المجلس أن يقدم عدداً من العمال يومياً يبيعون عملهم لتسديد واردات (الجيتو). وكانت علاقة الدولة النازية بدويلة (جيتو) وارسو علاقة كولونيالية لا تختلف كثيراً عن علاقة إنجلترا بمستعمراتها أو علاقة الدولة الصهيونية بالسلطة الفلسطينية.

مؤتمر المحرقة في طهران

في مؤتمر المحرقة الذي عقد في طهران بنهاية العام 2006 افتتح المؤتمر الرئيس الإيراني بكلمة مدوية، وعاب على الباحثين العرب النأي بأنفسهم عن نكران المحرقة.

ولوحظ في المؤتمر بأن أغلب الباحثين والمفكرين العرب كانوا يقرون بحدوث الإبادة ويستنكرون العدوان الصهيوني، ويعتقدون أن الصراع العربي الإسرائيلي هو السبب الذي يدفع البعض لنكران المحرقة. وكانوا ينأون بأنفسهم عن المراجعة التاريخية وعن دراسة الأبحاث المتعلقة بالمحرقة.

وقال فخري صالح بيلد : إن الحالة في فلسطين اليوم لها تـأثير قـوي عـلىٰ نظـرة الناس إلىٰ المحرقة في العالم العربي .

وقال مهدي عاكف مندوب للإخوان المسلمين بمصر: إنـه لابـد لنـا مـن طـرح السؤال حول المحرقة والتساؤل إذا قتـل النـازيون سـتة ملايـين يهـودي. وفي زيارتـه الأخيرة لطهران عبّر خالد مشعل رئيس المكتب الـسياسي لحركـة حمـاس عـن شـكره وامتنانه لطهران وللرئيس الإيراني في عقد مؤتمر المحرقة ذلك حيث إنه أعلن تـضامنه مع أحمدي نجاد.

فيما أعلن اثنان من القادة الإسـلاميين في العـالم العـربي عـن ضرورة البحـث في تاريخ المحرقة قبل الإعلان عن نكرانها. وأكّد هؤلاء بأن الـصراع العـربي الإسرائـيلي والهزائم الحربية مع إسرائيل هي التي دعت البعض لنكران المحرقة. وأن هـذه لـيست سوىٰ حالة معقدة يتم فيها خلط السياسة والتاريخ والهدف منها نكران هزيمة الـذات مع رفض الظلم الذي تحقق علىٰ أيدي العدو الصهيوني.

وأكّد إبراهيم الويش أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأردنية نكرانـه للمحرقـة وهو يعتمد في إنكار المحرقة عـلىٰ أعـمال المراجعـة في التـاريخ. دون محاولـة البحـث في الحقائق وأنه بعيد عن أعمال «المؤرخون» في أوروبا وأمريكا. كما واعتمـد في بحثـه عـلىٰ الأرقام إذ قارن بين أرقام ضحايا الحرب من الأوروبيين وبين أرقـام الـضحايا اليهـود. ووزّع علىٰ الحضور كتيّباً صغيراً بعنوان أكذوبة إبادة ستة ملايين يهـودي. وكانـت كافـة الأبحاث التي قدمها العـرب تعتمـد عـلىٰ أبحـاث الأوروبيـين والأمـريكيين ولم يـأتوا بجديد.وهؤلاء الحضور العرب هم إدوارد سعيد ومحمود درويش والسوري أدونـيس، واللبناني إلياس خوري والفلسطيني إلياس صنبر ، والمغربي محمـد بـارادا. إذ عملـوا في المادة التراكمية الأوروبية التي اشتغل فيها الأوروبيون طوال عدة عقود. وأيّـد الـدكتور عبد الوهاب المسيري حدوث الإبادة وهو أستاذ الأدب الإنكليزي من مصر الذي كـان يعمل لسنوات في الأمم المتحدة، وهو الذي كرّس حياته لدراسة التاريخ والأدب ، لكنه

اتهم الصهاينة باحتكار دور الضحية ، ولابد لنا من أن نشكره علىٰ ذلك. وقال بأن هتلر أباد الغجر إضافة إلىٰ اليهود. والمهم بالنسبة له هو أن هذا القتل البشع والإبادة النازية لليهود لا يمكن إنكارها علىٰ خلفية الكفاح ضد العدوان الإسرائيلي في فلسطين. وفي ختام بحثه دعا إلىٰ إحلال السلام مع اليهود. وإنهاء احتلال الضفة الغربية وإقامة دولة فلسطينية. وتمخّض المؤتمر عن إقامة المؤسسة الدولية الدائمة لدراسة الهولوكوست والتي تتوزع فروعها في دول عالمية عديدة ومنها سورية واليها ينتمي مؤلف هذا الكتاب، وأمل المؤتمرون بأن ينقل مركزها ليصبح دائماً في ألمانيا حين تسمح الظروف بذلك. وتحدث الأوسترالي فريدريك توين عن صدور أمر باعتقاله حين عودته إلىٰ بلده، وقال: «**سأعود لأواجههم بالحقيقة وأتحداهم هناك**».

صحفي سوري يعترف بالإبادة :

حضر الدكتور غازي حسين من سورية مؤتمر طهران المخصص لدراسة المحرقة وبعد عودته أدرج مقالاً صحفياً بعنوان المتاجرة بالهولوكوست صناعة صهيونية ، (52) وقال: «.تحدّت طهران الانتقادات الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية وعقدت المؤتمر العلمي لدراسة الهولوكوست... وجسّد عقد هذا المؤتمر اتجاهاً قوياً في الفكر الغربي والإسلامي والعالمي ينادي بالتخلص من الاستمرار باستغلال معزوفة الهولوكوست».

ثم يعترف بحصول الإبادة ويقول: «ومن المعروف تاريخياً أن الإبادة النازية والتي تعدّ من أكبر الجرائم ضدّ الإنسانية، والتي أطلقت عليها الصهيونية [المحرقة] أي الهولوكوست ..» ويقول أيضاً: «وقعت الإبادة النازية التي نستنكرها ونعتبرها جريمة ضد البشرية جمعاء في أوروبا وارتكبها أوروبيون ضد أوروبيين معادين للنازية من ألمان وأوروبيين يهود وغير صهاينة (يؤمنون بالاندماج) وغجر وقتل فيها 54 مليوناً من الشعوب الأوروبية» «إن الصهيونية لم تكن مهتمة بإنقاذ جميع اليهود من معسكرات الاعتقال، وإنما كانت مهتمة فقط بإنقاذ الصهاينة شبان وشابات...».

الأساطير الصهيونية الجديدة

لم تتوقف الصهيونية عن نشر أساطيرها في العالم الحديث يوماً من الأيام. بل استمرّت تحارب كافة القيم والظواهر الدينية المرتبطة بالسياسة المهددة لها بطريقة متكررة وهي ابتداع الأسطورة الجديدة. وتتوضح العلاقة بين السياسة والأساطير في الحروب والمشاريع التي تقوم بها الصهيونية والولايات المتحدة.فبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وظهور الخميني كعدو للولايات المتحدة وإسرائيل، ظهرت رواية البريطاني سلمان رشدي، والتي تحمل سمة الأسطورة الصهيونية المعادية للإسلام كله ولرسوله الكريم ولرسالته وللإمام الخميني نفسه، الذي جعله الكاتب أحد الشخصيات في روايته. وإن غزو العراق وأفغانستان جاء علىٰ اتهامات ذات طابع أسطوري، فقد اتهم العراق بسعيه لتدمير إسرائيل وأوروبا بالسلاح الفتاك المتنوع، وتم تكبير قدرات العراق وتهويلها بشكل أسطوري واضح.

فالغزو الأمريكي الذي قام في الأصل علي سلسلة من الأساطير، هو نموذج فريد في الاستعمار الجديد حيث تتلازم السياسة مع الأسطورة، ويصبح كل شيء خاضعاً لمنطق شاذ لا سبيل إلىٰ تفكيك مقولاته. ومع الغزو الأمريكي للعراق واتساع نفوذ الصهيونية والاستخبارات الأمريكية التي تسعىٰ لتخريب العقل الإسلامي، لوحظ انتشار مفاهيم جديدة وإعلام قوي يغذيها، وكلها تتمحور حول الأسطورة المبتدعة. فالفضائيات الخاصة التي تحمل ظاهرياً هوية المذهب السني والصوفي انشغلت بنشر مقولات وعقائد الطب الشعبي والعلاج بالأشعار والتسابيح والأدعية والمقولات، وهي تقوم ببرنامج يقضي لإبعاد المسلم عن أفكار دينه العظيم وانشغاله بأساطير لا تمتّ للإسلام بأية صلة.

واستطاعت الصهيونية أيضاً أن تغزو الفكر الشيعي ، وبحجّة تعظيم شعائرهم الدينية وزياراتهم للحسينيات قامت بجعل تلك الشعائر هدفاً ومنحتها صفة الإسلام الكامل، في وقت هي في حقيقتها ليست من مظاهر الإسلام كله، فتخصصت فضائيات

مدعومة أمريكياً وصهيونياً ببث ساعات طويلة في كل يوم من مشاهد اللطم والأناشيد الحزينة . وبذلك يتمّ التركيز علىٰ هذا الجانب الظاهري وجعله موضوع الإسلام كله. ومما لاشكّ فيه أنّ الشيعة لا يقبلون بذلك الإعلام، فليست كل قضيتهم الإسلامية تنحصر في تلك الطقوس والمناحات، بل إنّ هذه المناحات تأخذ من أوقاتهم عدة ساعات في السنة كلها.ونلاحظ أن الإعلام الإيراني وما يتبع له لا يختصّ بتلك المناحات ولا يوليها أهمية تذكر. مما يدل علىٰ أن هذه الظاهرة الإعلامية الأسطورية ليست من الشيعة وإنما هي إعلام صهيوني موجه ضد الإسلام والمسلمين.

ولم تقف الصهيونية عند هذا الحدّ بل تعمدت نشر الفكر الأسطوري بشكل واسع في المسيحية واليهودية الغربية. لتستفيد منها في سياستها العدوانية ضد العرب والمسلمين.

إنهم في تلك الأوساط يريدون ربط الشرق والإسلام بالعقل الأسطوري الخرافي، ويمارسون ضغوطاً علىٰ المسلمين لجعلهم أسطوريين بعيدين عن العلمانية الحديثة، وعن العقل الصناعي والفكري المتقدم. ويصيغون برامج كبيرة وقع بعض المسلمين في مستنقعاتها بالفعل. وهنا تبرز ضرورة تصدي المسلمين جميعاً للأسطورة الصهيونية بكل صورها. وفتح جبهات جديدة لمقاومتها. ولن يتم ذلك بالطبع إلّا من خلال وعي كبير بتلك الأساطير وبتسخير وسائل فكرية ومادية وإعلامية لأجل محاربتها.فالأسطورة الصهيونية تسري اليوم في أذهان قسم من المسلمين دون الوعي بمصدرها. وما الاقتتال السني الشيعي في العراق إلّا أحد صورها.

وفي الأشهر الأخيرة عرضت في مسارح الغرب مسرحية بعنوان (ماركس في سوهو). لمؤلفها «هوارد زين» وهي تكشف سرّ استخدام الأمريكيين للأسطورة الصهيونية،في حربهم ضد العراق والبلاد الإسلامية.

تخيّل المؤلف عودة ماركس إلي الحياة، ثم تصوّره وهو يتجوّل في نيويورك ويشاهد بنفسه كل ما فعلته الرأسمالية التي بنىٰ فلسفته علىٰ أساس نقدها وتشريحها.

ومن بين أكثر المشاهد إثارة وتشويقاً في المسرحية تلك التي نرىٰ فيها الفيلسوف الثوري يتبختر في شوارع نيويورك، المدينة الأكثر أبّهة وثراء في التاريخ البشري؛ بينما الجدل يحتدم في مقاهيها وأزقتها وخمّاراتها، كما احتدم في كل شوارع العالم ومنتدياته حول مصير أفكاره وتأملاته الفلسفية.

ويقول ماركس في ختام تجواله وبعبارات ساخرة مخاطباً الفقراء والمعدمين: (إن منْ وعدوكم بانتظار عودة المسيح إنما كانوا يواصلون خداعكم .أيها السادة. لقد عدت للتو ـ من العالم الآخر ـ واكتشفت بنفسي أن المسيح غير مستعد للعودة إلىٰ الأرض). ماركس الذي خرج من جلباب الفيلسوف، وتنكر في هيئة فارس محارب من أجل قتال المشعوذين بسلاح التهكم لا بسلاح الفلسفة؛ هو أيضا ماركس الحقيقي نفسه. لقد خرج من جديد إلىٰ ساحة حرب أخرىٰ، ليقاتل أو يحرّض الثوريين علىٰ مواجهة الدور الذي تلعبه الصهيونية داخل حقل السياسة في قلب عاصمة الرأسمال العالمي، لا من أجل دحر أساطيرها ؛ بل ومن أجل حرمان رجال الدين المسيحيين جزئياً، من إمكانية استخدام الأساطير كأداة للتلاعب بالجموع البشرية

ومع ذلك كان هناك ماركس آخر شيعي يتجول في بغداد، وكانت أطيافه تحوم في شارع المتنبي في اللحظة ذاتها التي سقطت فيها العاصمة التاريخية في قبضة الأمريكيين؛ ولكنه بخلاف ماركس حي سوهو في قلب لندن، وبخلاف ماركس نيويورك، ماركس مزيف لا يزعق محذراً الجياع والكادحين والفقراء من خداع وغش بعض رجال الدين كما في المسرحية؛ بل يشارك هؤلاء إيمانهم بعقيدة انتظار المخلص.. لقد تراءت أطياف ماركس المزيف هذا، في اللحظة التي وضع فيها شيوعيون عراقيون عادوا من المنفىٰ مع قوات الغزو لافتة عملاقة وسط شارع المتنبي ببغداد يخاطبون فيها بصورة مباشرة لا لبس فيها، المهدي المنتظر شخصياً، وتتضمن عبارات عزاء باستشهاد الحسين بن علي. ونلاحظ تركيز النص المسرحي علىٰ إصرار ماركس علىٰ إبقاء الأساطير في بغداد ومحاربتها في نيويورك ولندن.

لماذا تـتراءىٰ الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في نظـر مؤلـف مـسرحي معـاصر، لا وصفها أكبر قوة منتجة للتقـدم في التـاريخ؛وإنها كـذلك كـأكبر خـزّان للأسـاطير الحديثة؟ لا ريب أن المؤلف كان يلاحـظ، كيـف أن أعظـم قـوة في العـالم، هـي التـي أصبحت أكبر منتج ومصدّر للأساطير. وأشبه ما تكون بخزّان هائل تعتمل في أعماقـه طاقة مذهلة وغير مسبوقة علىٰ إعادة إنتاج الميثولوجيا القديمـة، وبحيـث يـصبح مـن واجب ماركس المُتخيّل ـ كفيلسوف يعود من الآخرة بعد أن التقىٰ المسيح وأخبره أنه لن يعود ـ أن يطلق نبوءته بقوة، ويزعق في شوارع نيويـورك قـائلاً ومـن دون تحفـظ: لا تنتظروا المسيح المخلص ولا المهدي المنتظر فإنه لن يعود! بالطبع لم يُقـيض لمـاركس الحقيقي أن يرىٰ بأم عينه التقدم الهائل لوسائل الإعلام، ولا رؤيـة أشـكال الاتـصال الجماهيري المتطورة في الولايات المتحدة الأمريكيـة والعـالم، ولا معرفـة قـدرتها عـلىٰ تشكيل وعي مجتمعات بأكملها لهويتها؛ وربما تشكيل وتوحيـد رأي جماعـات وأفـراد متفاوتين أو متناقضين في الثقافة والمصالح، حول كـل وأي حـدث مهـما كـان تافهـاً؛ وبالتالي تعاظم قدرات العاملين في ماكينة الإعلام علىٰ فـرض الـسيطرة المطلقـة عـلىٰ شعوب ومجتمعات خارج العالم الرأسمالي، من خلال صـنع أسـاطير سياسـية حديثـة ومعاصرة، أو من خلال إعـادة إنتـاج ميثولوجيـا قديمـة تخطـىٰ التطـور الاجتماعـي والعلمي في الغرب سقوفها التقليدية، ولم تعد حيّة أو قـادرة عـلىٰ التـأثير فيـه بالقـدر نفسه كما كان الحال في الماضي البعيد. ومع ذلك؛ فإن ماركس المُتخيّل هذا، يستطيع أن يرىٰ بنفسه وهو يتجول في نيويورك، كيف أن الرأسمالية التـي تركهـا في المهـد، ومـن حيث لم يتوقع أو يتكهن بقدراتها؛ قد أضحت الآن قوة هائلة منتجة للأساطير.

إن أساطير معركة (هر ـ مجدو) التي تنتشر اليوم في الولايات المتحـدة وأوروبـا، مع صدور عشرات الكتب والبحوث والدراسات والقصص، مثيرة ومشوقة بالفعـل لأنها تعد المجتمعات الغربية المعاصرة، بأن ساعة الخلاص الجماعي قد حانـت وذلـك عندما تنتصر إسرائيل علىٰ الأعداء، الذين سوف يتجمعون عند سفح جبل مجدو.

ما يجمع نيويورك ببغداد، ومن دون وجود رابط منطقي في الجغرافيا أو الثقافة التي من ضمنها الدين، هو أن هاتين المدينتين كانتا علىٰ امتداد سنوات في حالة تجابه عنيف ودموي جسدته حرب كبرىٰ؛ امتزجت في تدميره وفي استخدام الذخائر القذرة المحرّمة والأساطير الصهيونية الخبيثة التي تنتجها وسائل الإعلام، وتمتزج فيها قدرة السارد علي الخداع مع قدرة النصوص نفسها علىٰ إغراء المتلقي وخداعه.

بهذا المعنىٰ ستبدو الحرب علىٰ العراق، من هذا المنظور، وكأنها حرب مزودة بتقنيات سردية تتضمن كل ما يلزم من التلاعب بالمتلقي وتشكيل وعيه للعالم والأحداث.

هذا صحيح، فقد استخدمت الصهيونية تقنيات السرد ذاتها في أساطير المحرقة، ونعتقد أنها ستبقىٰ تستخدمها في مشاريعها الكبيرة حتىٰ تنكشف للبشرية كلها مقاصدها. ومن هنا يظهر أهمية دورنا جميعاً في الكشف عنها.

لقد كان غزو العراق، بحق، نموذجاً ساطعاً علىٰ قوة استخدام الأساطير الجديدة. ولكن المدينتين، نيويورك وبغداد، كانتا في الآن ذاته في قلب لحظة توافق وتماثل لا سابق له داخل حقل الأساطير، وذلك حين كشفت الأحداث والظروف كذلك، أنهما كانتا بانتظار المخلص نفسه الذي سوف يتجلىٰ في حالتين مفارقتين: المسيح المنتظر والمخلّص، والمهدي المنتظر. وبينما كانت نيويورك تنتظر مسيحها المخلص (كما يخبرنا هوراد زين) كانت بغداد تتأهب لاستقبال المهدي المنتظر. وإن اختيار شخصية ماركس اليهودي الأصل والمتحرر من اليهودية والمعادي للصهيونية. هذا الاختيار يلمّح للدور الصهيوني الذي اكتشفه ماركس في إدارة اللعبة الأساطيرية. والذي كان ماركس الحقيقي يعاديه ويعمل علىٰ إزالته، لكنه عاد في ظهوره بعد الموت ليجد الصهيونية تمرح في أضاليلها الأسطورية، وهذه الأساطير تبرهن، علىٰ أنها موظفة لأغراض لا حصر لها. فقد استخدمت الصهيونية أساطير الإبادة ونشرتها عالمياً حين كان مشروعها الكبير يتجلىٰ بقيام دولة إسرائيل علىٰ أساس اغتصاب فلسطين، أي أن حدثاً خطيراً ومشروعاً صهيونياً كبيراً رافق تلك الأساطير آنذاك،

فهل تحضّر الصهيونية إلىٰ مشروع خطير وتحضّر له بالأساطير الجديد؟.

إن الأساطير التي صاحبت وتلازمت مع الغزو الأمريكي، هي التي تكشف علىٰ أكمل وجه، مغزىٰ الترابط بين الميثولوجيا والسياسة في العالم الغربي المعاصر وتكشف بالوقت نفسه علىٰ قدرة الصهيونية علىٰ نشر هذه الأساطير في الغرب والتحكّم بعقولهم بواسطتها. ورغم ذلك كله فمازال الاعتقاد السائد في الغرب يقول: إن المسلمين هم الذين ينتجون الأساطير وإن تفكيرهم لا يقترب من العلمانية الحديثة بسبب ميوله للأسطورة الشرقية.

علىٰ هذا النحو يمكن لنا أن ننظر إلىٰ المعنىٰ الحقيقي لتخيّل الفيلسوف في تأملاته الحزينة، ساخطاً وغاضباً من سلوك مدينته الغربية. هذه التي ارتبطت في مخيلته بالأبهة والثراء الرأسمالي والعلمانية وقد أضحت، ورغم كل التقدم العلمي الهائل الذي أحرزته، نهباً لسطوة أسطورة عن عودة المسيح، بينما يمكن لنا في الآن ذاته، رؤية الرمزية الساطعة للافتة التي رفعت في شارع المتنبي حيث تصبح بغداد مثل نيويورك، تحت سطوة الأسطورة القديمة نفسها. الفارق الوحيد أن العراقيين بفضل ماركس الشيعي استبدلوا المسيح بالمهدي المنتظر. ويرمز المؤلف أيضاً إلىٰ ظهور مخلّص ثالث علىٰ الساحة العالمية وهو ماركس نفسه الذي إنما ظهر ليخلّص العالم من أضاليل الصهيونية لطالما حاول ذلك في حياته الحقيقية.

لم يكن ذلك الخروج الجماعي المهيب للعراقيين الشيعة، في مواكب العزاء والحزن الجماعي لحظة سقوط بغداد، خروجاً بدافع الاحتجاج أو الغضب علىٰ الاحتلال؛ بل بدافع إحياء ذكرىٰ المخلّص الذي عاشوا بأمل رؤية عودته إلىٰ الأرض. كانوا هم أيضاً في تلك اللحظات العصيبة، بانتظار يسوع آخر شبيه ومماثل بيسوع نيويورك أو سوهو، ولكن من دون أن يتسنىٰ لماركس الإصغاء لوقع خطاه علىٰ طريق الجُلجلة وهو يجوب الشوارع الخلفية. وإنّ ما حدث فعلاً في رأي المؤلف هو ظهور ماركس نفسه الذي بدا علىٰ المسرح بصورته وصوته.. لكن مسيح نيويورك ومهدي بغداد لم يظهرا علىٰ خشبة المسرح.

إن للرموز الأسطورية سلطة علىٰ الجماهير قد تتفوق أي سلطة أخرىٰ؛ وسواء أكان المجتمع متحضراً (علمانياً ومتقدماً) أم كان يحث الخطىٰ علىٰ طريق الانتقال من التخلف إلىٰ المدنية؛ فإن سطوة الرموز تظل قادرة علىٰ الاحتفاظ بقوتها وزخمها ومن دون أي تبدل تقريباً. إن تحليل نموذج العلاقة بين السياسة والأساطير كما تبيّن في التجربة العراقية؛ وهي من هذا المنظور أول تجربة لاختبار نتائج أكبر احتكاك عنيف بين الولايات المتحدة والشرق، واستخدم فيه الحد الأقصىٰ من القسوة، سوف يبيّن وبوضوح كيف أن الغرب العقلاني وبوعي تام لكل فعل قام ويقوم به، تولىٰ بنفسه تحطيم العقلانية والعلمانية، والحداثة التي نادىٰ بها، وأنه هو نفسه من سعىٰ إلىٰ تدمير أي شكل مهما كان بسيطاً لعلمانية محتملة في المجتمع الشرقي؛ بل وقام بتهشيم أسسها وقذف ببلد عُرف بمكانة الأفكار العلمانية المتميزة فيه؛ إلىٰ قلب العالم السحيق للأساطير بعد عقود من اعتناقه لعلمانية الغرب ذاته، وبعد سنوات شاقة من محاكاة قوانينه الناظمة وثقافته السياسية. وكان الغزو الأمريكي للعراق من هذا المنظور، أول وأضخم تجربة للغرب لاختبار النتائج التي يمكن أن يسفر عنها تدمير منظم للعلمانية في بلد إسلامي. وقد أفضت هذه العلمانية فعلياً ومن حيث فوجئ الغرب نفسه، إلىٰ تصعيد فعالية الدولة الوطنية وتعاظم قدرتها علىٰ تنشيط الميول في مجتمعها لامتلاك القوة والمعرفة، أو تنشيط محاولات الاستحواذ علىٰ التكنولوجيا وردم الهوة مع الغرب؛ وذلك ما يعبر عنه بدقة طموح العراق إلىٰ امتلاك برنامج علمي نووي، يؤهله للدخول في منتدىٰ الدول الحديثة. إن الأهداف المعلنة للولايات المتحدة من غزو العراق، كمواجهة خطر أسلحة التدمير الشامل مثلاً؛ لتبدو منظورا إليها من هذه الزاوية، وإن منع إيران من امتلاك طاقة نووية لينظر اليها من هذا المنطلق أيضاً. وبصرف النظر عن سائر المبررات والذرائع والدوافع الأخرىٰ، ومن حيث درجة قوتها وتأثيرها في عمل وسائل الإعلام علىٰ الإفصاح عن البعد الحقيقي للغزو الذي لم يكن، في النهاية، سوىٰ تدمير منظم للعلمانية بكل تعبيراتها وأشكالها (بنىٰ تحتية، برامج علمية، علماء، جامعات ومختبرات متطورة ومعاهد دراسية، نخب حداثية) وبوسائل غاية في القسوة والبطش.

ففي محادثات جنيف بين نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز مع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي في شتاء 1991؛ عبّر بيكر دون تردد وأسمع العالم كله بصراحة قوله عن عزم بلاده علىٰ ضرب العراق بشدة وقسوة وإلىٰ الدرجة التي يعود فيها العراق إلي العصور الحجرية دفعة واحدة. إن فكرة إعادة بلد ما إلىٰ الوراء، أي إعادته إلىٰ طور ما قبل التاريخ، تكشف من بين ما تكشف عن الجذور الحقيقية للعلاقة بين الأساطير والسياسة في العالم المعاصر، بحيث تدخل الأساطير تلقائياً في نسيج السياسة الخارجية وتغدو جزءاً عضويّاً من علاقات القوة، وبالنظر لخطورة سلاح الأساطير المرافق والملازم لأسلحة إسرائيل والولايات المتحدة، يصبح لزاماً علينا أن نحصّن أنفسنا من الأساطير بل ونحاربها حتىٰ نتمكّن من دفنها.

الخاتمة

إنّ كشف ما أمكن من أسرار العقيدة اليهودية وأساطيرها يجيب على كافة تساؤلاتنا المتعلقة بألغاز وخفايا أعمال اليهود اليومية.

لقد أدركنا أهمية رسوخ عقيدة الإبادة عند الصهاينة وبالوقت نفسه أدركنا خطر تلك الأكذوبة على شخصيتنا كعرب ومسلمين، وأننا نحن المستهدفين الرئيسين فيها بالدرجة الأولى. وهذا مايدعونا جميعاً إلى ضرورة تكذيب الأسطورة ودحضها في كل مكان وزمان، وإلى منع تسرّبها إلى العقل العربي والإسلامي . ومن هنا ندعو الإعلام العربي والإسلامي كله إلى دحض الأكذوبة باستمرار وإلى مراقبة الأفلام الوثائقية التي تشتريها الفضائيات مصنوعة وجاهزة في الدول الغربية. ففي هذا اليوم بالضبط 1 شباط 2007 عرضت فضائية الجزيرة الوثائقية برنامجاً بعنوان:

نورينبيرغ: وقفة غيرينغ الأخيرة – الجزء الأول. وإن هذا البرنامج يسوّق للأكذوبة ولأساطير الإبادة، ويجعل منها حقيقة تاريخية وذريعة لليهود الذين هم أعداؤنا الحقيقيون. وحينما نشاهد هذه البرامج في إعلامنا العربي نتألم كثيراً ونشعر بأهمية مانكتبه وبضرورة أن يصل بحثنا هذا إلى أكبر عدد من القراء .

وفي ختام هذا البحث تبيّن لنا بوضوح أنّ كافة أساطير الإبادة المزعومة لم تكن سوى صوراً توراتية وطقوساً وعقائد يهودية، وأن التطرف الديني الحقيقي الموجود في العالم كله يتمثل في أهمّ صوره عند اليهود أنفسهم. وأنّ التطرف اليهودي كان السبب في نشر أنواع من التدين المتزمت الذي يشبه التطرف في بعض الأوساط الإسلامية والذي يسمى بالتطرف الإسلامي.

المراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس – الطبعة العربية – حول العالم .
- محاربو إسرائيل – إيهانويل راتيه – ترجمة فوزي عبد الهادي – دار طلاس، دمشق 1996
- الاستخبارات السرية الإسرائيلية
- أريكا عميلة الموساد، ويليم ديتيل.
- مكان تحت الشمس، بنيامين ناثان ياهو – دار الجليل، الأردن.
- الأكذوبة التاريخية – روبير فوريسسون و ماري بول ميمي.
- موسوعة الحرب العالمية الثانية.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الدكتور عبد الوهاب المسيري
- الموسوعة اليهودية، جوديكا .
- محاضر وندوات مؤتمر طهران حول الهولوكوست.
- الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية، روجيه غارودي، ترجمة حافظ الجمالي – صياح الجهيم.
- أسفار موسىٰ الخمسة، الأب ديفو
- صراخ البريء أو فرنسا اليهودية، أدوارد داريمون
- الأطفال ولائم دموية علىٰ مائدة اليهود، سليمان البواب
- دم لفطير صهيون، نجيب كيالي، دمشق
- La Derniere guerre ، Enciclopedie ، paris ، france.
- Le point، N715 ، 2 Juin 1986.
- Le Nouvelle Observateur، N 1432 ، 16 Avril 1992 .
- Le Nouvelle Observateur،N 1387 ، 6 Juin 1991
- Le Nouvelle Observateur، N 1433 ، 23 Avril 1992.
- Le Nouvelle Observateur،N 1444 ، 15 Juillet 1992
- L Expresse ، N 2010 ، 19 Janvier 1990

الفهرس

صدر للمؤلف

- 🕮 يهود ضد الصهيونية
- 🕮 هل أحرق اليهود في أفران الغاز؟
- 🕮 الدين والتطرف والإبادة
- 🕮 ثقافة التطرف وموجة الطائفية

عنوان المؤلف: 099775380 دمشق سورية

monomr@yahoo.com

بعد البحث المطول توصلنا إلى نتائج مذهلة لم يتوصل إليها احد من الباحثين الغربيين وهذه النتائج التي نعرضها لأول مرة في هذا البحث تكشف عن الجانب الخفي الذي تولدت منه أساطير الأكذوبة . وتؤكد بالأدلة و البراهين القطعية والواضحة للعيان تلك الرابطة الخفية بين العقائد والطقوس اليهودية والنصوص التوراتية من جهة . وبين جوانب وأشكال أساطير الأكذوبة الصهيونية المتطرفة من جهة أخرى .

ويعتقد اليهود بأن الرب قد أمر أنبياءهم ببناء المحارق لتقدمة الأضاحي له ويعتقدون بأن المحرقة هي المعبد اليهودي والحرق هو العبادة وهو تقديم الأضحية للرب .

